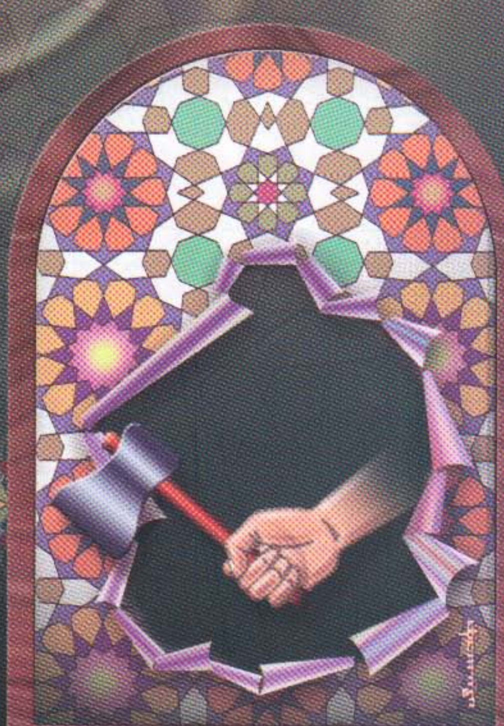
فِتَنُ التَّكفيريِّين

(العَرَبِ المعاصِرين)

تأليف
الدّكتور بسّام الصبّاغ





فتن التكفيريين

(العرب المعاصرين)

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : فتن التكفيريين

تأليف : الدكتور بسام الصباغ

عدد الصفحات : ٢٥٦ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

I S B N : 978-9933-9092-0-8

الطَّبعة الأولى

١٤٣١ هـ = ٢٠١٠م



تأليف
الدّكتور بسّام الصّبّاغ


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي أمر بالدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فقال : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيدِ الدُّعاةِ محمدٍ الذي وصفه الله بالرحمة للعالمين فقال : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين .

لقد ظهرت في عصرنا الراهنِ دعواتٌ كثيرةٌ في أرجاءَ متعددةٍ من العالم الإسلامي وغير الإسلامي تنادي بالإسلامِ والعودةِ إليه ، وقد سمَّاها بعضُهم بظاهرةِ الصَّحوة الإسلامية ، وظهرت خلالها دعواتٌ وزَّعت على غيرها نعوتاً من الشِّركِ والكفرِ والضَّلالِ والفسادِ ، ودعا بعضها إلى تغيير المنكرِ بالثَّورةِ والسِّلاح ، وبالتكفير والتَّفسيقِ ، وبعض هذه الدعوات اعتبرت نفسها أنها الفئةُ النَّاجيةُ الوحيدةُ من النَّار .

ويمكن أن يستخلص الباحث بأنّ معظم الحركات الإسلامية تعاني من أزمة داخلية (لقد استغلت بعض الحركات الإسلامية الموجة العاطفية لدى عامة المسلمين وتقديسهم للإسلام ولشعاراته ، وفشل المشاريع السياسية الأخرى في حل قضاياهم ، فكسبوا تأييد الشعوب في الانتخابات مثلاً ، ولكنهم لم يقودوها إلى بر الأمان الحقيقي. . .)[1] .

ومع تَطَلُّع العالم إلى الإسلام ، وإقباله عليه ، يُصْدَم بهذه الفئةِ المنفِّرَةِ التي اتخذت سلاحَهَا التكفيرَ بدلَ التَّفكير ، ويعيدون للأذهانِ قصةَ الخوارجِ التي بدأت معها عمليةُ التكفير والقتلِ في التَّاريخ الإسلامي .

ولقد ظهرت عدةُ دعواتٍ إصلاحية منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وكان لها الأثرُ

---

(١) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د .أحمد طحان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

البالغ في تحرير الشعوب ، والوقوف بوجه الحُكَّامِ المستبدِّين والمستعمرين ، وكانت تتصف بحرارة ملتهبة ، وثورة على بعض العادات والتَّقاليد ، وعلى الشعوب والحكَّامِ الفاسدين ، وتحملُ في طيَّاتها رياحَ النَّقدِ لبعض سلبياتِ فئاتٍ من المجتمع ، وظهرت دعوات تريد فرض أفكارها ولو كانت إصلاحية بالقوة والتكفير والتفسيق ، وهي التي سيتناول بعضها البحث هذا .

فظهرتْ دعوةُ « محمد بنِ عبد الوهاب »[١] [١٧٠٣ـ ١٧٩١] ، التي ركَّزَتْ على التَّوحيد ، وحاربت الشرك ، « وتلحُّ على تنقيةِ مفهومِ التَّوحيد مما علق به من أنواع الشرك »[٢] ، وإزالةِ مظاهرِ الشركِ التي انحدر إليها الناس **بالجهاد والقوة** ، والقضاء على البدع والخرافات ، والمناداة بضرورة الرجوع إلى الكتابِ والسُّنةِ ، وبدأت عنده قصة الشركِ والبدعةِ والكفرِ . . .

وظهرت دعوةُ « جمالِ الدِّينِ الأفغاني »[١٨٣٩ـ ١٨٩٧م] ، وقد نادى بتحرير الفكر ومناهضة الاختراق الغربي ، وتتلمذ عليه « محمد عبده » [١٨٤٩ـ ١٩٠٥م] ، وخلفه « محمد رشيد رضا » [١٨٧١ـ ١٩١٨م] ، وفي الفترة ذاتها ظهر السيد « عبد الرحمن الكواكبي » [١٨٤٨ـ ١٩٠٢م] الذي ندَّد باستبداد الحكومات الإسلامية ، وتأخُّر الشعوب الإسلاميَّةِ وسكينَتِها ، وفي هذه الفترة ظهرت دعوة السيد « أبي الأعلى المودودي » [١٩٠٣ـ ١٩٧٩م] ، في الهند الذي نادى بالحاكمية لله ، واستخدام موضوع الجهاد المقدس لقلبِ أنظمة الحكمِ والأوضاع الاجتماعية .

وجاء مالك بن نبي الجزائري [١٩٠٥ـ ١٩٧٣م] مهتماً بمشاكل الحضارة ، ومشاكلِ العالم الإسلامي .

وجاء « حسن البنَّا » [١٩٠٦ـ ١٩٤٩م] ، الذي اعتبر نفسه امتداداً لحركة الإصلاح التي قادها « محمد عبده » وتلامذتُه ، ودعوة الأفغاني وعبده ورضا والكواكبي ولم تظهر بوادر

---

(١) محمد بن عبد الوهاب : هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، ولد ونشأ بالعينة ورحل إلى الحجاز ومكث في المدينة المنورة تشدد بدعوته إلى التوحيد ونبذ البدع ، وله مؤلفات منها كتاب التوحيد ورسالة كشف الشبهات ، توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ ، انظر : الأعلام : الزركلي ٦/ ٢٥٧ .

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي . ص ٢٧٣ ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

العنف إلا بظهور الجهاز السري للإخوان في أواخر أيام « البنّا » ، ثم بعد دخولِ « سيد قطب » [١٩٠٦ـ ١٩٦٦م] ، في جماعة الإخوان ، الذي تأثر بأفكار « المودودي » ، وأخذ عنه فكرةَ الحاكميةِ والجاهليةِ والشركِ والكفرِ ، وأخذ ينسج أفكارَه عليها .

وظهرت عدةُ حركاتٍ ثائرةٍ غاضبةٍ قانطةٍ متبرِّمةٍ مكفِّرةٍ ، كحركة التحرير الإسلامي الذي أسسها « تقي الدين النَّبهاني » [١٩٠٩ـ ١٩٧٩م] في الأردن ، والتي نادى بإعادة الخلافة الإسلامية ، وقلب أنظمةِ الحكم .

وظهرت حركةُ « صالح سرية » الذي أُعدم سنة ١٩٧٥م ، والذي يرى أن نظام الحكم القائم في جميع بلاد الإسلام حكم كافر ، والمجتمعات في هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية .

وحركةُ الجهاد الذي شكَّلَها « محمد فرج » ، والتي اغتالت « السادات » سنة ١٩٨١م .

وحركةُ « التّكفير والهجرة » التي أسسها « علي عبده إسماعيل » ، شقيق « عبد الفتاح إسماعيل » ، الذي أُعدم مع « سيد قطب » سنة ١٩٦٦م .

وجماعاتٌ متطرفةٌ في الجزائرِ ، وحركة « جهيمان » في السُّعودية ، وبعض الأفراد في لبنان وغيرها . . .

كما ظهرت جماعات متطرفة باسم السلف والسلفية وباسم الوهابية **تكفِّر وتُبدِّع وتُفسِّقُ** مَن خالفها في اجتهادها ورأيها .

كما ظهرت جماعة المجاهدين الأفغان والعرب والقاعدة وطالبان التي فرزتها عدة عوامل منها غزو أفغانستان من روسية ثم أمريكية وحلفائها ثم غزو العراق وما أتبع ذلك من خلخلة النظام العالمي ، وخاصة بعد حوادث ١١/ أيلول/ ٢٠٠١ عند تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك .

ولقد ضخَّم الإعلام الغربي وهوَّل هذه الظَّاهرة وهذا التَّطرف فنسبه إلى الإسلامِ لا إلى فئةٍ من المسلمين لها ظروفها الخاصة ، ولا يوافق على تطرفها أصحاب الرأي الإسلاميين وأصحاب الحكمة والحنكة والفهم العميق للإسلام ، وأخذ الغرب هذا التطرف أنموذجاً ليخوِّف العالمَ من الإسلام ، وليتمكَّن من إفناء المسلمين والسَّيطرة عليهم وعلى ثرواتهم ، بل وليمحوا الإسلام من ذاكرتهم .

لقد فقدت العديدُ من الدَّعواتِ فقه الوحدةِ والاتفاق ، وحادت عن أدبِ الحوار والاختلاف ، وتركت الدَّعوة بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة ، وتبنَّت حالة التَّطرفِ والعنفِ ، والغلوِّ والمبالغةِ ، أو الانفعالِ والثَّوريةِ الطائشةِ ، أو التهوّرِ والتَّدميرِ ، نقمةً على المجتمعاتِ وما فيها ، وتكفيراً للزمان وأهله ، وقد أباح بعضهم دماء مخالفيه ، معتبراً نفسه أنه الفئةُ النَّاجيةُ منَ النَّار ، وأقام بعضُهم نفسَهُ وصياً على المجتمعات ، يكفِّرون ويُجهِّلون . . .

ولقد وجدتُ الحاجة الماسة وأنا أدرِّس طلابي الجامعيين مادة الفكر والدعوة إلى إبراز أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبيان أخطاء المكفِّرين والمفسِّقين والمبدِّعين لغيرهم الذين حادوا عن أسلوب القرآن وتعاليمه في آداب الحوار والاختلاف ، وخطأ أسلوب المصادمات والعنف . . . ولقد رأيت قلة الكتابة في هذا الموضوع وخوف الكثير من تكفيره وتفسيقه ومحاربته من هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة .

وقد كتبت كتاباً سميته بلاء التكفير تحدثت فيه عن التكفير وخطورته وأسبابه ومظاهره ، ثم رأيت أن أكتب كتاباً حول فتن جماعات التكفير ، وأنا أنصح أن يُقرأ الكتابان معاً ، فالأول كان عن التكفير ، والثاني عن فتن جماعات التكفير ، فإنهما يكملان بعضهما .

فهذا الكتاب يرصد بعضاً من أفكار هذه الجماعات وأمراضها ، ويبيِّن خطورتها ، ويصف العلاج ، ويركز على جعل الحوارِ والتَّعاونِ والنَّصيحةِ أسلوبَ الدَّعوةِ إلى الله ، كما قال تعالى حين أرسل رسولين كريمين موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون الطاغية ، فقد أوصاهما بقوله : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] ، وذكر القرآن للنبي محمد ﷺ الأسلوب الحكيم ، والطريقة المثلى في الدَّعوةِ إلى الله بقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، ويقرر سبحانه وتعالى أسباب نجاح دعوة نبينا محمد ﷺ ويعزوها إلى الرَّحمةِ واللِّين والبشاشةِ والرفقِ ، وحُسْنِ التعاملِ والعفوِ والتَسامُح بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وإنَّ العقلَ والمنطقَ والشرائعَ والأديانَ السَّماويَّةَ تُطالبُ بمعالجة المشاكلِ لا ببترِ أصحابها ، كما قال تعالى على لسان لوطٍ في قومه : ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٨] ، فهجَر عملَهم السيىء ولم يهجرهم .

وقد حوى هذا الكتاب مقدمة وعدة مباحث وخاتمة وفهارس :

المقدمة : وقد تحدثتْ عن أهمِّيةِ الموضوعِ والأسبابِ الدَّاعيةِ للبحث فيه .

جماعات تكفيرية في الوطن العربي المعاصر ، وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : التّكفيرُ وجماعاتُهُ في الوطن العربي المعاصر .

المطلب الأول : تاريخُ التكفيرِ في العصر الحديث .

المطلب الثاني : فكر سيد قطب التكفيري .

المطلب الثالث : التكفير بعد سيد قطب .

المطلب الرابع : جماعةُ المسلمين أو جماعةٌ من المسلمين .

المبحث الثاني : الإخوان المسلمون .

المطلب الأول : تأسيس الإخوان عند البنا .

المطلب الثاني : خللٌ في الجماعة .

المطلب الثالث : الإخوانُ المسلمون بعد البنا .

المطلب الرابع : من مظاهرِ الانحراف .

المبحث الثالث : أشهر جماعات التطرف المسلَّح بعد « البنَّا » .

المطلب الأول : المناخ ودور سيد قطب .

المطلب الثاني : جماعة المسلمين أو التكفير والهجرة .

المطلب الثالث : جماعة الجهاد .

المطلب الرابع : حزب التحرير الإسلامي وتنظيم صالح سرية .

المبحث الرابع : سلبيات الحركة الإسلامية السياسية في الجزائر .

المطلب الأول : دورُ علماءِ الدين الإسلامي في الجزائر .

المطلب الثاني : الحركةُ الإسلامية السياسية وتطورها .

المطلب الثالث : سلبيات بعض الإسلاميين الجزائريين .

وجعلتُ له خاتمة ، وألحقتُ به الفهارس .

وأخيراً :

لا يفوتنا أن نذكُرَ أن أعداء أمتنا وخاصة الصهيونيةَ العالميةَ وحلفاءَها ، يترَبَّصونَ بأمتنا الدوائِرَ ، وأنَّ طريقتهم فرِّق تَسُدْ ، ومصلحَتَهم أن يظهرَ التطرفُ والغُلوُّ ، وأنْ تتوسَّع الخلافاتُ بين الحاكم والمحكوم ، وبين أفرادِ الأمة وطوائفها ومذاهبها وجماعاتها ، ليتسنى لهم تحقيق مآربهم ، وإفناء العرب والمسلمين ، ومحوهم من ذاكرة التاريخ والوجود .

تنبيهات على المنهج :

ولقد حرصت على نقل الآيات القرآنية برسمها العثماني وتخريجها بذكر اسم السورة ورقم الآية ، تعظيماً لكتاب الله وتلافياً للأخطاء ، كما حرصت على تخريج جميع الأحاديث النبوية وتبيان كتابها وبابها ورقمها من مرجعين إن وجدت في الصحاح والحكم عليها في غيرها .

كما حرصت على تعريف أكثر الأعلام الواردة في المتن مستعيناً بالكتب المتخصصة في ذلك ؛ وما أكثرها وما أصعبها من مسؤولية ألزمت بها نفسي .

بالنسبة للحواشي اعتمدت ترتيب : اسم الكتاب : اسم المؤلف ، فالجزء والصفحة ، فدار النشر ومكانها ، ورقم طبعتها ، وسنة الطبع ، وقد أكتفي باسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة وأترك التفاصيل للمرجع لفهرس المصادر والمراجع آخر الكتاب .

ولقد كتبتُ عدةَ كتبٍ حولَ الدَّعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، وبالفكرِ لا بالتَّكفيرِ ، من أهمِّها كتابُ « الدعوةِ والدُّعاة بين الواقع والهدف ومجتمعاتٍ عربيةٍ معاصرةٍ » وكتابُ « دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم » وكتاب « الدعوة الإسلامية بين المغالين والمفرِّطين » « والدعوة والجهاد » « وقبسات من الدعوة والدعاة » « وبلاء التكفير » وغيرها ، لهذا يجد القارىء أنني كررت بعضاً من الأفكار والآراء في هذا الكتاب ليتكامل الموضوع ، فليعذرني القارىء .

أوردت في خاتمة البحث : خلاصته ونتائجه وتوصياته وفهارس للمراجع وللأحاديث والأعلام وفهرساً عاماً لمحتويات الرسالة .

فنسألُ اللهَ أنْ يَدرُسَ الدُّعاةُ والمسلمون فِقهَ الدَّعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة ، وأن يطبقوه ويعملوا به ويُخلصوا النِّيَّةَ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

د . بسام الصباغ

المبحث الأول
التكفير وجماعاته في الوطن العربي المعاصر

***

المطلب الأول : تاريخُ التَّكفيرِ في العصر الحديث

منذ منتصف القرن الثّامنَ عشرَ ولأسبابٍ عديدة : منها الفقرُ والمرضُ ، والجهلُ والفرقةُ ، والاستعمارُ والتَّخلُّف ، والجمودُ الفكريّ ظهرت دعواتٌ إصلاحيَّةٌ في الوطن العربي ، تُطَالِبُ بتحريرِ الشُّعوبِ والوقوفِ بوجهِ الحكَّام المستبدِّينَ وبوجه الاستعمارِ ، وكانت تتَّصِفُ بحرارةٍ مُلْتَهِبَةٍ ، وثورةٍ على العاداتِ والتَّقاليد ، وعلى الشُّعوبِ والحكَّامِ ، وتحملُ في طيَّاتِ بعضِها رياحَ التَّكْفِيرِ ، وظهرتْ ثلاثُ حركاتٍ كان لها الأثَرُ الواضحُ على الحركاتِ الإسلاميَّة في العصر الحديث .

١ـ فالحركةُ الأولى في الحجازِ والَّتي دعا إليها « محمَّد بنُ عبد الوهاب » التميمي النجدي [١٧٠٣ـ ١٧٩١م] ، الَّذي شغلَتْهُ مسألةُ التَّوحيدِ ، واعتبر العالم الإسلاميَّ يشركُ مع اللهِ كثيراً في خلقه ، وبدأت قصَّةُ الشِّركِ والتفسيق والتبديع والتَّكفيرِ تتوالى عمليّاً ونظريّاً . . . معتمداً على ظاهر اللفظ والعمل ، دون أن يعير اهتماماً لضروب اللغة العربية وأساليبها كالمجاز العقلي واستعمالاته ، ومدلولات الألفاظ ومعانيها ، إلى جانب موضوع النية في العمل ، وحارب عبد الوهاب مخالفيه وقاتلهم[١] ، (لعقيدته في وجوب تنقية مفهوم التوحيد من الشرك ، وتوحيد الأسماء والصفات ، والتركيز على مفهوم توحيد

---

(١) انظر : فتنة الوهابية : دحلان أحمد بن زيتي دحلان ، إسطنبول ، ط١ ، ١٩٦٨م .

العبودية ، والقضاء على الشرك والبدع والخرافات ، كزيارة القبور ، والتوسل)[1] ، ويظل هذا التكفير أقرب لأن يكون تكفيراً تجهيليّاً لا تكفيراً تصادميّاً وجهاديّاً يعتمد على نظريات تجاه المسلمين تصل إلى تبديعهم وتقسيمهم وقد تصل إلى إباحة دمائهم عند بعضهم .

٢ـ والحركةُ الثَّانية ظهرت في الهندِ ، وكان لها تأثير في الوطن العربي ، ظهرت على يد السَّيِّد « أبي الأعلى المودودي »[2] ، وكانت فرق هدامة باطلة انتشرت في بلاده كالقاديانية وغيرها فتصدى لها ، وتصدى للاستعمار ، وقد كتبَ « المودوديُّ » كتابه « المصطلحات الأربعة في القرآن » ، وتحدَّث فيها عن كلمات أربعة « الإله » و« الرَّب » و« الدِّين » و« العبادة » ، يشرح فيها بأنَّ هذه المعاني أصاب فهمها التَّغيير والتَّبديل والتَّحريف بعد عصر النُّبوة ، يقول : « ولكنَّه في القرون الَّتي تلت ذلك العصر الزَّاهر عصر النُّبوة جعلت تتبدَّل المعاني الأصلية لجميع تلك الكلمات ، لتلك المعاني الَّتي كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن ، حتَّى أخذت تضيق كل كلمة من تلكم الكلمات الأربع عما كانت تتسع له وتحيط به من قبل ، وعادت منحصرة في معاني ضيقة محدودة ومخصوصة بمدلولات غامضة مستهجنة . . . »[3] ، ونادى بنظريَّة « الحاكميَّة » ، وهي نظريَّةٌ قديمةٌ تتعلَّق بنظريَّةِ « الحقِّ الإلهيّ المباشر » ، وقد حصر في كتابه « المصطلحات الأربعة في القرآن » الذي حصر الحاكمية « حاكمية الإله » و« سلطان الرب » و« الدين » و« العبادة » في نطاق « الحكم الإسلامي » و« إقامة الحكومة الإلهية » فحسب ، وملخَّص

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ندوة الرياض . ص٢٧٣ ، الدعوة السلفية وما بعدها ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط٢ ، ١٩٩٧م .

(٢) السيد أبو الأعلى المودودي ، (١٩٠٣ـ١٩٧٩) م : عمل في أول حياته بالصحافة ، وأصدر عام ١٩٢٨م كتاباً هاماً له حمل اسم الجهاد في الإسلام ، ثم أصدر سنة ١٩٣٣م مجلة « ترجمان القرآن » ، التي شكلت إطار تأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١م ، وتصدى لأعداء الإسلام والمستعمرين والفرق المنحرفة على الإسلام وخاصة القاديانية ، وألف العديد من الكتب وأهمها : « نظرية الإسلام السياسية » و« المصطلحات الأربعة في القرآن » و« الإسلام والجاهلية » و« نحو ثورة إسلامية » و« الانقلاب الإسلامي » ، وما كتبه المودودي لعله يتناسب مع ظروف الهند وباكستان ولا يتناسب ولا يصلح كله للبلاد العربية أو غيرها ، فكل بلد له ظروفه الخاصة ، انظر مادة المودودي في : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . ص ١٧٣ـ١٧٤ .

(٣) المصطلحات الأربعة في القرآن : أبو الأعلى المودودي . ص٨٩ ،الدار الكويتية ، الكويت ، ط٤ ، د . ت .

نظريّته : (أنَّ الحاكميّة لله وحده ، وبيدِهِ جلَّ شأنُه التّشريعُ ، وليس لأحدٍ وإنْ كان نبيّاً أَنْ يأمُرَ وينهى من غيرِ أنْ يكونَ له سلطانٌ من اللهِ ، لأنَّ النّبيَّ لا يَتّبعُ إلاّ ما يوحى إليه ، قال تعالى : ﴿ . . . إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ . . . ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، وما وجب على النَّاسِ طاعةُ النَّبيِّ إلا لأنَّه يأتيهم بأحكامِ إلهيّةٍ. . . ويَخْلُصُ من ذلك إلى أنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى هو الحاكمُ الحقيقيُّ. . . وأنَّه ليس لأحدٍ من دون اللهِ شيءٌ من أَمْرِ التَّشريع ، لقوله تعالى : ﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] [المائدة : ٤٥] ، واعتبر كلَّ السَّلف مجتهديه ومقلديه على خطأ ، لأنه (قد خفي على الناس معظم القرآن ، بل وغابت عنهم روحه السامية وفكرته المركزية ، لمجرد ما غشي هذه المصطلحات الأربعة الأساسية من حجب الجهل. . .)[2] ، و(ليست نظرية الحاكمية المودودية نظرية تكفيرية بل نظرية تجهيلية ، تطلق آليات التكفير ، وتسمح بالقول إن المجتمعات الإسلامية الراهنة هي مجتمعات إسلامية بالاسم وليست بالفعل. . . إن المودودي بكلام آخر لا يخرج المجتمعات الإسلامية مما يسمى فقهياً (دار الإسلام) إلى (دار الحرب) أو (دار الكفر) إلا أنه يراها غارقة في (تقاليد الجاهلية وأعمال الشرك). . . لا يكفر « المودودي » لكنه يطلق آليات التكفير إلى أقصاها. . .)[3] ، وتتطور نظرية الحاكمية إلى تكفيرية جهادية على يد « سيد قطب » في كتابه « معالم في الطريق » ، الذي كتب فصوله في المعتقل ، وكان سبباً في إعدامه ، واستغلت جماعات أقوال السيد قطب وتطرفوا بها ، منهم جماعة التكفير والهجرة ، وصارَ موضوعُ الحاكميَّةِ مقروناً بالتَّكفير وتغيير المنكرِ بكُلِّ الوسائلِ ، واسْتُخْدِمَ موضوعُ الجهادِ المُقَدَّسِ لقلبِ أنظمةِ الحكمِ والأوضاع الاجتماعيَّةِ .

٣ـ والحركةُ الثَّالثةُ إصلاحيَّة ؛ تهتمُّ بموضوع التخلف الذي أصاب العالم الإسلامي ، (وقد اهتم بهذه القضية فعلاً عدد من رواد الفكر الإسلامي ، فمن هؤلاء بل في مقدمتهم « جمال الدين الأفغاني » ، الذي كرّس حياته وجهاز تفكيره في معالجة مشكلة المسلمين ، ولم يدَّخر شيئاً من إمكانيته لم يصرفه في هذا السبيل ، وكانت حياته وفكره كله وقفاً على هذه القضية ، ففي سبيلها تقلب في طول البلاد وعرضها مشرداً منفياً ، وقد

---

(١) راجع : النظم السياسية : د.عبد الغني بسيوني. ص٤٨ ومابعدها ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٤م.

(٢) المصطلحات الأربعة في القرآن : المودودي . ص١٠ .

(٣) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٢٤ . المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، دمشق ، د.ت.

أودع نظراته في حل مشكلة العالم الإسلامي في كتابه خاطرات)[1] ، وتتلمذ على « جمال الدِّين الأفغانيّ » [١٨٣٩ـ ١٨٩٧م] « محمَّد عبده » [١٨٤٩ـ ١٩٠٥م] ، ثم جاء « محمَّد رشيد رضا » [١٨٧١ـ ١٩١٨م] ، وظهر تأثُّرُ « الأفغانيّ » « بمحمَّد عبد الوهَّاب » في موضوع الإصلاحِ القائمِ على قيمِ التّوحيدِ الإسلاميّة والقرآنِ ، ونادى الأفغانيُّ بتحريرِ الفكرِ وتحرير الفردِ ، ومناهضةِ الاختراق الغربيّ .

و« الأفغانيُّ » ثائرٌ ملتهبٌ ، أديبٌ بليغٌ ، (فسخَّر الأدبَ في خدمةِ الشَّعبِ ، يُطَالِبُ بحقوقه ، ويدفعُ الظُّلمَ عنه ، ويهاجمُ من اعتدى عليه كائناً من كان ، يُبيِّنُ للنَّاسِ سوءَ حالهم وموضعَ بؤسِهم ، ويبصِّرُهم بمن كان سببَ فقرهم ، وحرَّضهم أن يخرجوا من الظُّلمات إلى النُّورِ ، وألا يخْشَوا بأسَ الحاكم ، فليست قوَّته إلا بهم ، ولا غناهُ إلا منهم ، وأنْ يُلحُّوا في طلب حقوقِهم المغصوبةِ ، وسعادتهم المَسْلُوبَةِ ، فخرجَ على النَّاسِ بأدبٍ جديدٍ ينظر للشَّعبِ أكثرَ مما يَنظرُ إلى الحاكم ، وينشدُ الحرِّيَّةَ ، ويَخْلعُ العُبودِيَّةَ ، ويفيضُ في حقوقِ النَّاسِ وواجباتِ الحاكمِ. . .)[2] .

ولكنْ مع بلاغةِ كلماتِه ، وحرارةِ دعوته ، فقد كانَ حارّاً حادَّ المزاج ، يقول « عبده » في وصفه : (إنَّه طموحٌ إلى مقصدِه السِّياسيِّ. . . إذا لاحت له بارقةٌ منه تعجَّل السَّيْرَ للوصولِ إليه ، وكثيراً ما كان التَّعجُّلُ علَّة الحِرْمانِ. . . وهو شجاعٌ مقدامٌ ، لا يهابُ الموتَ كأنَّه لا يعرفه ، إلا أنَّه حديد[3] المزاج ، وكثيراً ما هدَّمت الحدَّةُ ما رفعته الفِطْنَةُ)[4] ؛ « فالأفغانيُّ » كان يريدُ أنْ يحقِّقَ ما يرغبُ لاما يمكنُ ، بينما « عبده » ، كان مذهبه أنْ يُحقِّقَ ما يمكن لا ما يرغب .

كانت فيه حدة وتعجل ، وعلى كلٍ لم نلحظ « الأفغاني » أنه كفّر المسلمين ، بل كان يدافع عن الإسلام ويبصّر المسلمين بحالهم ، ويحذرهم من أعدائهم .

وفي الحقبة ذاتها ظَهَرَ « عبدُ الرَّحمنِ الكواكبيُّ » [١٨٤٨ـ ١٩٠٢م] (الذي اهتم

---

(١) مذهب ابن آدم الأول : جودت سعيد . ص٦٧ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٣ .
(٢) زعماء الإصلاح : أحمد أمين . ص٦٧ وما بعدها ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م .
(٣) حديد : فيه حدة ، أي شدة واهتياج .
(٤) الأعمال الكاملة : للإمام محمد عبده . ٢/ ٣٥٢ ، تحقيق د . محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

بمشكلة العالم الإسلامي ، وأفنى حياته في التفكير والكتابة فيها)[1] ، فألَّف كتابَ « طبائعِ الاستبداد » تناولَ فيه الحكوماتِ الإسلاميَّةَ بالنَّقد والتَّجريح ، وحثها على الوقوف في وجه الاستعمار وتحرير الشعوب من الظلم والاستعباد ،كما ألَّف كتابه الآخرَ « أمُّ القُرى » ، وأغلبُه كان في نقدِ الشُّعوبِ الإسلاميَّةِ لتصحيح الخطأ والفساد ، وقد بحثَ في طبائع الاستبدادِ وفي الحكوماتِ وواجباتِهم ، وقدْ بحثَ بحثاً مستفيضاً في علاقةِ الاستبدادِ بالدِّينِ والعلمِ ، ورأى أن : (الحِرْصَ على المَجْدِ أقوى وأوجبُ من الحرصِ على الحياةِ ، فعاب على ابن خلدونٍ رأيَهَ في تقديم الحِرْصِ على الحياةِ عِندما نقَدَ ابنُ خلدونٍ الإمامَ الحسن بن علي وأمثاله ، وقالَ إنَّهم يُعَرِّضون أنفسهم للموتِ بخروجهم في فئةٍ قليلةٍ على الخليفةِ ذي السُّلطانِ والعددِ والعُدَدِ ، يُلْقُونَ بأنفسِهم إلى التَّهلُكةِ ، فقال الكواكبيّ : إنَّهَم معذورون لأنَّهم يفضِّلُونَ الموتَ كرماً على حياةِ الذُّلِّ الَّتي كان يحياها ابنُ خلدون ، وهم في ذلك ككرامِ سباعِ الطَّيرِ والوحوشِ الَّتي تأبى التَّناسُلَ في أقفاصِ الأسْرِ ، وتحاولُ الانتحارَ تخلُّصاً من قيودِ الذُّلِّ . . . فابن خلدونٍ يتحدَّثُ بالعقلِ ، والكواكبيُّ يتحدَّث بالعاطفةِ)[2] .

ولم ينصب الكواكبي نفسه في كتابيه قاضياً وحاكماً بالتَّكفير والإشراك على أحد من المسلمين ، إلا على الحكَّام الفاسدين والخونة المأجورين .

ثم يأتي « مالك بن نبي » الجزائري [١٩٠٥ـ ١٩٧٣م] فيهتمُّ بمشاكل العالم الإسلامي ، ويبحث في (مشكلات الحضارة) في الكتب التي نشرها ، متحدثاً عن الاستعمار وقابلية الاستعمار من الشعوب ، كما أراد أن يوفق بين العلم والدين ، وهو يرى أن الإطار الحضاري والإطار الثقافي كفيلان بحل مشاكل العالم الإسلامي ، وليس عن طريق استخدام الأساليب السياسية أو العسكرية أو غيرها .

وتَظَلُّ أفكارُ « الأفغانيّ » و« الإمام عبدُه » ، و« رضا » و« الكواكبيّ » و« مالك بن نبي » أفكاراً إصلاحيَّةً أقربَ إلى أن تكونَ ثقافيَّةً ، حتى جاءت حَرَكَةُ الإخوانِ المسلمينَ الَّتي أسَّسَها « حَسَنُ البنَّا »[3] عام ١٩٢٨م .

---

(١) مذهب ابن آدم الأول : جودت سعيد . ص٦٧ وما بعدها .

(٢) زعماء الإصلاح : أحمد أمين . ص٢٥٩ .

(٣) (ولد حسن بن عبد الرحمن البنا ، بمدينة المحمودية سنة ١٩٠٦م ، قرب الاسكندرية ، وتخرج من مدرسة دار العلوم في القاهرة ، واشتغل بالتعليم ومتنقلاً بين مدينة وأخرى داعياً . . . ثم استقر =

(ورغمَ النَّشاطِ السِّياسي « للأفغانيِّ » فإنَّ البديلَ الَّذي طَرَحَهُ هو و« الإمام عبده » و« رشيد رضا » كان بديلاً إصلاحيَّاً ، ولم يَكُنْ يَتَّجِهُ إلى العملِ الحركيِّ ، وكانت مهمَّتُهم أَقربَ إلى أَنْ تكونَ ثقافيَّةً ، أمَّا حركةُ الإخوانِ فبينما كانت حركةً إصلاحيَّةً اقتحاميَّةً ، لم تكُنْ رَغْمَ ذلك مُصِرَّةً على اللُّجوءِ إلى وسائلِ العُنْفِ لتحقيقِ أَهْدافِها في مرحلتها الأولى قبل عام ١٩٤٠م)[1] ، « فحسن البنَّا » هو امتدادٌ « لمحمّد عبده » ، وحركة الإخوانِ المسلمينَ امتدادٌ لحركةِ الإصلاحِ الَّتي قادها « عبدهُ » وتلامذتهُ ، ولم تظهرْ بوادر العنفِ إلا مع « الجهازِ السِّرِّي » للإخوان ، وخاصَّةً بعد اغتيالِ « البنّا » عام ١٩٤٩م ، وخلافةِ « حسنِ الهضيبي » لموقع المُرْشِدِ العامِّ لحركةِ الإخوان .

والانعطافُ الخطيرُ في حركةِ الإخوانِ يَكْمُنُ بَعْدَ دخولِ « سيِّدِ قُطْب » إلى الجماعةِ ، وتبنيه نظرية الحاكمية المودودية وتطويرها إلى تكفيرية جهادية ، حيث بدأ فِكْرُ التَّكفيرِ يأخذُ شَكْلاً فلسفيَّاً إقناعيَّاً تنفيذيَّاً تصادمياً ، وهو الَّذي اجتمع مع بعضِ جماعةِ « المودوديّ » عندما كان « قطب » في أمريكة وأُعجبَ بفكر « المودوديِّ » ، فأخذ عنه فكرة « الحاكميَّة » لله ، و« جاهليَّة » القرن العشرين .

المطلب الثاني : فكرُ سيِّد قطب التَّكفيريّ

لقد شهدت حركة « الإخوان المسلمين » انعطافاً خطيراً بعد وفاة « حسن البنّا » وعمل « الجهاز السِّرِّيِّ » للإخوان ، وبروز المفكِّر المصوِّر الأديب البارع « سيِّد قطب » ، الَّذي صوَّر المشَاكلَ وضخَّمها وصوَّر أسبابها ونتائجها ، فبالغ في التَّصوير ، فأرضى ذوقَ الأدباءِ ، وغذَّى شعلةَ الغضبِ في الشَّبابِ المتحمِّس ، القانط اليائس ، بعدما أصيب بخيبة الأمل من الحكومات العربيَّة في حرب ٤٨ مع إسرائيل ، لقد كانت حركة الإخوان

= فترة في مدينة الإسماعيلية ، وأسس فيها أول دار للإخوان مع صفوة من إخوانه ، وانفرد بعد ذلك بزيارة المدن والقرى ، ولم يلبث أن أصبح له في كل بلد (دار للدعوة) . . . وأنشأ في الإسماعيلية « معهد أمهات المسلمين » لتربية البنات تربية إسلامية ، وبعد فترة نقل إلى القاهرة ، فانتقل معه المركز العام ومقر القيادة . . . وعظم أمر الإخوان ، وناهز عددهم نصف مليون ، ثم أنشأ بالقاهرة جريدة الإخوان المسلمين اليومية ، فكانت منبره بالكتابة إلى جانب منابره الخطابية) من مقدمة مجموعة رسائل حسن البنا . ص٣ ، د . ن ، د . م ، د . ت .

(١) تنظيم الجهاد : كتاب الحرية . رقم ١٨ ، نعمة الله جنينة . ص ٨٣ ، نشر دار الحرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م .

المسلمين تطبع الخلاف بين المسلمين في حيز خطأ وصواب ، بقدر ما يضعها قطب في حيز كفر وإيمان ، جاهلية وإسلام ، يُسَلِّم « البنا » بالمبادىء الأساسية للحكم الدستوري النيابي ، ومسؤولية الحاكم وسلطة الأمة واحترام إرادتها ، بقدر ما يعتبره قطب انتزاعاً كفرياً لانفراد الله بالحاكمية والتشريع ، ويحكم « البنا » على (الدار) الراهنة بالمصطلحات الفقهية الكلاسيكية في الإسلام ، بقدر ما ينفي عنها « قطب » الإسلامَ الصحيح ويخرجها ضمناً إلى (دار حرب) أو (دار كفر) ، من هنا مثَّلَ كتاب « معالم في الطريق » منحى خطيراً في فكر الإخوان المسلمين يتناقض مع رسالة المؤسس « حسن البنا » . . . إذ أنشأ فيه « قطب » . . . فكراً جديداً ، وجد مساراً له بين نفر من الإخوان وغيرهم في ظروف سياسية واجتماعية معقدة ، وقد رفض « حسن الهضيبي » المرشد الثاني للإخوان هذا الفكر ومضاعفاته ، وكتب ضده كتابه الشهير « دعاة لا قضاة » الذي أنهاه في ٢٣شباط ١٩٦٩م في معتقله)[١] ، لقد أوجد « سيد قطب » فلسفة الإصلاحِ وفلسفةَ التّصوُّر للفسادِ ، وسدَّ ثُلمةَ الفراغِ في الفكرِ والتّصوُّر ، وأرضى نزعة الكبت والحرمان ، والنَّقمة عند الشَّباب المسلم المندفع ، فمالوا إلى منهجه وفكره ، واعتبروه مصدراً لفكرهم وتجاوزوا فكر « حسنِ البنَّا » وروَّادِه كالشَّيخ « محمَّد رشيد رضا » و« محمد عبده » ، إلى فكر « قطب » وناريَّة « الأفغانيّ » وطموحاته .

لقد تبنَّى « سيِّد قطب » فِكرةَ الحاكميَّةِ التكفيرية الجهادية التصادمية ، وأخذ يَنْسُجُ عليها أفكاره وكُتُبه وخاصَّةً كتابه « الظِّلال »[٢] ، و« معالم في الطريق » .

إنَّ « السَّيِّد قطبِ » لم يكُنْ من « الإخوانِ المسلمينَ » ، ولم يدخل بالإخوانِ إلا بعد وفاةِ الإمامِ « حسن البنَّا » ، وكانت له مواقف سلبية من « حسن البنا » . . . يقول « محمد الغزالي » : (إن « سيد قطب » لم يلتقِ « حسن البنا » ولم ينتسب للإخوان طيلة حياته ، بل لقد ظل بعيداً عن جماعة الإخوان بضع سنين بعد استشهاد « حسن البنا » ، ولم ينضم إليهم إلا بعد قيام الثورة بعدة شهور على عهد « حسن الهضيبي » ، وأذكر هنا أن « صالح العشماوي » رئيس تحرير مجلة « الدعوة » أرسلني إلى « سيد قطب » ليكتب كلمة عن« البنَّا » في ذكرى استشهاده الأولى عام ١٩٥٠م وكانت بيني وبينه مودة ولكن « سيد قطب » قال لي : أرجو قبول اعتذاري فمن الخير أن أكون بعيداً . . . أنشأ فكراً جديداً وجد

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٢٨ .
(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب .

مساراً له بين نفر من الإخوان وغيرهم في ظروف سياسية واجتماعية معقدة ، وقد رفض « حسن الهضيبي » المرشد الثاني للإخوان هذا الفكر ومضاعفاته ، وكتب ضده[1] ، كما رفضه كثير من العلماء المنضمِّين إلى الجماعة. . .)[2] ، لقد دخل « سيد قطب » بالإخوان بعد عودته من أمريكةَ ، عندما عاد سيد قطب [١٩٠٦ـ١٩٦٦] من أمريكة في آب عام ١٩٥٠م ، رجع وقد جعلته رحلته يصاب بخيبة أمل من الحضارة الغربية التي كان يهفو إليها ، وبدأ يكتب عن تجربته الأليمة ، ولما اشتد الصراع مع الإنكليز سخَّر قلمه وأدبه في فضح الغرب والاستعمار ، وفتحت صحيفة الإخوان المسلمين (الدعوة) أبوابها له مع غيرها ، وشدَّه جهادُ شباب الإخوان ضد الإنكليز وضرب قواعدهم ، والأعمال البطولية التي قاموا بها على حين تخاذل غيرهم ، وركَّز في كتابته على أهمية العقيدة في تربية الجيل المناضل المجاهد ضد الاستعمار ، وتناول الحكومة المداهنة للاستعمار بجرأة في مقالة (الحقيقة تنكشف) ، وصادرت الحكومة عددين من (الدعوة) في كانون الثاني عام ١٩٥٢م ، ثم دعاه صالح العشماوي رئيس تحرير صحيفة الدعوة وأحد قادة الإخوان المسلمين ، للانضمام الرسمي إلى الحركة وتم ذلك ، وانتخب قطب رئيساً لـ (قسم نشر الدعوة) من مكتب الإرشاد ، وصار ممثِّلاً للإخوان في المؤتمرات والندوات كـ (لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية) المنعقدة في آذار مارس ١٩٥٣م في دمشق ، و(المؤتمر الإسلامي الشعبي) في القدس في كانون الأول ديسمبر من السنة نفسها[3] .

وهو الأديبُ المصوِّرُ البَارِعُ القصصيُّ ، ولقدْ أجادَ في التَّصويرِ ، والظِّلالُ يَشْهَدُ على ذلك ، وخاصَّةً عندما يُصوِّر الشَّيءَ ونقيضَه ، فأكثرَ من عقد المقارناتِ بين الجنَّةِ والنَّارِ ، وأصحاب الجنَّة وأصحابِ النَّارِ ، والكُفْرِ والإيمان ، وحاكميَّةِ اللهِ وحاكميَّةِ الشَّيطانِ ، وهكذا. . . إلاّ أنَّهُ انطلق في تصوُّره أنَّ جميعَ النَّاسِ على الأرضِ كفَّارٌ حتى المسلمين حاكمهم ومحكومهم ، وطالَبَ بأنْ تكونَ الحاكميَّةُ لله ، فلقد نَصَّبَ نفسَه أنْ يحكُمَ على جميع النَّاسِ بالشِّرك والكُفر والجاهليَّةِ ، وآزَرَه انتشارُ الفكرِ الوهَّابيِّ في هذه الفترةِ ، ومشكلته أنَّه ينظرُ إلى العَالم نظرةً متشائمةً مبالغاً فيها كثيراً ، لا يستثني أحداً من

---

(١) كتاب دعاة لا قضاة : حسن الهضيبي . دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(٢) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي : مركز دراسات الوحدة العربية . ص٩٩ وما بعدها ، ١٩٨٩ ، على لسان محمد الغزالي .

(٣) راجع كتاب : عبقري الإسلام سيد قطب : الدكتور سيد بشر أحمد كشميري . دار الفضيلة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤م

المسلمين ، وكأنَّه نَصَّبَ نفسه حاكماً على كُلِّ البَشَرِ حتى المسلمين ، ومن لم يَقْنَع بأفكاره ويُنَفِّذها يتَّهِمُهُ بالكفرِ والشِّرك ، والخروجِ عن دينِ اللهِ ، ويدعو النَّاسَ للثَّورةِ على حُكَّامِهِم ، ونحن نقول : إذا قامَ النَّاسُ بثورةٍ على حكَّامهم بشكلٍ مستمر ودون حدودٍ ، فمن الحاكمُ الّذي يرجوه « قطب » وأين هو ؟ طالما هو يَتَّهِم جميعَ المسلمين دون استثناء .

ولقد كانت كتب « سيد قطب » التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره ، والتي تنضح بتكفير المجتمع . . . وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع ، وقطع العلاقة مع الآخرين ، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة ، والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة ، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية ، يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسيره الشهير «في ظلال القرآن » في طبعته الثانية ، وفي « معالم في الطريق » ومعظمه مقتبس من « الظلال » وفي « الإسلام ومشكلات الحضارة » وغيرها . . .)[١] .

لقد اعتبرَ « قطبُ » المجتمعَ الإسلاميَّ مجتمعاً مُشْركاً في مواضع ظاهرةٍ من كتابيه « في ظلال القرآن »و « معالم في الطريق » ، وعقَّبَ على ذلك أنَّه يجبُ محاربة الشِّرْكِ ومحاربةُ أصحابهِ ، كما أشارَ إلى موضوع الحاكميَّةِ للهِ ، واعتبر أنَّ جميع المسلمينَ يعيشون في جاهليَّةِ القرنِ العشرين ، معتمداً على مثل هذه الآيات : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف :١٠٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف :١٠٦]. . . ويقول عن المسلمين : (نحن اليوم في جاهلية كالجاهليَّة الَّتي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهليَّة . . . تصورات النَّاس **وعقائدهم وعباداتهم** وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ،شرائعهم وأديانهم ، حتَّى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلاميَّة وفلسفة إسلاميَّة ، وتفكيراً إسلاميَّاً. . .هو كذلك من صنع هذه الجاهليَّة. . .)[٢] ، (إن المجتمعات القائمة كلها مجتمعات جاهلية وغير إسلامية)[٣] وهذه الجاهليَّة تقوم على (حاكميَّة البشر للبشر)[٤]، (وإنه لينبغي التصريح بلا وجل أن الإسلام لا علاقة له بما يجري في الأرض كلها اليوم ، لأن الحاكمية ليست له ، والبديل

---

(١) أولويات الحركة الإسلامية: د .يوسف القرضاوي . ص١١٧، د .ن ، الدوحة، ط١٢، ١٩٩٠م.

(٢) معالم في الطريق : سيد قطب . ص١٧ـ١٨ ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطُّلابيَّة ، ط ٣ ، ١٩٨٣م .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٩٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٤٧ .

الوحيد لهذه الأوضاع الزائفة هو أولاً وقبل كل شيءٍ قيام مجتمع إسلامي يتّخذ الإسلام له ، ولا تكون له شريعة سواه)[١] ، والعالم في نظره كلُّه في جاهليَّة ، (إنَّ العالم يعيش اليوم **كلّه في جاهليَّة**. . . هذه الجاهليَّة تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض ، وعلى أخصِّ خصائص الألوهيَّة وهي الحاكميَّة إلى البشر. . .)[٢] ، فالمجتمع كلُّه جاهليّ وإن صام وإن حج. . . (لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان)[٣] ، و(لقد استدار الزَّمان كهيئته يوم جاء هذا الدِّين إلى البشريَّة وعادت البشريَّة إلى مثل الموقف الَّذي كانت فيه يوم تنزَّل هذا القرآنِ على رسولِ الله ﷺ)[٤] ، ووجد أنَّ الأمَّة المسلمة لا وجود لها فقال : (ووجود الأمَّة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة. . . الأمَّة المسلمة جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوّراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلُّها من المنهج الإسلامي. . . وهذه الأمَّة بهذه المواصفات قد **انقطع وجودها** منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض **جميعا**)[٥] وفسَّر الألوهيَّة بالحاكميَّة فقال : (إنَّ الألوهيَّة تعني الحاكميَّة العليا)[٦] ، (فهو دين يقوم كلُّه على قاعدة الألوهيَّة الواحدة. . .)[٧] ، وأوَّل الإسلام عنده أن يقرَّ المسلم : (أن لا إله إلا الله وأنَّ الحاكميَّة ليست إلا لله ويرفض أن يقرَّ بالحاكميَّة لأحد دون الله ، ويرفض شرعيَّة أيِّ وضع لا يقوم على هذه القاعدة)[٨] ، وجاء الإسلام برأيه : (ليردَّ النَّاس إلى حاكميَّة الله)[٩] ، ولا تكون هذه العقيدة برأيه إلا : (بعد تحطيم الأنظمة السِّياسيَّة الحاكمة أو قهرها حتَّى تدفع الجزية وتعلن إسلامها)[١٠] ، ويعلن الثَّورة على جميع أنظمة الأرض قائلاً : (إنَّ إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناه : الثَّورة الشَّاملة على حاكميَّة البشر في كُلِّ صورها

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٩٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٨ .
(٣) المرجع نفسه ، ص٩ـ١٨ـ٤٤ـ٥٨ ، وانظر : في ظلال القرآن١/١٧٨ ، ٢ / ١٣٤ ، ٧٢٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢ ، ٨٢٤ ، ٣/ ٧٣٤ ، ٤/ ١٠٧ ، ٦٥٠ .
(٤) في ظلال القرآن : سيد قطب . ٣/ ١٦٣ .
(٥) معالم في الطريق : سيد قطب . ص٥ـ٦ .
(٦) المرجع نفسه ، ص٢٢ .
(٧) المرجع نفسه ، ص٣٠ .
(٨) المرجع نفسه ، ص٢٣ .
(٩) المرجع نفسه ، ص٤٧ .
(١٠) المرجع نفسه ، ص٥٨ .

وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها ، **والتَّمرُّد الكامل على كلِّ وضع في أرجاء الأرض** . . . إنَّ هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغْتَصَب وردُّه إلى الله ، وطرد المغتصبين له . . . إنَّ معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض . . .)[1] ، ويدعو لاستخدام القوَّة في ذلك قائلاً (حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادِّيَّة فلا بد من إزالتها أوَّلاً بالقوَّة . . .)[2] ، ويصرُّ على إيجاد تجمُّع حركي : (فلا بد من أن تتمثَّل في تجمُّع عضوي حركي في قواعده النَّظريَّة والتَّنظيميَّة . . .)[3] ، وينادي بإيجاد حزب إسلامي فمن لم يؤمن بهذه الأفكار فهو من حزب الشَّيطان والطَّاغوت ، ومن (آمن بهذه الدَّعوة وتقبَّلها بقبول حسن ، يصير عضواً في « **الجماعةالإسلاميَّة** » أو « **الحزب الإسلامي** »)[4] ، وغاية هذا الحزب (تغيير نظم الحكم وإقامة نظام الحق)[5] ، وأن يقضي على منابع الشَّرِّ والعدوان ، ويصوِّر خطوات هذه الثَّورة قائلاً : (وهذا يقتضي عمليَّة بعث في الرقعة الإسلاميَّة هذا البعث الَّذي يتبعه على مسافة ما بعيدة أو قريبة تسلم قيادة البشريَّة . . .)[6]، ويشرح عمليَّة البعث قائلاً : (إنَّه لا بدَّ من طليعة تعزم هذه العزمة ، وتمضي في الطَّريق ، تمضي في خضم الجاهليَّة الضاربة الأطناب في أرجاء الأرض جميعاً ، تمضي وهي تزاول نوْعاً من **العزلة** من جانب ، ونوعاً من الاتصال من الجانب الآخر بالجاهليَّة المحيطة . . .)[7] ، ويتصوَّر ما يلاقيه من شدَّةٍ وعَنت : (وسنلقى في هذا عنتاً ومشقة ، وستفرض علينا تضحيات باهظة . . .)[8] ، (وجرت السنة بأن تشنَّ الجاهلية حرباً لا هوادة فيها على العصبة المؤمنة ، الأمر الذي برز في تاريخ الإسلام . . .)[9] ، وينادي بإقامة (دار إسلام وهجرة)[10] ، وتتوضح هذه الدَّعوة الخطيرة ، والَّتي تطالب بإنشاء

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٩ـ٦٠ ، وانظر : ص٦٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٦ .
(٣) في ظلال القرآن : سيد قطب . ٤/ ٦٨ . وانظر : ٣/ ٩٥ .
(٤) المرجع السابق ، ٣/ ٧٦٢ .
(٥) المرجع السابق ، ٣/ ٧٦٢ .
(٦) معالم في الطريق : سيد قطب . ص٩ .
(٧) المرجع السابق ، ص٩ .
(٨) المرجع السابق ، ص١٩ .
(٩) المرجع نفسه ، ص١٩١ .
(١٠) في ظلال القرآن : سيد قطب . ٤/ ٧٥ .

مجتمعات إسلاميَّة معزولة في نصوص كثيرة ، والَّتي تبنَّت جماعة « التَّكفير والهجرة » فيما بعد هذه الفكرة ، فيتحدَّث عن المسلمين أنَّهم يقومون بتقوية المجتمع الجاهلي ، ولا بدَّ من (تجمُّع عضوي حركي منذ اللحظة الأولى. . . لم يكن بد أن ينشأ تجمع عضوي حركي آخر غير التَّجمع الجاهلي ، **منفصل ومستقل** عن التَّجمُّع العضوي الحركي الجاهلي الَّذي يستهدف الإسلام إلغاءه. . . وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ولاءه من التَّجمع الحركي الجاهلي ، في أيَّة صورة كانت ، سواء كانت في صورة قيادة دينيَّة من الكهنة والسَّدنة والسَّحرة والعرَّافين ومن إليهم ، أو في صورة قيادة سياسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة كالَّتي كانت لقريش ، وأن يحصر ولاءه في التَّجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد ، وفي قيادته المسلمة. . .)[1] ، ويشير إلى أنَّه لا بدَّ من قيادة إسلاميَّة تقود هذا التَّجمع ، وأفراد هذا التَّجمع يعملون تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي ، تنظِّم حركتهم وتنسقها ، وتوجِّههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الإسلامي ، ولمكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الآخر الجاهلي. . .)[2] ، (لا بد من درجة من القوة لمواجهة المجتمع الجاهلي ، قوة الاعتقاد والتصوُّر ، وقوة الخلق والبناء النفسي ، وقوة التنظيم والبناء الاجتماعي ، وسائر أنواع القوة التي يواجه به المجتمع الجاهلي ، قوة الصمود والتصدي ، وقوة التغلُّب عليه)[3] ، وبين يدي الباحث نصوص كثيرة من كتب « سيد قطب » في هذا الموضوع لا مجال لذكرها ، ولقد انطلق « قطب » من أن :

١ـ المجتمعَ الإسلاميَّ مجتمعٌ مشركٌ غير مسلم .

٢ـ الحكَّامَ في الأرضِ مشركونَ وكَفَرَةٌ ، لأَنَّهم لا يحكمون بما أنزل اللَّهُ .

٣ـ لا يكونُ المسلمُ مسلماً حتى يَقلِبَ نِظَامَ الحكمِ ويجعل الحاكميَّةَ لله .

ومن ذلك يمكن أن نستنتجَ أنَّه :

نَصَّبَ نفسَه أنَّه الحاكمُ الوحيدُ الَّذي أَصدرَ أَحكامَه وقرّرَ آراءه دون أحدٍ في الدُّنيا ، كما فعل السَّيِّد « المودودي » ، وزاد عليه بفكره الجهادي التصادمي ، وبهذا كأنَّه أصبحَ

(١) معالم في الطريق : قطب . ص٥٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص٥١ .
(٣) المرجع نفسه ، ص١٩١ .

يملكُ سُلْطَةً إلهيَّةً مُقَدَّسَةً منزَّهةً ، وهو ما وقع فيه رجالُ مذاهبِ وفرقٍ وأديانٍ غير الإسلامِ ، عندما نادوا بأَنَّ الإرادةَ الإلهيَّةَ هي مصدرُ كُلِّ سُلْطَةٍ على الأرضِ ، ونَصَّبُوا أنفسَهم أنَّهم خلفاءُ اللهِ في الأرضِ ، وأعطوا لآرائهم وسلوكهم مُبَرِّراً أَنَّهم يريدونَ أن يحقِّقوا خلافةَ الله في الأرض[1] ، فالمطالبَةُ بالحكومَةِ الإلهيَّةِ ، نظريَّاتٌ قديمةٌ ، وكأنَّ « سيِّد قطب » هو صاحبُ الخلافةِ الوحيدُ والقاضي الأوحدُ في هذا العالم .

وعندما انتشرت أفكار السَّيِّد « المودودي » وشرحها « سيد قطب » وفلسفها وجعلها نظرية حاكمية تكفيرية تصادمية ، تصدَّى لها الكثير من دعاة الإخوان في مصر ، فقد كتب المرشد العام للإخوان المسلمين بعد « حسن البنا » الأستاذ « حسن إسماعيل الهضيبي »[2] كتابه : « دعاة لا قضاة » يردُّ فيها على مفهوم المصطلحات الأربعة ومفهوم ربط الحاكميَّة مع السُّلطة معتبراً ذلك أنَّه لا يتوافق مع الواقع ، ولا مع العقل والنَّقل[3] .

و(يتصدى « الهضيبي » بشكل خاص للمضاعفات التكفيرية والتجهيلية والمنظومة المودودية القطبية ، ويفكّكها منهجياً في ضوء أطروحة « أهل السنة والجماعة » حول مسألة الكفر والإيمان ، تتلخص هذه الأطروحة بأن : (الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) ، وتمثل في نظرنا تركيباً جدليّاً للأطروحة (الخارجية) تكفير صاحب المعصية ، وللأطروحة (المرجئية) المضادة (لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة) ، ويقيد « الهضيبي » إلى أقصى حد آليات التكفير ويتحرَّز منها ، ويطرح وظيفة جماعة الإخوان كوظيفة دعاة لا قضاة أنَّ : (الداعية يقرر الأحكام الشرعية. . . ولكنه لا ينصب نفسه قاضياً ليحاكم الأفراد) والأصل في الجماعة لدى « الهضيبي » (ألا تتعرض للأشخاص بحكم). . . ويرى صفة الإسلام لا تزول عن المسلمين حتى وإن لم

---

(١) راجع : النظرية العامة للنظم السياسية : ثروت بدوي . ١/ ٩٤ وما بعدها ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

(٢) الأستاذ حسن الهضيبي (١٨٩١ـ ١٩٧٣) م ، هو واحد من كبار رجال القضاء المصري ، اختير سنة ١٩٥٠م مرشداً للإخوان بعد حسن البنا مع أنه لم يكن من الإخوان ، اعتقل عدداً من المرات ، وصدر ضده عام ١٩٥٤م حكم بالإعدام ، ثم خفف إلى المؤبد ، ثم أفرج عنه آخر مرة سنة ١٩٧١م .

(٣) انظر : كتاب دعاة لا قضاة : حسن الهضيبي . ص١٩ـ٢٠ .

يكن لهم جماعة أو إمام أو حكومة إسلامية حقة . . . ويحدد « الهضيبي » هنا بشكل حاسم جماعة الإخوان المسلمين كـ (جماعة من المسلمين) وليس كـ (جماعة المسلمين) وبالتالي فإن الخارج عليها أو غير المنضمِّ إليها ليس بكافر . . . ويرى خلافاً للحاكميين (أن من الشرائع التي جاء بها الإسلام ما يتغير ويتبدل مع تغيُّر الأزمان وتبدُّل الظروف والمناسبات) ، وأن من يعتقد أن بعض أحكام الشريعة مما يجوز له أن يتغير أو يتبدل متأوِّلاً في ذلك بعض النصوص ليس بكافر ولا مشرك ، ومن هنا ينقض الهضيبي القاعدة الأساسية لنظرية الحاكمية ويصفها بثبوت بطلانها وهي قاعدة أن (التشريع صفة من صفات الله عز وجل وأن من وضع تشريعاً فقد انتزع لنفسه إحدى صفات الله . . .)[١] .

وساعدت ظروف أخرى على انتشار هذه الأفكار التكفيرية التصادمية في صفوف الإخوان ، كالانقسامات والانشقاقات ، الَّتي حدثت في صفوف الإخوان بعد وفاة « البنا » ، وما لاقاه الإخوان بعد ذلك .

لقد تبنَّى عدد من الإخوان بعد « البنا » هذه الأفكار وخاصة الشباب ، هذه الأفكار الَّتي تعتبر أنَّ المجتمع جاهلي مشرك ، وأنَّ الإصلاح يبدأ من تغيير السُّلطات الحاكمة لتحقيق حاكميَّة الله ، وبدأت الصِّراعات بين جماعات هذا الرَّأي والسُّلطات .

إنَّ « سيد قطب » يحقُّ له أن يجتهد ، ولكن لا يجوز له أن يلغي كلَّ اجتهاد سابق أو لاحق ، والمعلوم أنَّ الشرع فيه ثوابت وفيه متغيرات ، والاجتهاد يكون في المتغيرات ، فمن يقوم بهذا الاجتهاد ؟ وهل هو محصور « بالسَّيِّد قطب » وحدَه .

وبدأت الحركةُ التَّصادميَّة التَّكفيريَّةُ تتَّخذ أشكالاً متعدِّدِة متأثِّرة بقطب وآرائه ، (لقد لعب « سيِّد قطب » في حياة جماعة الإخوان المسلمين دورين متميزين . . . وهي التي كانت السبب في تفرُّع الإخوان إلى فروع هي التي نعرفها بأسماء السلفيون ، الإخوان المسلمون ، المسلمون أو التكفير والهجرة ، الجهاد . . .)[٢] .

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٢٩ .

(٢) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، محاضرة بعنوان الصحوة الإسلامية في مصر ، د . محمد أحمد خلف الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، جامعة الأمم المتحدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

المطلب الثالث : التَّكفير بعد « سيِّد قطب »

لقد تأثَّرت كثيرٌ من الحركاتِ الإسلاميَّة بأفكار السَّيد « أبي الأعلى المودودي » و« سيّد قطب » الَّتي رَكَّزت على الكفر والشِّركِ والحاكميَّةِ ، وخاصَّة بعدما مُنيت الأمَّةُ العربيَّةُ بهزائم متلاحقةٍ ، وخسرت حروباً متعدِّدةً وخاصَّةً ما عانته الأمة من يأسٍ بعد حرب حزيران ١٩٦٧م ، ومن قبل حرب ٤٨ في فلسطين ، ويمكن أن نسمِّي هذه الحركاتِ بحركاتِ الغضب ، لقد تولَّد الغضبُ من اليأسِ والقنوطِ ، وخيبةِ الأملِ والظّلمِ ، والعدوانِ والممارساتِ الإفنائيَّة ، ومن الأزماتِ الاقتصاديَّةِ والسِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ ، كلُّ ذلك جعلَ جيلاً يائساً قانطاً ، حاقداً مُتبَرِّماً ، ومن أجلِ أن يبرِّر غضبه وانفعاله ، وتصادميَّته وشؤمه ، انكبَّ على كتب « سيِّد قطب » وأمثاله « كالمودودي » و« الوهّابيَّة » يبترُ منها النُّصوصَ الَّتي تُدعِّمُ انفعاله وغضبه وحالته المَرَضيَّةِ اليائسةِ ، ولعلَّ أولئك الكتَّابَ والمفكرين لم يريدوا من كتاباتهم ما أراده هؤلاء المتطرِّفون ، ولكنْ على أيةِ حالٍ فقد وُظِّفَتْ هذه النُّصوص باتِّجاه التَّطرُّف والتَّكفير .

ويعترف « قطب » ويصرح بأن ما كتبه وظِّف توظيفاً غير ما يريد ، فقد قال في التحقيق معه عقب أحداث ١٩٦٥م : (بعد الإفراج عني بعفو صحي في مايو ١٩٦٤ ، اتصل بي « عبد الفتاح إسماعيل »[١] وعرَّفني بمجموعة من الشبان. . . عرفت منهم بعد لقاءات عديدة ، أن وراءهم عدداً آخر من الإخوان ، وأن تنظيماً سرِّياً يرجع إلى عدة سنوات ، وأن هذا التنظيم قام على أساس أنه تنظيم فدائي للانتقام مما جرى للجماعة في ١٩٥٤م ، وأنهم الآن يدركون أن عملية الانتقام عملية تافهة لا تجيء عن طريق الانقلابات ، ولكن ماذا يمكن أن يفعلوا وهم اليوم أمام تنظيم قائم بالفعل ؟ لقد طلبوا مني في هذا الوقت أن أتولى قيادتهم في الناحية الفكرية فقط ، في ديسمبر ١٩٦٤م ، أو يناير ١٩٦٥م ، بدؤوا يكشفون لي عن طبيعة هذا التنظيم ، وفهمت أنه مكوَّن من عدة تنظيمات قام بها هؤلاء الأفراد كل على حدة أول الأمر ، ثم تلاقوا أثناء تحرُّكهم واستوثق بعضهم من بعض وتمَّ تكوين التنظيم برؤسائه الخمسة. . .)[٢] ، فنلاحظ في هذا القول أن الذين تأثّروا بقطب

---

(١) عبد الفتاح إسماعيل أُعدم مع سيد قطب ١٩٦٦ ، وتبنَّى أخوه علي عبده إسماعيل تأسيس جماعة التكفير والهجرة .

(٢) الإخوان المسلمون والتنظيم السري : د . عبد العظيم رمضان . ص ٣١٧ ، مكتبة روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

واتخذوا منه قائداً لهم ، كانوا من الجماعات القتالية التي ترغب بالانتقام .

فظهرت في مصر مجموعة « صالح سريَّة »[1] نيسان (إبريل) ١٩٧٤م ، ومجموعةُ « التَّكفيرِ والهجرةِ » ، ومجموعة « الجهادِ » ، فأمّا مجموعة « صالح سريَّة » فتنتمي لحزب « التَّحرير » الإسلاميِّ ، والَّذين يتبنُّون فكرة إقامة الخلافة في الأرض ، والذين يعتبرون أن المجتمعات الإسلامية الراهنة (أنها قد أصبحت دار كفر قطعاً وإن لم يكن جميع أفرادها كفاراً ، باستثناء من اعتقد منهم بفصل الدين عِن الدولة ، فهذا مرتدٌّ قطعاً ، ويجب أن يُستتاب أو يقتل ، والواجب هو قتل كل من ارتدَّ حتى ولو بلغ عدد المرتدِّين الملايين)[2] ، وقامت هذه المجموعةُ بالهجومِ على الكلِّيَّةِ العسكريَّةِ ولكنَّها فشلتْ[3] ، وحُكم على الدُّكتور « صالح سريَّة » ونائبهِ بالإعدامِ في ١١ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٩٧٥م .

ومجموعة « التَّكفير والهجرةِ » أسَّسها « علي عبده إسماعيل » شقيق « عبدِ الفتاح إسماعيل » الَّذي أُعدم مع « قطب » ١٩٦٦م ، وأسَّس « علي عبده » جماعته في سجونِ السِّتيناتِ لتكونَ نواةً للمجتمعِ الإسلاميِّ الَّذي يقومُ على أنقاضِ الكفرِ والجاهليَّةِ ، ويتولَّى « شكري مصطفى » بعد خروجه من السِّجن ١٩٧٠م ، تنظيمَ جماعةِ « التَّكفيرِ والهجرةِ » ، وبخمس سنوات يزيدُ أفرادها على خمسةِ آلاف عضوٍ في مصر ، ويُكْشَفُ

---

(١) صالح سريَّة (١٩٣٣ـ١٩٧٥) : ولد في فلسطين ، من مدينة جزيم وهي نفسها مسقط رأس تقي الدين النبهاني ، وبدأ نشاطه قبل عام ١٩٦٠م في العراق ، التي تزعم فيها جماعة الاغتيالات السياسية وسبق له أن انضمَّ إلى جماعة الإخوان المسلمين ، وتنقَّل في عدد من المنظمات الفلسطينية ، وبعد أن حصل على الجنسية العراقية التحق بإدارة اليونسكو العربية بعد وصوله إلى القاهرة عام ١٩٧١م ، في وظيفة باحث علمي حيث يحمل شهادة الدكتوراه في التربية ومناهج التعليم ، كان صالح سرية يرى أن الحكم القائم في بلاد الإسلام حكم كافر والمجتمعات في هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية. . . وعند صالح سرية أن الذي يقبل الواقع ويدعمه كافر والذي يرفضه ويسعى إلى تغييره مؤمن. . . فليس مهماً نشر العقيدة أولاً ولا تشكيل جماعة مؤمنة أولاً وإنما الاستيلاء على السلطة ثم فرض النظام الإسلامي وإقامة الدولة الإسلامية بعد ذلك. . . راجع : كتاب الإسلام لا يعرف العنف : نبيل فارس . ص٢١ وما بعدها ، الدار الشرقية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢م .

(٢) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٣٠ـ٣١ .

(٣) كانت الخطة تستهدف الاستيلاء على مخازن السلاح في الكلية الفنية العسكرية ، ثم مهاجمة موكب الرئيس السادات بهدف اغتياله والاستيلاء على السلطة .

هذا التَّنظيمُ عندما اغتالوا الدُّكتور « حسين الذَّهبي » وزير الأوقاف عام ١٩٧٧م .

والتَّنظيم الثَّالثُ هو تنظيمُ « الجهادِ » وترأَّسَهُ « محمّد عبد السلام فرج » ، والَّذِيْ كتبَ كتابَ « الفريضَةِ الغائبة » ، وهو الَّذي أقنع « خالدَ الإسلامبوليِّ » باغتيال « السَّاداتِ » ١٩٨١م . . .

وكلُّ هذهِ التنظيماتِ تُكَفِّر المجتمعَ ، وتعتبره جاهليّاً مُشْركاً ، ويبرِّرونَ لأنفسهم قَتْلَ المسلمينَ أفراداً وحكَّاماً لإقامة حُكْمِ اللهِ في الأرض « الحاكميَّة لله » ، هذا إلى جانب تبنّي أفكارِ « سيِّدِ قطبٍ » من قِبلِ أَفرادٍ لم يحملوا السِّلاحَ ضدَّ مخالفيهم ولكنَّهم دافعوا عن أفكارِ « سيِّد قطبٍ » وأداروا جدلهم عليها .

وإنَّ كثيراً ممن حملَ السِّلاح في سوريَّةَ كان بشكلٍ أو آخر قد تأثَّر بفكرةِ التَّكْفِير والإشراكِ والحاكميَّةِ ، وخاصة الذين تأثَّروا بفكر سعيد حوَّى (١٩٣٥ـ ١٩٨٧) الذي أعاد طرح نظرية الحاكمية التكفيرية التصادمية (الذي وإن كان يتريّث بالحكم على المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات كافرة ، ويفصِّل وصفها بمجتمعات فاسقة محكومة في الغالب بمرتدِّين أو منافقين أو كافرين)[١] . . . ويصفها في مكان آخر بالمجتمعات المرتدَّة والكافرة ، وأن المسلمين هم في مرحلة الردَّة عن الإسلام بعد الإسلام[٢] ، وقد طرح « حوَّى » في سياق ذلك جماعة الإخوان المسلمين كجماعة المسلمين وليس كجماعة من المسلمين ، ورأى أن الأدلة كلها تدلُّ على أن هذه الجماعة (الإخوان) هي أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين[٣] ، ولا يسع مسلماً أن يتخلَّف عنها كما لا يجوز لمسلم الخروج منها[٤] ، (وقد أثار ذلك المرشد الخامس[٥] . . . للإخوان المسلمين « مصطفى مشهور » ، ووصفه بأنه ادعاء باطل وافتراء

---

(١) انظر : جند الله ثقافة وأخلاقاً : سعيد حوى . ص١٠ ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧م .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٠ .

(٣) تقويم الفكر الحربي للتيارات الإسلامية : عبد الله فهد النفيسي . ص ١٣ ، دراسة موجزة مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، مجلد ٢٣ ، العدد الثاني ، ١٩٩٥م .

(٤) المرجع نفسه ، ص٢٠ .

(٥) مرشدو الجماعة إلى الآن : ١ـ حسن البنا ، ٢ـ حسن هضيبي ، ٣ـ عمر التلمساني ، ٤ـ محمد حامد أبو النصر ، ٥ـ مصطفى مشهور ، ٦ـ مأمون الهضيبي ، ٧ـ محمد مهدي عاكف ، ٨ـ محمود حسين أمين .

على الجماعة لا أصل له ، ما ادَّعته الجماعة من يوم نشأتها وأن سعيد حوَّى يعبِّر عن رأي واجتهاد فردي، وليس عن رأي الجماعة الذي يتحدَّد في أنها جماعة من المسلمين[1])[2] .

وتواكَب مع فكر « سيِّد قطب » التَّكفيريّ ، فكرٌ « وهَّابيٌّ » يعتمدُ على التَّكفير ولصقِ اتِّهاماتِ الشِّركِ ، وظهرت فتاوى بالتَّكفيرِ والشِّركِ بالعشرات ، وظهرتْ فئةٌ أخرى تحملُ رَدَّةَ فعل عليهم فكفَّروا « ابن تيميَّةَ »[3] ، و« محمَّد عبد الوهَّابِ » وكلَّ من سار على منهجهم ، وبدأت المعاركُ الكلاميَّةُ في بلدٍ كلبنانَ تنتقل من التَّكفيرِ إلى الاغتيالاتِ ، ولا نَدْري مَن وراءَ هذه الفِتَنِ التَّكفيريَّةِ الإفنائيَّةِ .

إنَّ مشكلةَ المسلمينَ لا تقفُ عند الخلافيَّاتِ ، إنّ أهمَّ مشكلةٍ تتمثَّلُ في إلغاءِ العقلِ وتجميدِ الفكرِ وتخديرِ الإرادةِ ، في إغلاقِ بابِ الاجتهادِ ، والاختلاف في الاجتهادات ، وإلغاء الآخر واجتهاده ، وقد يصل ذلك إلى التفسيق والتبديع والتكفير والتقتيل ، وتشهدُ السَّاحةُ الإسلاميَّةُ هذه الأيام مستجدَّاتٍ عصريّةً جديدةً نظراً لتعدُّد القضايا الجديدةِ الَّتي لم تكن موجودةً في عهد الرَّسولﷺ. . . إنّ علينا أن نفقه فقه الوحدةِ ، ونبذ الفرقةِ ، فالعالم كلُّه يتَّحدُ ، وتتجمَّع القُوى المعاديةُ لإفناء المسلمين ، فعلى دعاةِ الإسلام الواعين أن يُرَكِّزوا على مواطنِ الاتِّفاقِ قبل كُلِّ شيءٍ ، فالتَّعاونُ والاتِّفاق فريضةٌ وضرورةٌ .

المطلب الرابع : جماعةُ المسلمين أو جماعةٌ من المسلمين

لقد بدأت مشكلة التَّكفير عندما اعتبرت كُلُّ جماعةٍ متطرفة نفسَها ودعوتها أنَّها هي فقط وحدها : « جماعةُ المسلمينَ لا جماعةٌ من المسلمينَ » ، واعتبرت نفسها أنَّها هي « الفِرقةُ النَّاجية من النَّار » الَّتي عناها رسولُ اللهِ ، وكُلُّ من عداهم خارج عن الجماعةَ ،

---

(١) تساؤلات على الطريق والإرشاد : مصطفى مشهور . ص ٨٨ـ١٩٠ ، لبليدة ، الجزائر ، ١٩٨٩م .

(٢) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٢٩ـ٣٠ .

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد البارع شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام (٦٦١ـ٧٢٨) : الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام ، عَلَم الزهّاد نادرة العصر ، عني بالحديث وبرع في الرجال وعلل الحديث وعلم الكلام وغير ذلك ، من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهّاد والأفراد ، ألّفَ ثلاثمائة مجلد وامتحن وأوذي مراراً . انظر : الأعلام : الزركلي . ١/ ١٤٤ .

فمنذُ خروجِ الخوارجِ في التَّاريخِ الإسلاميِّ والَّذين يمثِّلونَ الإيمانَ المغلوطَ ، والَّذينَ عُرِفوا بكثرةِ عباداتهم وصلواتهم ، ولكنَّهم استحلُّوا دماءَ مخالفيهم ، فكان لهم نوايا طيِّبَةٌ وشعاراتٌ نبيلةٌ بينهم وبين اللهِ ، ولكن كانت الدِّماءُ والدَّمارُ بينهم وبين النَّاسِ ، ذلك الانفصامُ الحقيقيُّ بين الغيبِ والواقعِ ، وبين العبادةِ والمعاملةِ ، وبين حُبِّ اللهِ وحُبِّ مخلوقاتِه ، وبين الآخرةِ والدُّنيا ، بين المستوى العقديّ والمستوى السُّلوكيّ .

(هؤلاء العابدونَ السَّاجدونَ ، رقاقُ القلوبِ أمامَ اللهِ ، كانوا أقسى النَّاسِ وأغلظَهم على مخالفيهم من المسلمين ، كَتَبَ عنهم صاحب « فجر الإسلام » يقول : تَشَدَّدَ كثيرٌ منهم في النَّظَرِ إلى غيرهم من المسلمينَ فَعَدُّوهم كُفَّاراً ، بل كانوا يعاملونهم أشَدَّ من معاملةِ الكُفَّارِ ، ويحكونَ أن « واصل » رأسَ المعتزلةِ وقع في أيديهم ، فادَّعى ، أنَّه مشركٌ مستجيرٌ ليأمن شَرَّهم ورأى أن هذا يُنْجيه أكثرَ مما تنجيه دعواهُ أنَّه مسلمٌ مخالفٌ لهم ، وكذلك كان[١] ، واشتدُّوا في معاملةِ مخالفيهم من المسلمين ، حتى كان كثيرٌ منهم لا يرحمُ المرأةَ ولا الطِّفلَ الرَّضيعَ ، ولا الشَّيخَ الفاني ، بل لم يرضوا من مخالفيهم أن يقولوا إن عليّاً أخطأ في التَّحكيم ، وأنَّ عثمانَ أخطأ فيما أحدث ، بل لا بدَّ أن يُقِرَّ بكفرهما وكفرِ من ناصرهما وإلا فالقتلُ جزاءُ أولئك المخالفينَ . . . ومنْ أخبارهم أنَّهم التقوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم ، وأوصوا بالنَّصرانيِّ خيراً ، وقالوا : احفظُوا ذمَّةَ نبيِّكم)[٢] .

وكردِّ فعلٍ ظهرت المعتزلةُ وكفَّروا من سواهم ، وتشدَّد الشِّيعةُ ونسبوا لعلي كرم الله وجهه ولآلِ البيت والأئمَّةِ العِصمةَ . . . وظهرت جماعة من الحنابلة تكفر كل من لم يوافقها في موضوع الصفات واستمرت إلى اليوم ، واستمرَّت عمليَّة التَّكفيرِ حتى وصلَ بنا المطاف للقرن العشرين ، فنشر السَّيد « المودودي » نظرياته المتعلقة بالتَّكفير والشِّرك والحاكميَّة وجاهلية القرن العشرين ، وأطلق على جماعته اسم « جماعة المسلمين » الَّتي أعجب بها فيما بعد « سيد قطب » ، ووقعت فئة من الإخوانِ المسلمينَ بعد وفاة « حسن البنَّا » في الغلطةِ نفسها ، حين اعتبرت نفسها أنَّها جماعة المسلمين لا جماعةٌ من المسلمين ، وبدا ذلك واضحاً في كتابات « سيِّد قطب » و« أبي الأعلى المودودي » ثمَّ جماعةِ « حزب التَّحرير » و« جماعةِ التَّكفيرِ والهجرة » و« الجهاد » . . . .

---

(١) ورد تفصيل القصة في المطلب الثالث من المبحث الأول من الفصل الأول .

(٢) أزمة الفكر الديني : هويدي . ص١٣ وما بعدها .

يقول « محمَّد الغزاليّ » وهو شاهدٌ على الأحداث الَّتي وقعت بعد « حسن البنَّا » : (ولقد عجبتُ لخلافٍ وَقَعَ بين شبابِ الإخوانِ المسلمينَ أثارَهُ بعضهم بتساؤله : هل نحن جماعةُ المسلمينَ ، أم نحن جماعةٌ من المسلمينَ ؟ والإجابة على هذا السّؤال لها نتائجُ ذاتُ بالٍ ، بل نتائج ترتبطُ بها صيانةُ دماءٍ وأموال)[1] ، ووصل بهم الأمر للاعتقاد بأن : (الولاءَ للقيادةِ يُكَفِّرُ السَّيِّئاتِ ، وأنَّ الخروجَ عن الجماعةِ يمحقُ الفضائلَ)[2] ، هذا كالَّذي ذكرناه في أبحاث سابقة وهو اعتقاد كلِّ جماعة أنَّها وحدها الفئةُ النَّاجيةُ من النّار .

ويؤكِّد هذه المعاني « راشد الغنوشي »[3] الَّذي له رؤية تختلف عن رؤية الإخوان بعد « حسن البنَّا » يقول « الغنوشي » : (هناك خطأٌ سياسيٌّ شنيع ارتكبته « حركة البنَّا »[4] ولا يزال متواصلاً ، وهو أنَّ الحركة الإسلاميَّة تقدِّم نفسها وصيّاً على المجتمع وليس طرفاً فكريّاً أو سياسيّاً يستمدُّ مشروعيَّته من قوَّة الحجَّة وإقناع الجماهير ببرامجه ، إنَّ الحركة الإسلاميَّة ما زالت تستنكف بشدة أن تعتبر نفسها كغيرها من بقية الأطراف الأخرى ، طرفاً من المجتمع ، ومن هنا طالبت « حركة البنَّا » بحلِّ الأحزاب السياسية ، وما زال ضمير الحركة الإسلامية في وعيه أو لا وعيه يستنكف أن يكون حزباً ، ويصرُّ على أن يكون ناطقاً رسمياً باسم الجميع ، باسم الإسلام ، باسم المسلمين) ، ويضطر « حسن الهضيبي » المرشد الثاني للإخوان أن يكتب كتابه « دعاة لا قضاة » ليقف في وجه هذا التطرُّف وليحدِّد

---

(١) من معالم الحق : محمد الغزالي . ص٢٣٩ـ ٢٤٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٣٧٣ .

(٣) راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة الإسلامية في تونس : ولد عام ١٩٤١م في قابس جنوب تونس ، أنهى الثانوية في تونس عام ١٩٦٢م ، ثم ذهب إلى مصر ليدرس في كلية الزراعة ولكن عندما تدهورت العلاقات بين تونس ومصر عقب حرب ١٩٦٧م ذهب إلى سورية حيث حصل في عام ١٩٦٩م على ليسانس في الفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ثم عاد إلى تونس مروراً بفرنسة لمتابعة دراسته ، وعاد منها ليعمل أستاذاً للفلسفة عشر سنوات في ثانويات تونس ، وساهم في مجلة الصباح ، وأصبح في سنة ١٩٧٧م مديراً لمجلة (المعرفة) ، وفي يناير ١٩٨٠م سجن لمدة قصيرة ، وفي ٦ يونيو ١٩٨١م أعلن عن تشكيل حركة الاتجاه الإسلامي ومعه عبد الفتاح مورو وابن عيسى المدني وحبيب المكني .

(٤) حقائق حول حركة الاتجاه الإسلامي : راشد الغنوشي . ص٢٩ ، د . ن ، د . م ، ١٩٨٣م . وانظر : كتاب جنرالات الإسلام : أنور محمد . ص١١٥ ، دار AM ـ إي إم ـ ، القاهرة ، د . ت ، والكتاب غير موضوعي في كثير من أبحاثه .

أن جماعة الإخوان هم جماعة من المسلمين وليس جماعة المسلمين[1] ، بينما نرى « سعيد حوَّى » (١٩٣٥ـ ١٩٨٧) الحموي السوري ، يؤكد على أن جماعة الإخوان هم جماعة المسلمين ، ورأى أن الأدلة كلها تدلُّ على أن هذه الجماعة (الإخوان) هي أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين[2] ، فـ (لا يسع مسلم أن يتخلَّف عنها كما لا يجوز لمسلم الخروج منها)[3] .

(انقسم الإخوان الحركة الأم إلى عشرات الفرق ، وأصبح كل شيخ بعمة أو من غير عمة زعيماً من زعمائها ، يفتي ويحارب ويسالم ويقيم الدول في خياله ويسقطها ، ويضع الدساتير ويشطبها ، حتى كثرت الفتن وامتلأت بهم ساحات العمل المبتور أو السجون والمعتقلات أو السيارات المفخخة . . .

فغالبية زعماء الحركات الإسلامية اليوم هم زعماء من المهد إلى اللحد ، وهم على رأس الهرم أو لا أحد ، تماماً كالملوك والأباطرة إلا من رحم ربي منهم ، ومن اعتزل منهم يؤسس في الغالب جماعة جديدة أشدَّ من الشيطان على بقية الركب ، وبالتالي فمعظم الحركات الإسلامية تعاني من خلل بنيوي كما تعاني من زعاماتها . . .)[4] .

وسنتناول شرح هذه الفكرة في الفصل التَّالي عندما نتحدَّث عن سلبيَّات الحركات الإسلاميَّة .



(١) دعاة لا قضاة : الهضيبي . ص ٢٤٣ .
(٢) أورده النفيسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ـ٢٠ .
(٣) أورده النفيسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ـ٢٠ . ومثل هذه الفكرة نادى بها بعض علماء الحنابلة (أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا) كتاب المنازل أبو إسماعيل الهروي .
(٤) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد ، د . أحمد الطحان ، ص ١٥ .

المبحث الثاني
الإخوانُ المسلمونَ

***

المطلب الأول : تأسيس[1] الإخوان على يد « البنَّا »[2]

(كانت الدولة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين تمثل وحدة الشعوب والأمم التي تحت سيطرتها ، وكان منصب الخليفة يمثل هذه الوحدة ، ولكن استطاع « الطورانيون » وهم المنادون بالقومية التركية ، فرض سيطرتهم على الدولة العثمانية خلال جمعية الاتحاد والترقي واتخذوا نموذج الدولة القومية الأوربية ، وانهزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ ١٩١٨م) ، وتهافتت الدول الأوربية لاستعمار تركة الرجل المريض واقتسامها ، واستطاع « مصطفى كمال أتاتورك » أن يستولي على الدولة ثم ألغى ما تبقى من مظاهر الخلافة العثمانية في : ٣/ ٣/ ١٩٢٤م ، وألغى منصب الخلافة الذي كان يمثل وحدة الشعوب والأمم التابعة للدولة العثمانية ، وبذلك انهارت فكرة الجامعة العثمانية وأيدلوجيتها ، وفكرة « الجامعة الإسلامية » وفكرة « الجامعة الطورانية » ،

---

(١) انظر : كتاب الأصوليَّة في العالم العربي : تأليف ريتشارد هرير دكمجيان . ترجمة : عبد الوارث سعيد . ص١١٩ وما بعدها . وانظر : كتاب الموسوعة الميسَّرة في الأديان : ندوة الرياض . ص٢١ وما بعدها .

(٢) عن شخصية حسن البنا انظر : كتاب الفكر الإسلاميِّ المعاصر : تأليف غازي التَّوبة . ص١٩٧ وما بعدها . وكتاب الإخوان المسلمون : للمؤلف إسحاق موسى الحسيني . ص٢٥ـ٣٨ ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٥٦م .

وظهرت أيدلوجية الدولة أو الأمة القومية التركية الحديثة « الكمالية » ، لقد أصبحت الشعوب والأمم الإسلامية فجأة بلا خليفة يجمع شتاتها ، وبلا قوة تحمي بلادها التي تُكتسح من الاستعمار الغربي ، وبلا مناعة أمام مغريات المدنية الأوربية وما رافقها من أخطار وقوة وتقدم وصناعة ، وظهرت الصراعات العملية والفكرية بين القومية التركية وباقي القوميات ، وبين حركات ودعوات تنادي بإرجاع الخلافة الإسلامية لأنها رمز الوحدة وبين المدنية الأوربية لأنها رمز القوة الحديثة ، وبين الإسلام وبين العلمانية ، بين المدرسة التقليدية « الإسلامية » ، وبين المدرسة الحديثة « الأوربية العلمانية » وبعض المدارس التي كانت توفيقية إصلاحية كدعوة الشيخ رشيد رضا[١٨٧١ـ ١٩١٨] وأستاذه محمد عبده [١٨٤٩ـ ١٩٠٥] ، وجمال الدين الأفغاني [١٨٣٩ـ ١٨٩٧] .

وبحث العرب الذين اضطُهدوا في زمن الطورانيين ثم استقروا بعدئذ واستُعْمِرَ جزءٌ من بلادهم قبل ذلك بحثوا عن وجودهم ووحدتهم ، فلم يمضِ أحد عشر يوماً على قرار إلغاء الخلافة العثمانية حتى أقام الشريف حسين حفلاً لمبايعته خليفة للعرب في : ١٤/ ٣/ ١٩٢٤م ، وكذلك الملك فؤاد في : ٢١/ ٣/ ١٩٢٤م ، وهكذا كثرت وتعددت الدعوات لخليفة أو لفكرة الخلافة .

لقد ساد العالم الإسلامي فراغ عاطفي والتمس أملاً يخرجه من فرقته واستعماره ومشاكله .

وفي هذا الجو أسس حسن البنا [١٩٠٦ـ ١٩٤٩] ، حركة الإخوان في آذار ١٩٢٨م في مدينة الإسماعيلية بمصر ، وتعتبر (امتداداً حركياً للإصلاحية السلفية المشرقية في شروط مواجهتها الحادة للنموذج العلماني الكمالي ، ومحاولة تطويق آثاره وامتداداته في العالم الإسلامي . من هنا يمكن القول إن الرأي الذي يربط النشأة المباشرة للإخوان المسلمين بالرد على « إسقاط الخلافة وتقدم العلمانية » هو رأي دقيق للغاية . .)(١) .

أُسِّسَتْ حركة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨م ، على يد « حسن البنَّا » ، وكان يعملُ مدرِّساً في الإسماعيليَّة في مدرستها الابتدائيَّة في فترةِ صراعٍ بين الوطنيَّةِ المصريَّةِ والحكَّام العُملاءِ وأسيادِهم الأوربِّيِّين المُسْتَعْمِرينَ ، وصراعٍ آخرَ بين دُعاةِ حلِّ المشكلاتِ ببديلٍ علماني مُسْتَمد من الغربِ وحضارتِه وبين البديلِ الإسلامي المستمدِّ من الشّرعِ والدِّينِ ،

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ١/ ٤٣ .

والَّذي نادت به مدرسةُ « محمد عبده » ، وتأثَّرَ « البنَّا » بمدرسة « عبده » الإصلاحيَّةِ بملازمتهِ لكتابات الشّيخِ « محمَّد رشيد رضا »[1] ، واستحوذَ عليه موضوعُ التَّبشيرِ وأعمالهم ، والاستعمارِ وخطورتِهِ وفساد الحكم ، وسلك البنَّا الطَّريقةَ الحصافيَّةَ الصُّوفيَّةَ على يدِ الشَّيخ « عبد الوهَّاب الحصافيِّ » .

لقد نشطت حركةُ الإخوانِ في منتصف الفترةِ بين الحربينِ العالميَّتين ، وقد رافق هذه الفترة اضطِّرابٌ وفوضى في العالم عامَّة ، وفي البِلادِ الإسلاميَّةِ ، وزرعُ إسرائيل في قلبِ الوطنِ العربيِّ والإسلاميِّ .

(ومصر الَّتي تُذكر في كُلِّ مناسبةٍ أنها تتزعَّمُ الإسلامَ بأزهرِها العتيدِ ، أقدمِ جامعاتِ العالم الدِّينيَّة ، كان يثيرُ حفيظتها ما يفعلُه الاستعمارُ الغربيُّ في ديارِ الإسلام ، وتجلَّى دفاعُها عن المسلمين ونضالهم بمناسبةِ ثورة الرِّيف (١٩٢٤ـ ١٩٢٥م) ، وضربِ دمشقَ (١٩٢٥م) ، وحوادثِ حائطِ المبكى (١٩٢٩م) ، وحوادثِ الظَّهير البربري (١٩٣٠م) ، الَّذي استهدفَ تنصيرَ ملايين المسلمينَ من قِبَلِ فرنسةَ في الشَّمال الإفريقيِّ ، ولا نكرانَ أنَّ معظمَ هذه العواطفِ نحو البلاد العربيَّة الأُخرى وبخاصَّة فلسطينَ ، كان حافزها الدِّينُ . . .)[2] ، ويتنامى الشُّعورُ الوطنيُّ والقوميُّ والإسلاميُّ في هذه الفترة ، حيث استُعمر أغلب الوطن الإسلاميِّ عامَّة والوطن العربيِّ خاصَّةً ، (غيرَ أَنَّ رؤساءَ الوزاراتِ المصريَّةِ المتتاليةِ النَّاطقين بلسان مصر لم يلتفتوا إلى أيَّةِ دعوةٍ من الدَّعوتين الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ ، ولعلَّ مَردّ ذلك إلى أنَّهم يرغبون في الإبقاءِ على عطفِ الدُّولِ الغربيَّةِ وتأييدها لمصر أثناءَ مواجهتها الاحتلالَ البريطانيَّ[3] ، فإنّ مصرَ باستمالتها الرَّأيَ العامَّ الدُّوليَّ تستطيعُ أَنْ تُوازنَ به النُّفوذَ البريطانيَّ ، والرأيُّ العامُ الغربيُّ يهمُّه أَنْ تبقى مصرُ بمعزلٍ عن التَّيَّارات العربيَّةِ والإسلاميَّةِ الَّتي تسببُ نفورَ الأَقلِّيَّاتِ الدِّينيَّة

(١) يؤكد هذا : كتاب الحركات الإسلاميَّة المعاصرة في الوطن العربي : إصدار مركز دراسات الوحدة العربية . ص٤٣ ، جامعة الأمم المتحدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٩م ويذكر أنَّ الإخوان هم استمرار لحركة الشّيخ رضا ، فيقول : (وأنّه لمن اليسير على من قرأ تفسير المنار ، ومجلة المنار ، أن يردَّ تراث الإخوان الذي صنعه البنَّا وعبد القادر عودة إلى الشّيخ رشيد رضا) .

(٢) تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر : د . أحمد طربين . ص٣٨١ ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .

(٣) وهناك سبب آخر وهو تبعية الكثير منهم للإنكليز وعمالته لهم .

المصريَّة من جهةٍ ، وقلق الجالياتِ الأجنبيَّة على ما لها من امتيازات من جهة ثانية)[1] .

(وقد صبغَ الإخوانُ الوطنيَّةَ المصريَّةَ بصبغةِ الجهادِ ضدَّ الإنكليزِ لتحرير الوطن منهم ، ثمَّ الانتقالِ إلى بلاد العربِ والمسلمينَ ، ومعلومٌ أنَّ هذه الجماعات الإسلاميَّة برزت على المسرحِ السِّياسيِّ والفكريِّ كنتيجة حتميَّةٍ لخضوعِ مصر للاستعمار الغربيِّ المسيطرِ على معظمِ مقدراتِ العالمين العربيِّ والإسلاميِّ)[2] .

وكتب رسائله اثنتي عشرة رسالة وهي :

الرِّسالة الأولى : رسالة التَّعليم ، ويشرح فيها أركان البيعة (الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتَّضحية ، والطَّاعة ، والثَّبات ، والتَّجرد ، والأخوة ، والثِّقة) كما يشرح أركان الجماعة المسلمة ويسمِّيها الأسرة (التَّعارف ، والتَّفاهم ، والتَّكامل) .

والرِّسالة الثَّانية : رسالة الجهاد ، ويتحدَّث بها عن فرض الجهاد وأدلَّته وأهدافه .

والرِّسالة الثَّالثة : يشرح خصائص دعوته أنَّها (ربَّانيَّة عالميَّة. . . ربَّانيَّة إنسانيَّة) ، ويفصِّل بين العقليَّة الغيبيَّة والعقليَّة العلميَّة ، ومكان القوميَّة والعروبة والشَّرقيَّة والعالميَّة من هذه الدَّعوة ، ويتحدَّث عن الفرد المسلم والبيت المسلم والأمَّة المسلمة ، ثمَّ يتحدَّث عن أهداف جماعته .

والرِّسالة الرَّابعة : يشرح معنى (دعوتنا) إلى أي شيء ندعو النَّاس ، نحو النُّور .

ورسالة نحو النُّور بعثها إلى الملك فاروق ورئيس الحكومة مصطفى النَّحاس وإلى عدد من ملوك العالم الإسلامي وحكَّامه ، وفيها يضع مخطَّطاً لحل مشاكل العالم الإسلامي بمنهج إسلامي .

والرِّسالة الخامسة الَّتي سمَّاها (بين الأمس واليوم) يقارن بين حال المسلمين في زمن النَّبي ﷺ وتأخر المسلمين اليوم ، ويرسم خطَّة للنهوض بالمسلمين .

والرِّسالة السَّادسة : هي رسالة ألقاها في المؤتمر الخامس ، تحدَّث فيها عن غاية الإخوان وخصائص دعوتهم ووسائل الإخوان وخطوات منهاجهم ، وموقفهم من الهيئات المختلفة .

---

(١) تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر : د أحمد طربين . ص٢٨٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص٢٨٢ .

والرِّسالة السَّابعة : هي خطاب ألقاه يوم ٤/ ٤/ ١٩٣٩م على الإخوان ، تحدَّث فيه عن الدَّعوة الإسلاميَّة الأولى ، وواقعها اليوم ، وأمراض المجتمعات الإسلامية ، ومهمَّة الإخوان وغايتهم .

والرِّسالة الثَّامنة : يشرح (مشكلاتنا في ضوء النِّظام الإسلامي) ويقصد مشكلات العالم الإسلامي ، وخاصَّة (النِّظام الاقتصادي) .

وفي الرِّسالة التَّاسعة يشرح (مشكلاتنا الدَّاخليَّة في ضوء النِّظام الإسلامي) ، وخاصَّة (نظام الحكم) .

وفي الرِّسالة العاشرة يفصِّل في (العقائد) .

وفي الرِّسالة الحادية عشرة والمُعَنونة بـ (المناجاة) ، فيها منهج لتزكية النَّفس وتربيتها ، وحثِّها على العبادات والأذكار .

والرِّسالة الثَّانية عشرة هي رسالة (المأثورات) ، وهي تحثُّ على الذكر والأوراد ، مع ذكر أدعية وأوراد مأثورة .

وناهز عددُ جماعتهِ نصف المليونِ ، حتى غَدَت في أوائلِ الأربعيناتِ من أقوى المنظَّماتِ في مصر ، وعند نهايةِ الحربِ الثَّانيةِ بلغت أوجَها ، وخاصَّةً عندما كافحت ضدَّ القصرِ والوفدِ والبريطانيِّين (ويستطيعُ الباحثُ أَنْ يلحظَ عدَّةَ أطوارٍ ومراحل في تاريخِ هذه الحركةِ[1] :

١ـ مرحلةَ التَّكوينِ (١٩٢٨ـ ١٩٣٦م) ، وسادت في هذه المرحلةِ الأنشطَةُ الدِّينيَّةُ والاجتماعيَّة . . .

٢ـ مرحلةَ النَّشاطِ السِّياسيِّ والانتشارِ والمحنةِ (١٩٣٦ـ ١٩٥٢م) ، بعد توقيعِ المعاهدةِ الإنكليزيَّةِ المصريَّة عام (١٩٣٦م) ، بدأ « حسن البنَّا » بالدِّفاع عن قضيَّة العربِ الفلسطينيِّين ، الأمرَ الَّذي أتاح له توسيعَ نشاطِ جمعيَّته في كاملِ منطقةِ الشَّرقِ الأوسطِ وبشكلٍ خاص في سوريَّة ، وقد بوَّأه هذا النَّشاطُ في مصرَ مكانةً مرموقَةً ، وقد سُجن

(١) جيلبر دولانو ، مؤرخ ومستعرب فرنسي ، أستاذ ورئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في المعهد الوطني للغات والحضارة الشرقية بباريس MUSLIMON_AL IKHWAN_AL ، gibert DElANOue ، ENCYCLOP&Eacute ؛ L'ISLAM DE DIE ، ٢EDITION ، ١٩٦٨ .

« حسن البنَّا » لبعض الوقتِ أثناءَ الحربِ العالميَّة الثَّانية عام (١٩٤١م) بسببِ نشاطهِ العدوانيِّ على الإنكليزِ ، ويبدو أنَّه ومنذ ذلك العهدِ كانَ للضُّبَّاطِ الأحرارِ ـ الَّذينَ استلموا السُّلطَةَ فيما بعد في ٢٣ تموز ١٩٥٢م اتِّصالاتٌ وعلاقَاتٌ ودِّيَّةٌ مع الإخوان ، غيرَ أنَّ الحركتين بقيتا دائماً مستقلّتين الواحدةُ منهما عن الأُخرى . . .) .

وفي هذه الفترة أسَّس « البنا » عدَّة مجلات وجرائد إخوانيَّة ، فقد أصدر جريدة « الإخوان المسلمون » الأسبوعيَّة سنة ١٩٣٣م ، واختير الأستاذ « محب الدين الخطيب » (١٨٨٦ ١٩٦٩م) مديراً لها ، ثمَّ صدرت « النَّذير » في ١٩٣٨م ، ثمَّ « الشهاب » في ١٩٤٧م ، وتتالت المجلات والجرائد .

و(إذا كانت فترة الإسماعيلية (١٩٢٨ـ ١٩٣٢) تمثل الطور التأسيسي لجماعة الإخوان المسلمين فإنه يمكن تقسيم تطورها إبَّان إقامة مؤسسها حسن البنا (١٩٢٨ـ ١٩٤٩) إلى ثلاث مراحل أساسية متصلة ومتداخلة فيما بينها هي : مرحلة الدعوة والتبليغ (١٩٣٢ـ ١٩٣٩) ومرحلة المأسسة والتسييس (١٩٣٩ـ ١٩٤٥) التي ترتبط باستكمال البُنى التنظيمية والإدارية والمؤسساتية للجماعة ، وتكوين الجهاز الخاص ، والتحول إلى تنظيم عالمي ، ومرحلة العمل والمواجهة (١٩٤٥ـ ١٩٤٩) التي انتهت بحل الجماعة في مصر ومصادرة ممتلكاتها واعتقال كوادرها واغتيال البنا نفسه في ١٢ شباط ١٩٤٩م ، ودخول الجماعة فيما بات يُسمى إخوانياً « بالمحنة » ، تطابق هذه المراحل المتداخلة ما سماه « البنا » على التوالي بمراحل « الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها » و« التكوين وتخيُّر الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين المدعوِّين » و« التنفيذ والعمل والإنتاج » .

وقد ارتبط تحديد هذه المراحل وفرض التقيُّد الصارم بأولويات كل منها بالبنَّا نفسه ، فقاوم بحزم أية مبادرة لتجاوزها أو خرقها أو اختصارها ، ووصفها بأنها مصممة وفق خطة موضوعة « دُرست خطواتها وحدودها » ، وفق مبدأ التدرج في الخطوات ، وهو ما يفسر تحذير البنَّا لمن سماهم في ك١/ ١٩٣٩م بـ « المتحمِّسين المتعجِّلين » الذين يريدون اختصار هذه المراحل)[1] .

وابتداءً من (١٩٤٣م) دخَلَ الإخوانُ في حالةِ تنافسٍ مع الشُّيوعيِّينَ المتحالفينَ مع

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ١/ ٥٠ وما بعدها .

الجناحِ اليساريِّ في حزبِ الوَفدِ ، الَّذينَ كانوا يسعون بدورهم إلى تسييسِ الطُّلابِ وعمومِ الشَّعبِ المصريِّ مثلما كان يفعل الإخوان . . .

وقدَّم الإخوانُ المسلمونَ متطوِّعينَ منهم ، قاتلوا جنباً إلى جنْبٍ مع الجيوشِ العربيَّةِ في حرب فلسطين عام (١٩٤٨م) ، وبعد هزيمة العربِ في هذه الحربِ ظهر الإخوانُ وكأنَّهم قوَّةٌ منظَّمةٌ ومسلَّحةٌ ، يُخشى جانبُها من قِبَلِ الحكومةِ المصريَّةِ ، ولذلك سارعت حكومةُ « النَّقراشيِّ » إلى إصدار قرارِ حلِّ جمعيَّتهم ، ومصادرةِ جميعِ ممتلكاتهم ، وسجنِ الكثيرِ من كوادرهم ، وقد اغتالَ « النَّقراشيَ » بتاريخ (٢٨/ ١٢/ ١٩٤٨م) أحدُ عناصرِ الجهاز الخاص للإخوان بدون علم « البنا » الذي استنكر الحادث ، وبعد ذلك بوقت قصير ، اغْتِيل « حسن البنَّا » نفسُه في (١٢/ ٢/ ١٩٤٩م) ، وقد انتُخبَ القاضي « حسن إسماعيل الهضيبي » كمرشدٍ عامٍّ للإخوان بعد موت « البنَّا » ، لكنَّ سلطة « الهضيبيِّ » كانت موضعَ تنازعٍ ونقاشٍ دائماً ، وتمكَّن الإخوانُ في (١٩٥١م) من استئنافِ أنشطتهم بشكلٍ عَلني بموجب قانون الجمعيَّات (٢٣نيسان) . . . (فقد ساهموا في العمليَّات الفدائيَّةِ ضدَّ القواعد الإنكليزيَّةِ في منطقة قناة السّويس)[1] ، وعن أَهدافِ الإخوانِ في هذه المرحَلَةِ فقد : (وضعَ الإخوانُ المسلمونَ لأَنفسهم هدفين أساسيَّين كبيرين ، وسعوا بكلِّ الوسائلِ لتحقيقهما ، أمَّا الهدفُ الأوَّلُ فقدْ كانَ يتمثَّلُ في الكفاحِ ضدَّ الغزوِ والاستعمارِ الغربيِّ في جميعِ أَشكالِهِ ، فقد دعوا على الصَّعيدِ الخارجيِّ إلى العمل على تحرير جميعِ البلاد الإسلاميَّة من كافَّةِ أَشكالِ الهيمنةِ الخارجيَّةِ ، ودعوا على الصَّعيد الدَّاخلي إلى أَسلمةِ الحياةِ المصريَّة من جديدٍ وتحريرها من جميعِ نواحيها من النُّفوذِ الغربيِّ ، هذا النُّفوذُ الَّذي اخترقَ الحياةَ المصريَّة. . .)[2] .

المطلب الثاني : خللٌ في الجماعة

لم تستطع الجماعة تحقيق ما كان يصبو إليه العالم الإسلامي من حل مشاكله ، وتحقيق أمنياته ، وإلى جانب ذلك ، فقد وجد البنا خللاً فادِحاً ، وفساداً خطراً ، في بُنيان تنظيمه الدَّاخلي ، وفي بنيان جماعتِه ، يتَّسِعُ ويكبرُ ، ويتنبَّأ بخطورته ، وذلك بتسلُّل قياداتٍ ضعيفةٍ أو مأجورةٍ أو مدسوسةٍ أو مشبوهةٍ لرأس هرمِ تنظيم الإخوانِ ، ولا يستطيع

---

(١) ENCYCLOP&Eacute ؛ L'ISLAM DE DIE ، P ١١١ـ١١٢ .

(٢) ENCYCLOP&Eacute ؛ L'ISLAM DE DIE ، P ١١٢ـ١١٣ .

أن يوقف هذا التيار بل جرفه وسبَّب قتله سنة ١٩٤٩م ، فكان ضحية هذا الانحراف ، وبدأت الانقسامات والانسحابات والاعتراضات والمحاكمات والإدانات تظهر في صفوف الإخوان فيما بينهم ، وتنال قياداتهم ، وخاصة عندما حُوكم « أحمد السكري » : وهو من أخلص أصدقاء البنا ، ورفيق دربه منذ سنة ١٩٢٢ ، وقد أسس مع البنا الجمعية الحصافية الخيرية ، وكان السكري رئيساً لها والبنا نائبه ، وكان يعتبر نفسه المؤسس الفعلي للجماعة ، وهو الذي ظل المتكلم الأول والمفاوض الأول والمعتمد الأول في الجماعة حتى انشقاقه في تشرين أول عام ١٩٤٧ ، واتهام قيادة الجماعة بالانتهازية والمصلحية واستبداد القيادة والبنا . . وكان من جملة الأسباب التي كتبها في جريدة « صوت الأمة » في نقده لحركة الإخوان : « تسلُّل عناصر انتهازية إلى الجماعة ، وعدم فورة واستجابة « البنا » إلى (تقويم ما اعوج من الجماعة) ، وانزلاق البنا بالجماعة في « تيار السياسة الحزبية »[(١)] ثم محاكمة « عبد الحكيم عابدين » السكرتير العام للجماعة وصهر « البنا » ، ثم تقديم استقالته ومهاجمته لمكتب الإرشاد . ولقد فصل عن الإخوان فيما بعد أشقاء « حسن البنا » السيد « عبد الرحمن » ، و« عبد الباسط » ، ورفقاؤه في الدرب مثل : « حسن الباقوري » الذي سيَّر أمور الجماعة بُعيد اغتيال « البنا » فقد صدر بحقه الفصل في تشرين الأول ١٩٥٢ ، وكذلك « صالح العشماوي » رئيس تحرير « مجلة الدعوة » ، وكذلك « مصطفى مشهور » ويتّهمه مكتب الإرشاد العام بقيادة « صالح العشماوي » وكيل الجماعة آنئذ بأنه انحرف عن مبادىء الإخوان ، وكذلك يُفصل « أحمد عبد العزيز » ، و« محمد الغزالي » ، و« سيد سابق » وعدد من الإخوان المؤسسين للجماعة ، وتوالت الانقسامات بعد ذلك والخلافات بين الإخوان أنفسهم وبين خصومهم ، وتدخَّل الجهاز السرِّي الخاص في حلِّ الخصومات بالقوة والسلاح ، حتى بالاغتيالات ، هذه الحقيقةُ لم تؤخذ من أعداءِ الجماعَةِ ، ولا من خصومِهم ، ولكن كتَبَ عن هذه الفترةِ شاهدُ عصرٍ عليها ، من أقرب المقرَّبين « لحسن البنَّا » ، الَّذي لازمه وشاركه منذ بدايات تأسيس « الإخوان المسلمين » حتى ساعة قتله ، هذا الشَّاهد هو « محمَّد الغزالي » فلقد ظهرت بوادر التَّطرُّف والإرهاب والتَّكفير في زمن البنا .

يقول « محمَّد الغزالي » : (وكان الأستاذ « حسن البنَّا » نفسُه ، وهو يؤلِّفُ جماعَته

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ص١٥٢ـ١٥٥ ، وقد نقلها عن أنور الجندي في حديثه عن حسن البنا .

في العهدِ الأوَّلِ ، يعلمُ أَنَّ الأعيانَ والوجهاءَ وطلابَ التَّسليةِ الاجتماعيَّةِ الَّذين يَكثرونَ في هذه التَّشكيلاتِ لا يصلحون لأوقاتِ الجِدِّ ، فألَّفَ ما يسمَّى « بالنِّظامِ الخاصِّ »[1] أو الجهاز الخاص أو (الجهاز السري) ظهر بشكل منظَّم في أوائل عام : ١٩٤٣م ، وكان غايته الوقوف في وجه الإنكليز والاستعمار ، أو أعداء الإخوان ، ولكن انقلب فيما بعد على الإخوان فأصبحوا يغتالون ويقتلون بعضهم . (ليس من المناسب أن يكون على رأس هذا الجهاز طالب في الجامعة لا يتعدى ٢١ سنة ، دون أن يدرك حسن البنا أن هذا (النظام الخاص) سوف يورط الجماعة في المآزق السياسية ، وسوف يعرضها للحل والمطاردة والتشريد ، جراء الأعمال اللامسؤولة التي انغمس بها مثل قتل القاضي أحمد الخازندار ورئيس الوزراء النقراشي ، وحادث المحكمة ، وحادث جوده رئيس مجلس النواب ، وإلقاء القنابل على النادي البريطاني ، فكل هذه العمليات لم تحظَ بقدر كافٍ من التخطيط السليم ، والروايات التي ترويها مصادر الإخوان أنفسهم فيما يتعلق بفقدان كل سلطان لحسن البنا على قيادة (النظام الخاص) والتصرفات اللامسؤولة التي انغمست فيها تحت قيادة عبد الرحمن السندي ، وفي رأيي أن قيام (النظام الخاص) من الأساس كان اجتهاداً في غير محله . . .)[2] .

ويقول الغزالي عن شبان النظام الخاص : (**وتحوَّلوا إلى أداةِ تخريبٍ وإرهابٍ في يد من لا فقهَ لهم في الإسلامِ ولا تعويلَ على إدراكهم للصَّالحِ العام . . .**) ، ويتحدَّث عن معاناة « حسن البنَّا » من هؤلاء ومحاولةِ إصلاح الجماعةِ وحمايتها من التَّطرُّف والإرهاب قبل وفاته ، فيقول : (وقد قال « حسن البنَّا » فيهم ، قبل أن يموت ، **إنَّهم ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين**)[3] ، وخاصَّةً أنَّ « حسن البنَّا » استنكر مقتلَ « النّقراشيِّ » وتنبَّأ بخطورة الموقفِ ، ودلَّ ذلك على عدمِ علمه بتنفيذ القتلِ ، يقول فريد عبد الخالق ، وهو أحد كبار الإخوان وشغل عضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان منذ أيام البنا ، وكذلك أيام الهضيبي ، وسجن قرابة عشر سنوات ، يقول معلقاً على اغتيال الخازندار والنقراشي :

---

(١) وهو نظامٌ يضمُّ شباباً مدرَّبينَ على القتالِ ، كان المفروضُ من إعدادِهم مقاتلةَ المحتلِّينَ الغُزاة من إنكليزٍ ويهودٍ . . . وقد كان هؤلاءِ الشُّبَّانُ الأخفياءُ شرّاً وبيلاً على الجماعة فيما بعد ، فقد قتل بعضهم بعضاً .

(٢) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية ، « الإخوان المسلمون في مصر التجربة والخطأ » : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢١٦ـ٢١٧ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٦٤ .

(وقعت تلك التصرفات الفردية من قيادة وبعض أعضاء النظام الخاص دون علم المرشد ، وعلى غير منهج الجماعة ووسائلها في تحقيق أهدافها ، التي ليس منها الاغتيال أو العنف ، وقد اعتبر حسن البنا ذلك خروجاً على نظام الجماعة ، ولكن الظروف لم تكن تسمح بعلاج هذا الأمر الذي أضرَّ بالجماعة وسمعتها)[1] ، ويتحدَّث الغزالي عن تسلُّلِ أعداءِ الإسلامِ إلى المراكزِ القياديَّة في « حركةِ الإخوان » ، قائلاً : (هل ستُتركُ الأيدي الخفيَّة تلعب بِزمام الحركةِ الإسلاميَّة الكبيرةِ ؟ وتَشُلُّ نشاطَها في ميادين الحياةِ. . .)[2] ، ويتحدَّثُ عن سببِ الوصولِ إلى هذه المراكز القياديَّة : (فوجئنا بالدُّخلاء على الجماعةِ يُغَيِّرُونَ سيرَها ومنهاجها. . . كانت المجموعةُ من الإخوان تتألَّف في القرية أو في المدينة ، فيستطيعُ أيُّ رجلٍ غنيٍّ أو قويٍّ أن يكونَ في صدارتِها ، وأن يتجاوبَ معها قليلاً لتتجاوبَ هي معه كثيراً. . . فإذا نظرنا إلى من انضمَّ إلى الجماعةِ من هذه الفئاتِ وجدنا نسبةَ الكفاءةِ الفنِّيَّةِ والخلقيَّةِ تتذبذبُ فوق الصِّفر. . . بل إنَّ الإخوانَ أنفسَهم اضطَّروا في أغلبِ قضاياهم السِّياسيَّةِ ، أو فيها كُلِّها إلى توكيل محامين لا ينتسبونَ إلى جماعتهم. . . **وقد بدأ هذا الدَّاء مبكِّراً من عهدِ الأستاذِ « حسن البنَّا » نفسِه. . .**)[3] .

لقد (اغتيلَ « النّقراشيِّ » على يد أحدِ الإخوان ، وهو عملٌ جرَّ على الجماعة عصراً من الإرهاب أدَّى إلى اغتيالِ « البنَّا » في ١٢ فبراير شباط ١٩٤٩م على يد عملاءَ للحكومة)[4] ، واقتيد الإخوان إلى السُّجونِ ، وتمَّ مشروع تصفيةِ الإخوان .

ويقول كاتب آخر : (وأمَّا نقاط الضَّعف لدى « البنَّا » فتتركَّز في ثلاثة جوانب أساسيَّة : أوَّلها ضعف إشرافه على « النِّظام الخاصّ ». . . وثانيهما إهماله تدريب كوادر قياديَّة تتمتَّع بأهليَّة القيادة لتأتي بعده ، وثالثهما تحامله الدَّائم على الحزبيَّة والأحزاب ، مما يعكس لديه غياب النَّظريَّة المتكاملة لعلاقاته السِّياسيَّة داخل مصر. . .)[5] .

ويرى الشَّيخ « سيِّد سابق » سبباً آخر لما حدَث مع الإخوان من هجمة شرسةٍ عليهم ،

---

(١) من كتاب الإخوان المسلمون في ميزان الحق : فريد عبد الخالق . ص٦٤ ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
(٢) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٥٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٥٥ .
(٤) الأصولية في العالم العربي : د . هرير دكمجيان . ص١٢٣ .
(٥) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : عدد من المشاركين . ص٢١٦ ، مقالة بعنوان الإخوان المسلمون في مصر : التجربة والخطأ : د . عبد الله فهد النفيسي .

يَعودُ لشخصيَّة « حسن البنَّا » ، فلقد سألتُه[١] عن الإخوان وأعمالِهم ، وسألته هذا السُّؤال : هل استعجلَ « حسن البنَّا » أو استُعجِلَ عليه ؟ فأجابَ : لقد استعجلَ واستُعجل عليه ، وشرح مطوَّلاً هذا الموضوعَ ، وذكر مطوّلاً أنَّ « البنَّا » كانت تنقصُه الرَّوِيَّةُ والحكمةُ في رؤية المستقبلِ ، ومعرفةِ حجم أعدائه ، فمن ذلك أنَّه قد أرسلَ برقيَّات إلى حكومةِ الصُّلحِ في لبنان بعد خروج الفرنسيِّينَ ، يتحدَّثُ فيها أنِّ الإخوان يضعونَ عشرةَ آلاف مقاتلٍ تحت تصرُّفِ الحكومةِ الُّلبنانيَّةِ لحماية الاستقلال ، وأرسل رسالة أخرى إلى سوريَّةَ مثل ذلك. . . وقال « سابق » : في الحقيقة لم يكن عندنا مئاتٌ ، فهذه الدِّعايةُ والتَّهويلُ أخافت قوى الشَّرِّ العالميَّة ، فجهزّت كلَّ ما تملك خوفاً ممَّا نشرناه. . . فالمبالغةُ في قوَّتنا ، وتحدِّينا لقوى الاستعمار من إنكليز وإسرائيل وغيرهم ، وتهديدنا للأنظمة الحاكمة العميلة ، فاستعجلَ « حسن البنَّا » واسُتعجل عليه ، فكانت تنقصه الحكمة والرَّوِيَّة .

ويقول كاتب آخر : (وقد كشفت حرب فلسطين قواهم المذخورةَ ، ونبَّهت المستعمرينَ إليهم حيث رصدوا خطواتهم ، وسعَوا يدبِّرون الأجواءَ المناسبةَ للقضاءِ عليهم ، بعد أن أذهلهم تجسيدُ فكرةِ الجهادِ في هذا الشَّباب المسلم ، وقد تحقَّقت المؤامرة في المذكِّرةِ الأمريكيَّةِ الإنكليزيَّةِ الفرنسيّة المقدَّمةِ من سفراءِ أمريكةَ وإنكلترةَ وفرنسةَ في مصر إلى الحكومةِ المصريَّة في نهاية عام ١٩٤٨م إثر حرب فلسطين ، والمطالبة بالقضاء على « الإخوان المسلمين » ، وبالفعل نُفِّذت أوامر واشنطن لندن باريس ، وسيقَ مجاهدو « الإخوانِ المسلمينَ » إلى السُّجونِ عند عودتهم من أرضِ المعركةِ ، واستُشهدَ مرشدُهم « البنَّا » في ١٢ شباط ١٩٤٩م كحلقةٍ أُخرى من حلقاتِ التَّآمرِ عليهم)[٢] .

لقد (كان ينبغي على « البنَّا » أن يدرك خطورة هذه الخطوة وجدِّيَّتها بالنِّسبة لمستقبل الجماعة ككل ولأمنها عموماً ، فمواجهة الإنكليز داخل مصر عسكريَّاً ليس بالأمر الهيِّن ولا مواجهة الصَّهاينة في فلسطين كذلك)[٣] .

---

(١) اجتمعت معه في أواخر كانون الثاني ١٩٧٩م في مكة المكرمة ، أربع مرات ، اثنتين في داره ، وواحدة في الحرم ، وأخرى في الفندق حيث كان المفتي العام الشيخ أحمد كفتارو .

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر : غازي التوبة . ص٢١٨ وما بعدها .

(٣) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢١٦ .

وهناك أمرٌ مهم وهو أن الجماعة لم تتقيد بدستورها الذي وضعته ، وخاصة بالنسبة للمرشد العام للجماعة وانتخاب مكتب الإرشاد العام والهيئة التأسيسية ، لا في زمن البنا ولا بعده ، فلقد (كان المرشد يحتلُّ المرتبة الأولى في الجماعة ، باعتباره رئيساً لها ، ويرأس في الوقت نفسه جهازَي السلطة فيها ، وهما مكتب الإرشاد العام والهيئة التأسيسية ، وهو بذلك شبه مطلق الصلاحية ، يتمُّ انتخاب المرشد العام عن طريق الهيئة التأسيسية ويجب ألا تقلَّ عضويته في الهيئة التأسيسية عن خمس سنوات ، وبعد انتخابه يبايعه أعضاء الجماعة ، ويظل المرشد في منصبه لمدة خمس سنوات ، قابلة للتجديد لمرة واحدة فقط ، بعدها يجب أن يتولى المنصب غيره من أبناء الجماعة ، وفي حال وفاته أو عجزه يقوم وكيله بعمله إلى أن تلتئم الهيئة التأسيسية لانتخاب مرشد جديد ، وكذلك يمكن للهيئة التأسيسية أن تنحِّي المرشد إذا خالف واجبات منصبه ؛ يتكوَّن مكتب الإرشاد العام من اثني عشر عضواً . . . يتراوح عدد أعضاء الهيئة التأسيسية ما بين مئة ومئة وخمسين عضواً ، ويتم سنوياً إسقاط العضوية عن عشرة أعضاء واختيار من يحل محلهم وتمثل الهيئة التأسيسية مجلس شورى الجماعة ، وتتضمن مهامها الإشراف العام على الجماعة وانتخاب المرشد العام . . .)[1] .

المطلب الثالث : « الإخوان المسلمون » وأمراضهم

كانت هذه الفترة من أصعبِ الفتراتِ على الإخوانِ ، حيث تعرضت الجماعة لانقسامات داخلية واختلافات ومصادمات خارجية وعلى رأسها الحكم الملكيِّ المحميِّ من الإنكليز وغيرِهم ، وزُجَّ بكثيرٍ من الإخوانِ في السُّجونِ والمعتقلاتِ ، واضطَّربت الجماعةُ منذ حلِّها ١/ ١/ ١٩٤٨م حتى ١/ ١/ ١٩٥٠م ، حيث استعادت وضعها القانونيّ ، وفي تشرين الأول ١٩٥١م انتُخب القاضي « حسن الهضيبيّ » مرشداً عامَّاً ، وشهدت منطقةُ السّويس شغباً جماعيَّاً ضدَّ الوجودِ البريطانيِّ والمنشآتِ اليهوديَّةِ الَّتي تموِّلُ إسرائيلَ ، وكان لشبابِ الإخوانِ دورٌ بها ، حتى جاءت ثورة ٢٦ تموز ١٩٥٢م فأطاحَ اللواءُ « محمَّد نجيب » و« البكباشي جمالُ عبد الناصر » بالملك « فاروق » . . . ويُتَّهمُ

---

(١) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د .أحمد طحان ،ص٣١ ـ٣٢ ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

الإخوانُ بمحاولةِ اغتيال « عبد النَّاصر » في ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤م فيودَع في السِّجنِ منهم أكثرُ من أربعة آلافٍ ، ويُحكم على « الهضيبيّ » بالسَّجن مدى الحياةِ ، وفي منتصف ١٩٦٥م تمّت اعتقالات أخرى للإخوان وشُنق ثلاثةٌ من الإخوان البارزين في ٢٩/ ٨/ ١٩٦٦م ، منهم « سيّد قطب » و« عبد الفتاح إسماعيل » و« محمد هواش » ، ثم في ١٦/ ١٠/ ١٩٨١م تمَّ اغتيال « السَّادات » على يد إحدى فصائلِ الجهادِ المنْشقَّةِ عن الإخوان .

ليست الغاية الحديث عن تاريخِ الإخوان والأحداثِ الَّتي مرُّوا بها ، ولكن أريدُ أن أسجِّل بعضَ النقاط الهامَّةِ .

١- تسلَّلَ في حياة البنا إلى المراكز القياديَّةِ في الإخوان أناسٌ تدفعهم المصلحةُ لأنفسِهم أو مصلحةُ لأسيادِهم ، ومندفعين لا يملكون الحكمة والتَّعقُّل[1] .

٢- ومرض آخر أُصيبت به الجماعة وهو غياب الصِّلة بين القاعدة والقيادة بعد « البنَّا » وما أحدث ذلك (لقد أدَّى لوصولِ الكثير من العناصر الَّتي تفتقرُ للأهليَّة والشَّرعيَّة إلى سدَّتها ، ممَّا خلقَ أجواءً مناسبة لبروز الشَّلليَّة والعصبويَّة الفئويَّة ضمن التَّنظيم الواحد في القطر الواحد ، ودون شك أن الظُّروف الصَّعبة الَّتي مرَّت بها الجماعة بعد اغتيال « البنَّا » ١٩٤٩م وانتقالها من حالة العلنيَّة إلى السِّريَّة قد ساهم في ذلك أي خلق الأجواء غير الصِّحِّيَّة)[2] .

٣- إنَّ ما حدث بعد « حسن البنَّا » من تطرُّفٍ أو سلبيَّةٍ أنكره كثير من الإخوان المقرَّبين للبنا ، مثل « محمَّد الغزالي » ، « سيّد سابق » ، « صالح العشماوي » ، حتى « حسن الهضيبيُّ » ألَّفَ كتاباً عنوانهُ « دعاةٌ لا قضاةٌ »[3] .

---

(١) راجع كتاب من معالم الحق ، محمد الغزالي ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٢) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢١٠ .

(٣) دعاة لا قضاة : حسن الهضيبي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، وكذلك ردّ وانتقد عدد من الإخوان مقالات سيّد قطب ، من ذلك ما كتبه د . عبد العزيز كامل في (الدين والحياة) ، ج١ ، الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، أمانة الدعوة والفكر ، ط٢ ، ١٩٦٧م . وكذلك مقالات د . أبو عزة في مجلة الشهاب البيروتية ، ١٩٦٧م ، والتي تتناول سيد قطب بالنقد . وكتاب عبد الله أبو عزة : مع الحركة الإسلامية في الدول العربية . ص٤٢٤ ، دار القلم ، الكويت ، د . ت .

٤ـ إنَّ « سيّدَ قطب »[1] لم يكن من الإخوان ، بل إنَّه مع والده كانا في حزب الوفدِ ، وهو حزبٌ علمانيٌّ ، ناصبَ العِداء « حسن البنَّا » والإخوان ، ولم يدخل « سيِّدُ قطبٍ » بالإخوان إلا بعد مقتل « البنَّا » بثلاثة أعوام .

٥ـ أدَّت عواملُ عديدةٌ للانحراف ، من هذه العوامل :

سيطرة جهاز النِّظام الخاص « الجناح العسكري » الَّذي عيِّن له عند تأسيسه شاب لا يتجاوز (٢١) سنة على « جماعة الإخوان » ، والَّذي قال فيه « حسن البنَّا » في آخر حياته : (إنَّهم ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين)[2] .

والنِّظام الخاص هو الذي سيطر على مجريات الأحداث قبل وفاة البنا ، ثم لعب دوراً هاماً في فترة « حسن الهضيبي » ، إنَّ أهمَّ المشاكل الدَّاخلية التي واجهت « الهضيبي » هي « النِّظام الخاص »ـ أي المناخ العسكري للجماعة ـ والذي بات يسبب ازدواجية في القيادة ، وقد كان ينافس « البنا » في قيادته للإخوان ، وقد شعر « البنَّا »[3] بذلك ، وكان بصدد معالجة هذا الوضع المعوج غير أنَّ المنية عاجلته ، أمَّا « الهضيبي » فقد كان « النِّظام الخاص » لا يتعامل معه بنديَّة فقط بل بشيءٍ من الفوقيَّة والاستقلال التام .

٦ـ مقتل « حسن البنَّا » في مرحلة صعبة وعدم وجود الكفء بعده ، وهو مرض ابتليت فيه كثير من الجماعات الإسلامية والحركات على مرّ العصور الإسلامية ، فقد ظلت « جماعة الإخوان » بلا قيادة من مقتل « البنَّا » ١٢/ ٢/ ١٩٤٩م حتَّى ١٩/ ١٠/ ١٩٥١م .

فإن ضعف « حسن البنَّا » في (إعداد الكوادر القياديَّة الَّتي تأتي بعده ، وهذه قضيَّة متشعِّبة وتشتمل على عوامل عدَّة قد لا يكون « البنَّا » وحده مسؤولاً عنها ولكنَّه قطعاً أحد أقطابها ، يصف « صلاح شادي » حالة الإخوان بعد مقتل « البنَّا » : (ماذا كان يعني وجود « حسن البنَّا » بيننا ؟ لم يكن فقط إشعاعة نور على طريق الحق نبصر بها خطونا ، وإنَّما كان المحور الَّذي تبلورت عليه آمالنا للوصول بالحركة الإسلاميَّة إلى هدفها

---

(١) يحاول كثير من الكتاب اعتبار سيّد قطب مع أخيه محمَّد قطب امتداداً لفكر البنّا ، الفكر الإسلامي المعاصر ، غازي التوبة ، ص٢٢١ ، وكتاب عبقري الإسلام سيد قطب ، تأليف الدكتور سيد بشر أحمد كشميري ، وهي رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٧م من المعهد المركزي للغة الإنكليزية واللغات الأجنبية ، بمدينة حيدر آباد .

(٢) من معالم الحق : محمد الغزالي . ص٢٦٤ .

(٣) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : عبد الله فهد النفيسي . ص٢٢٨ .

الصَّحيح ، كانت حياتنا بعض أنفاسه ، وصحونا من صحوه ، وحركتنا من خطوه ، فلمَّا اختاره الله إلى جواره توقف إدراكنا لمسيرتنا ، إلى أين نسير وكيف نمضي بعده ؟ . . . ـ وهذا يؤكِّد ـ على أنَّ القيادة في مفهوم الإخوان هي شخص أكثر منها مؤسَّسة ، هذا المفهوم الشَّخصاني للقيادة قد عانت منه كلّ التَّشكيلات العقائديَّة في العالم الثَّالث ، سواء كانت الإسلاميَّة منها وغير الإسلاميَّة. . .)[1] .

٧ـ خوفُ العالمِ الغربيِّ من هذه الجماعةِ لما كانت تقفه ضدها ، ولاستمالة عواطف المسلمين والوعد بتحقيق أمانيهم وتحرير أراضيهم ، فوضعت أوربَّةُ وأمريكةُ والصَّهيونيَّةُ كُلَّ ثقلها ، وسخَّرت كُلَّ إعلامها لسحقِ هذه الجماعةِ والانحراف بها ، خوفاً من تحقيق ما تدعو إليه .

٨ـ زَجُّ الآلاف من الجماعةِ في السُّجون ، والحكم على بعضهم بالإعدام بعد وفاة البنا .

٩ـ إنَّ الحروب المتكررة التي خاضتها الأمة العربية ، والتي هزمت ببعضها وانتصرت ببعضها الآخر ، وحالة الاستنفار في مواجهة العدو الصهيوني ، وتشتُّت قوى الأمة العربية والأمة الإسلامية ، وعجز العالم ومؤسساته الدولية ، كهيئة الأمم وغيرها ، عن إنصاف العرب والفلسطينيين واسترداد حقوقهم المغصوبة ، واستعلاء إسرائيل وصلفها ونقضها لمواثيقها ، جعل بعضاً من أبناء هذه الأمة قلقاً مضطرباً لا يدري ما يفعل ، ولا يقدِّر نتائج فعله ، فظهر التَّطرُّف والغلوّ والتَّكفير والقتل كردَّةِ فعلٍ للمشاكل السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والنَّفسيَّةِ ، فهي ظواهرُ مرضيَّة لمشاكلَ ومعاناةٍ ، لا علاقةَ للإسلامِ بها .

١٠ـ بعد « البنَّا » ، انقسم الإخوان وتباينت آراؤهم حولَ التَّعامل مع الحكم ، فقسمٌ وجد أن يُهادن لإبقاءِ ما تبقَّى من الإخوان ، وتجنيبهم السَّحقَ والسِّجن ، متَّبعاً سياسة درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، وأنه ليس بمقدورهم مواجهة السلطة أو المجتمع الجاهلي ، وأن تغيير المنكر وما يحدث في هذا المجتمع الجاهلي يكون بالقلب وليس باليد واللسان ضمن الاستطاعة ، وبإعداد مجتمع صالح قائم على تربية إسلامية صحيحة ، وآخرون وهم الأغلبية والذين تنقصهم الروية والحكمة والخبرة ، فلقد وجدوا أنَّ السُّكوتَ عن الحكام والأنظمة الحاكمة خيانةٌ ، فيجب مجاهدتُهم وفضحُهم والثَّورةُ عليهم ، وقد

---

(١) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢١٩ وما بعدها .

بدا في الظاهر وفي الإعلام القسمُ الأخير ، وهو الجيلُ الرَّافضُ المُحبَط والثَّائرُ .

١١ـ عمل الأجهزة السرِّيَّة داخل تنظيم الإخوان وخارجه .

ويمكن أن نثبتَ اضطراب تنظيم « جماعةِ الإخوان » من شاهدِ عيانٍ كما ذكرنا على هذه المرحلةِ وهو الشَّيخُ « محمَّد الغزاليِّ » قال : (كانت المنشوراتُ السِّرِّية تصدرُ حاملةً أوامرَ القيادةِ الخفيَّةِ ، وكانت هناك منشوراتٌ أُخرى توزِّعُها مراكزُ التجسُّسِ الاستعماريِّ . . . وتُسيِّرُهَا في المجرى نفسهِ الّذي تسيرُ فيه المنشوراتِ الأولى . . . وكان عبيدُ الولاءِ يحترمونَ هذه وتلك ويتعصَّبون لها جميعاً . . .)[1] ، ويؤيِّد هذا الكلام « مايلز كوبلاند » قائلاً : (إنَّ المخابرات الأمريكيَّة وزَّعت منشورات شيوعيَّة تهاجم الإسلام ورسوله ﷺ توحي بأنَّها من عمل السَّفارة الرُّوسيَّةِ في مصر ، وكانت النَّتيجة أن شنَّ الرُّوسُ حملةً على نظام « عبد النَّاصر » ظنَّاً منهم بأنَّه مصدر تلك المنشورات ، وأكثروا من الإشارة إلى الإخوان ، هنا طلبت المخابرات الأمريكيَّة على حدِّ تعبير « كوبلاند » من واشنطن (إقناع إسرائيل بالمضيّ في نفس الخطِّ ، مع التَّركيز على قدرة الإخوان على إسقاط « عبد النَّاصر »)[2] .

ويتحدَّثُ « محمَّد الغزاليّ » عن الأجهزةِ السِّرِّيَّة الدَّاخلية : و(الأجهزةُ السِّرِّيَّة العاملةُ في الظَّلامِ هي الّتي سُخِّرت تسخيراً لإتمامِ المأساةِ ـ إلى أن يقول هل ستُتركُ الأيدي الخفيَّةُ تلعبُ بزمامِ الحركةِ الإسلاميَّة الكبيرةِ ؟ وتشلُّ نشاطَها في ميادين الحياة . . . ـ إلى أن قال : إنَّ قيادَة الإخوانِ الآن حريصةٌ على الأوضاعِ الغامضَةِ والقراراتِ المريبَةِ الجائرة . . . ثمَّ هي مسؤولةٌ من قبلُ ومن بعدُ عن الخسائر الَّتي أصابت الحركةَ الإسلاميَّة في هذا العصر . . .)[3] ، ويتحدَّثُ عمَّا حدث بعد مقتل « البنَّا » : (فوجئنا بالوقيعة تتسرَّبُ إلينا وفوجئنا بالدُّخلاء على الجماعة يُغيِّرُون سيرَها ومنهاجَها ، ـ إلى أن يقول ـ وأكادُ أُوقن بأنَّ من وراء هذا الاستقدام أصابعَ هيئاتٍ سِرِّيَّةٍ عالميَّةٍ أرادت تدويخَ النَّشاطِ الإسلاميِّ الوليدِ ، فتسلَّلت من خلال الثَّغراتِ المفتوحةِ في كيانِ جماعةٍ هذه حالُها

---

(١) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٤٨ .

(٢) لماذا اغتيل حسن البنا : عبد المتعال جبري . ص١٠٢ . وانظر : تفصيل كلام مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم : تعريب مروان خير . ص١٨٣ وما بعدها ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

(٣) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٥٧ .

وصنعت ما صنعت ، ولقد سمعنا كلاماً كثيراً عن انتساب عددٍ من « الماسون »... « لجماعة الإخوان »... ـ ويؤكِّد مراراً مقالة « البنَّا » في الجهاز السِّرِّيِّ للإخوان المسمَّى « بالنِّظام الخاصّ » ، والَّذي أنشىء لمحاربة الإنكليز والمحتلِّين واليهود ـ قال « حسن البنَّا » فيهم قبل أنْ يموتَ : إنَّهم ليسوا إخواناً وليسوا مسلمينَ)[١] .

وهذا الخطر لم تسلم منه حتى الجماعات الإسلامية ، فلقد تحدث الداعية فتحي يكن عن ظاهرة تمزُّق البنى التنظيمية على الساحة اللبنانية ، ويعدد أسبابها فمنها :

(الاختراقات الخارجية وهي من الأسباب الرئيسية التي تقف وراء ظاهرة تمزُّق البنى التنظيمية ، وفي العصر الحديث أصبحت هذه الأسباب شائعة على امتداد العالم ، فالقوى السياسية والفكرية ، والأجهزة الأمنية والجاسوسية المختلفة تلجأ لضرب خصومها إلى إحداث خرق ما في بنيتها التنظيمية ، عبر استكشاف نقاط الضعف أولاً ، ثم مدِّ اليد والاختراق ،... وفي كثير من الأحيان تكون الاختراقات الخارجية السبب المباشر لنشوء مراكز قوى وتيارات وأجنحة متصارعة في الحركة)[٢] .

١٢ـ اختلاف الإخوان المسلمين فيما بينهم ، وتقاتلهم ، حتَّى وصل إلى الاغتيالات... فلقد اختلفوا بعد « البنَّا » اختلافاً كبيراً خاصَّة عند تولية « حسن الهضيبيّ »[٣] ، و(يؤكِّد أكثر من مصدر إخوانيٍّ ومستقلٍّ أن اختيار « حسن الهضيبي » كمرشد عام للإخوان كان حلاً وسطاً كي تخرج الجماعة من ورطة كثرة المرشَّحين لهذه المسؤوليَّة... المرشحون كانوا : عبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا ، وصالح عشماوي وكيل الجماعة وأحد عناصر النظام الخاص ، وعبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة وصهر البنا ، وأحمد حسن الباقوري عضو مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية وكان مكلفاً بعد حلّ تنظيم الإخوان ١٩٤٨م من البنا نفسه برعاية شؤون الإخوان العامة ، وبعضهم يضيف : (د .عبد العزيز كامل ، ومصطفى مؤمن مشهور الذي كان مسؤولاً عن نشاط الجماعة في القطاع الطلابي ، وسعيد رمضان زوج ابنة حسن البنا ، والشيخ محمد

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٦٤ .

(٢) احذروا الإيدز الحركي وظاهرة تمزق البنى التنظيمية ، وكيف نصون بنيتنا : فتحي يكن . ص١٥ وما بعدها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٣م .

(٣) كانت فترة الهضيبي ما بين ١٩/ ١٠/ ١٩٥١ـ١١/ ٨/ ١٩٧٣م .

فرغلي) ، ولقد كان الاختلاف بين المرشَّحين كبيراً. . .)[1] ، وكذلك عندما كلَّف « الهضيبي » المهندس « سيِّد فايز » في الإشراف على النِّظام الخاصِّ وفَصَلَ « عبد الرَّحمن السَّندي » وأعوانه « عادل كمال » و« محمود الصَّباغ » و« أحمد حسن » فكان نتيجة ذلك مقتل « سيد فايز »[2] ، واستمر الجهاز الخاص بتصفية مخالفيه ، وهذا زاد من معارضة « صالح عشماوي » و« محمَّد الغزالي » و« عبد العزيز جلال » و« سيِّد سابق » لإدارة « الهضيبي » وطالبوه بالاستقالة. . . واشتدَّ النِّزاع بعد وفاة « الهضيبي » في ١١/ ٨/ ١٩٧٣م حتَّى (استفرد إخوان النِّظام الخاصّ بالأمر وحلُّوا محلَّ كل المؤسَّسات الشَّرعيَّة للجماعة « الهيئة التَّأسيسيَّة ومكتب الإرشاد »)[3]. . . وأُبعد في هذه المرحلة « د . محمود أبو السّعود » والأستاذ « فريد عبد الخالق » ، و« د . حسَّان حتحوت »[4] ، والأستاذ « محمود عبد الحليم » ، و« د . عصام الشَّربيني » وغيرهم. . . .

ونعود إلى الشَّيخ « محمَّد الغزالي » وخلافاته مع جماعته ، وقد ذكر الكثير من هذه الخلافات في كتبه ، ويُشيرُ إلى خلافهِ مع « سيّد قطب » و« سعيد رمضان » قائلاً : (ويؤسفني أن تنشرَ جريدةُ المصريِّ ردّاً عليَّ باسم المرشد العامّ أشرفَ على كتابتهِ الأستاذان « سعيد رمضان » و« سيِّد قطب ». . . ومبعث أساي أنَّ الأستاذَ « سيِّد قطبٍ » ما كان يُنتظر منه أن يُشاركَ في هذا العمل ، ولكنَّه استُدرِج وخضعَ ويغفر الله له ، أما سعيد هذا فقد انطلق يخدِمُ سادتَه خدمةً هائلةً. . .)[5] .

١٣ـ خطؤهم في تقدير المواقف (وهو خطأ تكرَّر في تكرُّر المساق التَّاريخيِّ للجماعة. . . ونتج عن ذلك مذابح للجماعة ذهب ضحيَّتها آلاف من رجالات وشباب الإخوان. . .)[6] .

---

(١) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢٢٧ وما بعدها .

(٢) كتاب الإخوان المسلمون. أحداث صنعت التاريخ. رؤية من الداخل: محمود عبد الحليم. ٣/ ٢٠٥، دار الدعوة ، الإسكندرية، ١٩٨٥م، يؤكد مسؤولية السندي عن مقتل المهندس سعيد فايز.

(٣) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢٣٤ .

(٤) كان د . حسان حتحوت من المقربين للإمام حسن البنا ، وكان من المتطوعين في فلسطين عام ١٩٤٢ ، عمل بالكويت حتى ١٩٨٨م . ثمَّ هاجر إلى أمريكة ، له العديد من المؤلفات ، وهو عضو في العديد من الهيئات الطبية العربية والدولية .

(٥) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٦٧ .

(٦) الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية : د . عبد الله فهد النفيسي . ص٢٢٥ .

١٤ـ ومن مظاهر الانحراف في فكر الإخوان منذ مقتل « البنَّا » : وذلك بتكفير من خالفهم واعتبار أنفسهم أنَّهم جماعةُ المسلمين والفئةُ النَّاجيةُ ، واستغلال مبدأ السمع والطاعة في الإسلام ، ويتأسَّف محمد الغزالي لأنْ : (تتجدَّدَ سياسةُ الخوارجِ مرَّةً أخرى ، فيُلعَنُ أهلُ الإيمانِ ويُترَكُ أهلُ الطُّغيانِ. . .ـ إلى أن يقول فمن المضحك أو المبكي أن يخطبَ الجمعةَ في مسجد الرَّوضةِ عقب فصلنا من المركز العامِّ من يؤكِّد أنَّ الولاءَ للقيادَة يكفِّرُ السَّيئاتِ ، وأنَّ الخروجَ عن الجماعة يمحقُ الفضائلَ. . . ورُئي الدُّكتور « محمَّد يوسف موسى » أستاذ الشَّريعة الإسلاميَّة بجامعةِ القاهرة يخلصُ بالخطيب جانباً ليقولَ له : أيُّ إسلامٍ هذا. . .

ـ إلى أن يقول الغزالي عن عملهم ـ والوسيلةُ الوحيدةُ هي المقاومةُ السِّريَّةُ ، حيث يتلقى الأتباعُ الأوامِرَ الصَّادرةَ من فوق على أنَّها نصوصٌ واجبةُ الطَّاعةِ ، لا مجال البتَّةَ لمناقشتها أو التملُّصِ منها. . . قال أحدهم. . . إنَّ المرشدَ لا يخطىء. . . إنَّ الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدّعوة. . . وقد كنت أسيرُ مع زميلي الأستاذ « سيّد سابق » قريباً من شعْبَةِ النِّيل فمر بنا اثنان من أولئك الشَّبابِ المفتونين ، وأبيا إلا إسماعنَا رأيَهم فينا **وهو أنَّنا من أهل جهنَّم**. . .)[1] ، ويتحدَّث عن أخطرِ دسيسةٍ في الإسلام فيقول : (ولقد عجبتُ لخلافٍ وقع بينَ شباب الإخوان المسلمينَ أثارَه بعضهم بتساؤله : هل نحن جماعة المسلمينَ ، أم نحن **جماعةٌ من المسلمين**؟ والإجابةُ على هذا السُّؤال لها نتائجُ ذاتُ بالٍ ، بل نتائج ترتبطُ بها صيانةُ دماءٍ وأموال)[2] ، ويؤكِّد هذه المعاني « راشد الغنوشي » بقوله : (هناك خطأ سياسيٌّ شنيع **ارتكبته حركة « البنَّا »**[3] ولا يزال متواصلاً ، وهو أنّ الحركة الإسلاميَّة تقدِّم نفسَها وصيَّاً على المجتمع ، وليس طرفاً فكريَّاً أو سياسيَّاً ، يستمدُّ مشروعيَّته من قوَّة الحجَّة وإقناع الجماهير ببرامجه ، إنّ الحركةَ الإسلاميَّة لازالت تَسْتَنكفُ بشدَّةٍ أن تعتبرَ نفسَها كغيرها من بقيَّةِ الأطراف الأُخرى ، طرفاً من المجتمع ، ومن هنا طالبت حركة « البنَّا » بحلِّ الأحزابِ السِّياسيَّة ، وما زال ضمير الحركة الإسلاميَّة في وعيه أو لا وعيه ، يستنكفُ أن يكونَ حزباً ويصرُّ على أن يكون ناطقاً رسميَّاً باسم الجميع ، باسم الإسلام ، باسم المسلمين)[4] .

---

(١) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٣٩ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٣٨ .

(٣) يقصد عما حدث بعد وفاة البنا .

(٤) حقائق حول حركة الاتجاه الإسلامي : راشد الغنوشي . ص٢٩ .

١٥ـ **استعمال أسلوب العنف والمصادمة**. . . قال « محمَّد الغزالي » : (شهدت اجتماعَ الهيئةِ التَّأسيسيَّةِ الأخير ، فرأيتُ ما يُغثّي النَّفسَ ، ويُبهتُ الحقَّ ، ويَدَعُ الحليمَ حيرانَ . . . شهدت من يكذبُ الكذبَة الهائلةَ فإذا قام بعضُ الشُّهودِ ليصحِّحوا له قوله ، ويشهدوا بما رأوا وسمعوا . . . **أُسْكِتوا بالقوَّة** ، واستُعينَ عليهم بأشخاصٍ لا عقلَ لهم ولا خُلقَ ، وإنَّما أُتي بهم ليمثِّلوا دور الهتَّافينَ والمهرِّجينَ في اجتماعاتِ الأحزابِ البائدةِ وقال : شهدتُ إخواناً من الشَّباب لم يهدِهم علمٌ ، ولم تصقلهم تجربةٌ ، شهدتهم يقفون على رؤوسِ المعارضينَ بعيونٍ يتطايرُ منها الشَّررُ ، ويريدون التحرُّشَ بكُلِّ من يريدُ أن يدلي بالحقِّ ويقيم الشَّهادة لله ، حتى لقد همسَ في أذني أحدُ الإخوانِ الفضلاءِ من ذوي السَّبق والمكانةِ وقال : كم أودُّ أن أتكلَّمَ ، فقلت له وأنا ابتسم : وما يمنعك ؟ قال : أخشى أن يجهل عليّ هذا ، وأشارَ إلى واحد من هؤلاء الحرَّاس)[1] ، (قال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التَّأسيسيَّة : إنَّ المرشد لا يخطىء ، وكان بهذه المقولة العجيبة يريد أن يخذلني وأنا أعارضُ المرشدَ في بعضِ تصرُّفه ، وقد خُذلت فعلاً ، **ومُزِّقت ملابسُ الرَّجل الَّذي وقف يُناصرني** . . . ومع أنَّ كلمة **المرشد لا يخطىء** وجدت امتعاضاً من أغلبِ الأعضاء . . .)[2] .

١٦ـ ادعاء العصمة للقادة فإن كلمة (إن المرشد لا يخطىء) أمر خطير فيه خروج عن أهمِّ قواعد الإسلام ، فإنّ العصمة لا تكون إلا للأنبياء والمرسلين في أمور التشريع والعقيدة ، فكل ابن آدم خطَّاء ، فإن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نسي في صلاته ، وقال : (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) في موضوع تأبير النخل ، وقال : إن أحدكم قد يكون ألحن بحجته من الآخر فأقضي له . . . فإعطاء القائد الإسلامي أو رئيس الجماعة أو الشيخ صفة حتى أنها أعلى من صفة الأنبياء والمرسلين فهذا غلوٌّ ما بعده غلو ، وانحراف نحو الضلال ما بعده انحراف ، أودى بكثير من الجماعات إلى الهلاك ، فهذه صفة من صفات الألوهية وهي العصمة المطلقة .

١٧ـ إلغاء الشورى وما كتب في أدبيات الإخوان ونظامهم ، فلقد أصبح (انتخاب المرشد لا يتم إلا بواسطة أعضاء مكتب الإرشاد ويتذرع الإخوان بمخاوف أمنية من

---

(١) من معالم الحق : محمَّد الغزالي . ص٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤٥ .

اجتماع الهيئة التأسيسية ورغم رفع الإخوان لشعار الشورى إلا أن الكثيرين ممن تركوا تنظيم الإخوان المسلمين قالوا : إن الشورى في الإخوان هي شورى وهمية ، ومساحة الحرية والاختيار المتاحة للأفراد هي مساحة ضيقة للغاية ، مما دفع عدداً من أبناء الجماعة لتركها . . .)[1] .

* * *

(١) الحركات الإسلامية ، طحان ، ص٣٧ .

المبحث الثالث
أشهر جماعات التَّطرُّف المُسلَّح بعد البنَّا

***

المطلب الأول : المناخ ودور « سيد قطب »

لعبَ « سيد قطب » دوراً متميِّزاً في انحراف فكرِ الإخوان عن منهج « البنَّا » ، وقد تبنَّى « قطب » فكرة الجاهليَّة والحاكميَّة[1] ، الَّتي طرحها « أبو الأعلى المودوديّ »[2] ، وقد بلْوَرت أفكارُ « قطب » موضوعَ الجهادِ والتَّمايزِ الفلسفيِّ والسِّياسيِّ بين الحركاتِ الإسلاميَّة وغيرها ، وقد تبلورت أهمُّ أفكارِ « سيد قطب » في كتابه « معالم في الطَّريق »[3] ، وتتلخَّص فكرته وفلسفته بأنَّ المجتمع الحاضر هو مجتمعٌ جاهليٌّ ، ويجب أن تكون الحاكميَّةُ فيه لله ، وحيث إنَّ المعركةَ بين المسلمين وخصومهم ليست معركةً سياسيَّةً ولا معركةً اقتصاديَّةً ولا معركةً عنصريَّةً ، ولكن معركةُ عقيدةٍ ، إما كفرٌ أو إيمان ،

---

(١) انظر مثل هذه الأفكار في : في ظلال القرآن : م٤/ج١٠ ، ص٦٥ ، ٦٧ ، ٧٥ .

(٢) انظر : كتاب التَّفسير السِّياسي للإسلام في مرآة كتاب الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب : تأليف أبو الحسن علي الحسنيّ النَّدويّ . ص٢٩ ، ٣٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٧ ، دار القلم ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٨١م . والكتاب فيه نقد للمودوديّ وخاصّة في تفسيره للمصطلحات الأربعة القرآنية (الإله والرب والدين والعبادة) ، وقد ردَّ حسن الهضيبيّ في كتابه دعاة لا قضاة على المودوديّ ص١٩ وما بعدها والمودوديّ يصوِّر المجتمع جاهليّاً ، ويصوِّر التَّاريخ الإسلاميَّ تصويراً قاتماً ، ويركِّز على حاكميَّة الإله والرَّب .

(٣) انظر : معالم في الطريق : لسيد قطب . ص٨ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ١٥٥ . .

وإما جاهليَّةٌ أو إسلامٌ ، وأنّ الجهادَ هو الطَّريقُ لإقامة حكم الله[1] ، ولابُدَّ من المرحلة المكِّيّة والَّتي تجعل الثّورة الثّقافيّة الَّتي تُعبِّدُ الطَّريقَ ، ثمَّ لابدَّ من المرحلة المدنيَّةِ الَّتي تكون بإقامة الدّولة الإسلاميّةِ أي الحاكميَّةِ وذلك بتطبيق شرعِ الله . . .

ولابُدَّ أن ندوِّن بعض النقاط الهامَّة :

١ـ لم يكن « سيد قطب » من الإخوان في زمن « حسن البنَّا » فقد قتل « البنَّا » في ١٢/٢/١٩٤٩م ، ولم يدخل الشهيد « قطب » في الإخوان إلا في ١٩٥٢م وانتُخب « قطب » لعضوِّية مكتب الإرشاد ، وعُيِّن رئيساً لقسم النَّشر في تشرين أول ١٩٥٢م .

٢ـ تركت وفاةُ « حسن البنَّا » فراغاً كبيراً في قيادةِ الجماعةِ فاختلفت الجماعة فيما بينها ، لاسيَّما وقد تعرَّضت الجماعةُ إلى تصفياتٍ على يد الجهاز السري وعلى يد أعدائهم ، وزجِّ الآلافِ من قياديِّيها في السُّجون .

٣ـ تكوّنت لدَى شبابِ الجماعةِ ردَّةُ فعلٍ عنيفةٍ ، وتولَّدَ لديهم حبُّ الثأرِ والانتقامِ لمقتلِ « حسن البنَّا » ، وقد رافق ذلك أَحداثٌ واضطهادٌ وسجنٌ واغتيالاتٌ للإخوان .

٤ـ جاء « قطب » في هذه الحقبة الحرجةِ وهو الأديبُ المصوِّرُ البارعُ ، فكان هو الرَّجل الّذي ملأَ هذا الفراغَ ، فبكتابه « معالم في الطريق » تمكَّن « قطب » من وضع الوثيقةِ الأساسيَّةِ لأيديولوجيَّةِ الرفض والثورة لبعض شباب الإخوان المسلمين ، وقد جعله هؤلاء أنموذجاً في تحدِّيه للدَّولة كحركي ، وخاصة بعد إعدامه .

٥ـ منذ دخول « سيد قطب » في الإخوان ١٩٥٢م وإلى إعدامه في ٢٩/٨/١٩٦٦م ، قضى « قطب » ثلثي المدَّة في السِّجن ، وثلثاً بمقدار خمس سنوات خارج السجن يعمل في حركة الإخوان في ظروف مضطربة ، انعكس ذلك على كتاباته والَّتي محورها أن العالمَ جاهليٌّ ويجبُ إقامةُ حكمِ الله في أرضه[2] .

---

(١) انظر : كتاب الجهاد في سبيل الله : أبو الأعلى المودودي ، حسن البنَّا ، سيِّد قطب : جمع الاتِّحاد الإسلامي العالمي للمنظَّمات الطُّلابيَّةَ ، نشر دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٣م ، والكتاب حوى ثلاثة كتب في موضوع الجهاد ، ونشير إلى أنَّ البنَّا رحمه الله كان يقصد من كتابه رسالة الجهاد جهادَ الأعداء ، بينما المودودي وسيد قطب ، ركَّزا على مجاهدة المجتمع الجاهليّ وناديا بالحاكميَّة الإلهيّة ، ومحاربة الأنظمة الحاكمة ، وإخراج النَّاس من العبوديَّة للعباد إلى العبوديَّة لله وحده بلا شرك ، وإحداث انقلاب إسلاميٍّ عام ، هذا الانقلاب الشَّامل في جميع أنحاء المعمورة . .

(٢) انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب . م٤ ،ج١٠ ، ص٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ .

٦ـ في سنة ١٩٥٦ وقعت حرب القناة ، وبعد عام من إعدام « سيد قطب » وقعت حرب ١٩٦٧م بين العرب وإسرائيل ، وكانت محصِّلتها (احتلال أراضي ثلاث دول عربيَّة « مصر ـ الأردن ـ سورية » في وقت واحد ، واحتلال القدس ، وقُدِّرت المساحة الَّتي احتلَّتها إسرائيل من مصر « ٦١٠٠٠ كيلو متر مربع وهي مساحة سيناء » وقُتل فيها (١١٥٠٠ شهيد) ، وخسر الطيران المصري ٩٥٪ من قوَّته ، وتمَّ تدمير ٨٥٪ من معدَّات القوَّات البرِّيَّة ، ووفقاً لرواية « محمود رياض » فإنَّه في يوم ١١/٦/١٩٦٧م لم يكن بالقاهرة سوى ٧ دبابات)[١] ، وفي سنة ١٩٧٠ توفِّي الرئيس « عبد الناصر » ، ثمَّ جاءت حرب ١٩٧٣م مع إسرائيل ، وما أتبعها من وقف للقتال ، وزيارة رئيس مصر السابق « السّادات » للقدس عام ١٩٧٧م ، ومعاهدة « كامب ديفيد » ١٩٧٩ م ، وتردِّي الأَحوال الاقتصاديَّة والاجتماعيَّةِ في الوطن العربيّ ، وما حصل بعدها من اضطراب زاد من إحباط كثير من الشباب العربي والإسلامي .

٧ـ يجب أن لا نُجنِّبَ التَّطرُّف والإرهاب عن أسبابه ودوافعه والظُّروف الَّتي ولّدتهُ. . .

اهتزَّت الحياة السِّياسيَّةُ في مصر خلال السَّبعينات بأنشطةِ عنفٍ قامت بها ثلاثُ جماعاتٍ إسلاميَّةٍ : « منظمة التَّحرير الإسلاميِّ » ، وجماعة « التّكفير والهجرة » ، وجماعة « الجهاد » وسنتحدّث عنها فيما يلي .

المطلب الثاني : جماعة المسلمين « التّكفير والهجرة »

(وهي جماعة أسَّسَها شُابٌّ أزهريّ)[٢] « علي عبده إسماعيل » وهو شقيق « عبد الفتَّاح إسماعيل » الَّذي أُعدم مع « سيد قطب » عام (١٩٦٦م) ، وأسَّسَ « علي عبده إسماعيل » جماعته في سجونِ السِّتينات لتكون نواةً للمجتمع الإسلاميّ الّذي سيقومُ على أنقاض الكفر والجاهليّة[٣] ، وتعتمد فكرته :

---

(١) الحركات الإسلامية في مصر وإيران : رفعت سيد أحمد . ص٨٣ ، سينا للنشر ، القاهرة ، ط ١٩٨٩ .

(٢) الإسلام لا يعرف العنف : نبيل فارس . ص٢٠ .

(٣) كتاب ذكرياتي مع جماعة المسلمين : عبد الرحمن أبو الخير . ص١٩ وما بعدها ، د٠ن ، د٠م ، ١٩٨٠م .

١ـ **المجتمع كافرٌ وجاهلٌ فيجب العزلة** عنه ومقاطعته .

٢ـ **يجبُ الهجرة** بعيداً عن المجتمع .

٣ـ عند استكمال قوَّتهم **يجب إعلان الجهادِ والسَّيطرة** على المجتمع وتطهيره من الجاهليَّةِ وإعادة حاكميَّةِ الله إليه .

لقد أعادوا سيرة الخوارج ، فهم نقلوا التكفير من تكفير الخصوص إلى تكفير العموم (فهم يكفِّرون كل من ارتكب معصية وأصرَّ عليها ، ولم يتب منها ، وهم يكفِّرون الحكَّام لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله ؛ وهم يكفِّرون المحكومين لأنهم رضوا بهم ، وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله ؛ وهم يكفِّرون علماء الدين وغيرهم لأنهم لم يكفِّروا الحكَّام والمحكومين ، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر ؛ وهم يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله ، ولم يدخل فيما دخلوا فيه ؛ وهم يكفِّرون كل من قِبَل فكرهم ولم يدخل جماعتهم ويبايع إمامهم ، ومن بايع إمامهم ودخل جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو آخر أن يتركها ، فهو مرتدّ حلال الدم ؛ وكل من أخذ بأقوال الأئمة أو الإجماع أو القياس أو المصلحة المرسلة أو الاستحسان أو نحوها فهو مشرك كافر ، والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية ، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله)[1] .

ويبنون على ذلك أحكاماً منها : حلية دم الكافر أو المرتدّ ، وعدم التوارث بينه وبين المسلمين من أقاربه ، ووجوب التفريق بينه وبين زوجته ، لأنه لا ولاية لكافر على مسلم ، كذلك لا يجوز أن يغسَّل بعد موته ولا أن يصلَّى عليه ، وكذلك لا يدفن في مقابر المسلمين .

لقد بدأ تكوين هذه الجماعة داخل السُّجون حول : هل يجب مقاتلة اليهود أولاً أو الحاكم ؟ وكان رأيُ هذه الجماعة تكفيرَ النِّظامِ ورجالاته ، ووجوب مقاتلتهم لتساويهم مع اليهود ، وفي سنة ١٩٦٤م دعوا « سيد قطب » ليتولى قيادة هذه التنظيمات الرافضة والمقاتلة لتولي قيادتهم ، وفي سنة (١٩٦٩) م استطاعَ المرشد العامّ للإخوان المسلمين حسن الهضيبي إقناع « علي عبده إسماعيل » بعدم صحَّةِ أفكارهم وتراجع عن أفكاره مع

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف : د . يوسف القرضاوي . ص٥٥٥٤ ، دن ، دم ، ط١٩٨٢ .

الآخرين ، إلا شاباً واحداً هو « شكري مصطفى » « عضو جماعة التَّبليغ والدَّعوة » الَّذي أصَرَّ على اعتناق فكر التَّكفير ، وخرج من السجن (١٩٧٠م) وأنشأ تنظيمَ « التَّكفير والهجرة » الَّذي وصل عدد أفراده في خمس سنوات إلى خمسةِ آلاف عضوٍ ، ودعا إلى الخطاب الجهادي التكفيري الاعتراضي والانسحابي ، وافتضحَ تنظيم « التَّكفير والهجرة » بعد اغتيالهم للدُّكتور « حسين الذَّهبي » وزير الأوقاف عام (١٩٧٧) ، ووقع في يد الدَّولة .

بعض النُّقاط الهامَّةِ :

١ـ إن « سيد قطب » ركَّزَ على أنَ المجتمع جاهليٌّ وهو كافرٌ ويجب إقامة حكم الله في الأرض ، فجاءت جماعةُ « التَّكفيرِ والهجرة » وأوجدت حلقةً أخرى ، وهي العزلة العمليَّة ، ثمَّ الجهاد والقتل ، ويمكن أن نلمس بذور هذه الفكرة عند « سيد قطب » الَّذي يقول (فأما اليوم وقد عادت الأرض إلى **الجاهليّة** ، وارتفع حكم الله ـ سبحانه ـ عن حياة النّاس في الأرض ، وعادت **الحاكميّة إلى الطَّاغوت في الأرض كلِّها** ، ودخل النَّاس في عبادة العباد بعد إذ أخرجهم الإسلام منها . . . .

الآن تبدأ جولةٌ جديدةٌ أخرى للإسلام كالجولة الأولى تأخذ في **التَّنظيم** كلَّ أحكامها المرحليّة ، حتى تنتهي إلى إقامة **دار إسلام وهجرة** ، ثمَّ تمتدّ خلال الإسلام مرَّة أخرى بإذن الله فلا تعود هجرة **ولكن جهاد وعمل** ، كما حدث في الجولة الأولى)[١] ، وهذا المجتمع (منفصل ومستقل)[٢] عن أي مجتمع جاهلي ، وأفراد هذا المجتمع (يعملون تحت قيادة مستقلة عن قيادة المُجتمع الجاهلي . . .)[٣] .

٢ـ حاول « شكري مصطفى » أن يوجد مجتمعه الإسلاميَّ المنشود ، وحوَّل أفكاره إلى واقع عملي بأن يجعلَ دولةً مستقلَّةً عن طريق شراء قطعةِ أرضٍ وبنى عليها بيوتاً جماعيَّةً وسَهَّلَ أمورَ الزَّواج ، ووضع قواعدَ للتَّربية والتَّعليم ، وقواعدَ للتَّعامل المقبول والمرفوض ، وقد أخذ ذلك من قول « سيد قطب » ، (فإنَّ محاولة إلغاء هذه الجاهليَّة ، وردِّ الناس إلى الله مرَّة أخرى ، لا يجوز ولا يجدي شيئاً أن تتمثَّل في نظريَّة مجرَّدة ، فإنَّها

---

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب . م٤/ج١٠ ، ص٧٥ .
(٢) معالم في الطريق : سيد قطب . ص٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٥٠ .

حينئذ لا تكون مكافئة للجاهليَّة القائمة فعلاً والمتمثِّلة في تجمُّع حركي عضوي ، فضلاً على أن تكون متفوِّقةً عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل ، لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسيَّة في طبيعته وفي منهجه وفي كلِّيـَّاته وجزئيَّاته ، بل لا بدَّ لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثَّل في تجمُّع عضوي حركي أقوى في قواعده النَّظريَّة والتَّنظيميَّة ، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التَّجمُّع الجاهلي القائم فعلاً)[1] .

٣ـ يجب النضال ضد الدول الكافرة التي تحكم بغير ما أنزل الله ، وضد المجتمع الجاهلي الذي يمارس حياته بتشريعات من وضع البشر ، ولابد من الصبر حتى يتحقق وعد الله بالنصر ، وتلك سنة الله في الأرض وسنة أنبياء الله .

٤ـ وتمايزت بقولها إنَّ من لا يدخل جماعة المسلمينَ فهو كافرٌ إذا كان بلغه الأمرُ ولم يُصغِ له ، ولهذا فالمرأةُ إذا دخلت في جماعتهم تُطَلَّق من زوجها لأنَّه كافرٌ ، ويحقُّ لها الزَّوَاجُ من آخر ، والزَّوجُ أيضاً يُطَلِّقُ زوجته الَّتي لم تصغِ إلى مبادىء التَّكفير والهجرة ، ويعتبرون الزواج في أصله باطلاً وفاسداً .

٥ـ سعى قسمٌ من الإخوانِ المسلمين إلى إقناع المؤمنينَ بالتَّكفير بالعدول عن آرائهم ، ففي بداية هذه الفترةِ أصدر « حسن الهضيبيّ » كتابه « دعاة لا قضاة » بهدفِ الرَّدِّ الفكريِّ والسِّياسيِّ عليهم .

٦ـ ومنْ فلسفةِ التَّكفيرِ عند « شكري مصطفى »[2] :

أ ـ رفضُ التُّراثِ الإسلاميِّ السَّابق له .

ب ـ العُزلةُ عن العباداتِ المعاصرة وعن المساجد .

ج ـ العزلةُ عن الفكرِ المعاصر ونتاجاته المادِّيـَّةِ .

٧ـ وجماعة « التَّكفيرِ والهجرةِ » لا تعترفُ بالإجماع أو القياسِ أو المصالحِ المرسلةِ أو غير ذلك من القواعدِ الفقهيَّة. . . وتعتمد أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ هما الحجَّةُ ولا حجَّة غيرهما ، ولا يعترفون بأيِّ نتاجٍ فقهي أو فكرٍ سابقٍ ، في حين يعتبرون اجتهادات « شكري مصطفى » الحقَّ الَّذي لا مراءَ فيه .

---

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب . م٤/ج١٠ ، ص٦٨ .

(٢) انظر : كتاب الأصوليَّات الإسلامية في عصرنا الراهن : سلسلة كتاب قضايا فكرية : مقالة د .رفعت السعيد . ص١٦٤ .

٨ـ اعتبرت هذه الجماعة نفسها أنهّا جماعة المسلمين وما سواها كافر ، ولهذا فهي تبيح دماء المسلمين ، وأموالهم ، ودماء غيرِ المسلمين وأموالهم ، كما تعتبر أنَّ المساجدَ هي غير إسلاميّة كمسجد الضِّرار ، فأجازوا سَرقة أموالِها وأثاثها ، كما منعوا جماعاتهم من الصَّلاةِ فيها ووراءَ أئمَّتها إلا لمصلحةٍ خاصّةٍ .

٩ـ يتميز مسار هذه الجماعة بثلاث مراحل :

١ـ مرحلة الدعوة إلى إعلاء كلمة الله ، (وقد يخاصم الابن أباه ، والبنت أمها ، وقد يعتزلون من يعيشون معهم من الأهل والأصدقاء ، لكن عليهم بالصبر ، وتحمل الأذى في سبيل الله ورفع شأن الإسلام ، وهذه المرحلة عند الجماعة مرحلة الاختبار والامتحان ، حيث يتميز الخبيث من الطيب ، ويعرف الثابت على الحق من المنافق أو الخائف .

٢ـ المرحلة الثانية هي المرحلة التي يبدأ فيها الصراع ، ويشتد فيها البلاء ، والتي تزهق فيها الأرواح ، في هذه المرحلة يعتزل الدَّاعون إلى الله المجتمع الجاهلي ، ويهاجرون إلى أرض تحفظ عليهم إيمانهم وأرواحهم ، وفي هذه المرحلة تكون التخلية التي يسلط الله فيها الكافرين بعضهم على بعض ، وينزل الله عليهم من المصائب ما قد يدفع بهم إلى الإفاقة من جاهليتهم ، وهجرة المهاجرين لا تكون للتخلية بين الله والمجتمع الجاهلي فحسب ، وإنما تكون أيضاً للحفاظ على أرواحهم ، ولتربيتهم التربية القتالية التي ستمكنهم من العودة إلى المجتمع الجاهلي والتغلب عليه .

٣ـ وهذه المرحلة الثالثة هي مرحلة العودة ، وقد اشتد عودهم وأصبحوا جند الله الذين ينتصرون حتماً كما وعد الله على جند الشيطان ، والذين يعبدون الله في الأرض ويزيحون الطاغوت . . .)[1] .

ونلخص ما سبق :

إن « جماعة التكفير والهجرة » تقوم على فكر تكفيري ، وهجرة إلى مجتمع تخيَّلوه ثم حاولوا إيجاده ، وهذه الأفكار والممارسات تناقض المنطوق والمعقول في الإسلام ، وهي حالة من حالات التطرف والانحراف والشذوذ .

وإذا قضي على هذه الجماعة فإن الفكر التكفيري بقي منهلاً لكل محبط ويائس وخارج

---

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة : مقالة الصحوة الإسلامية في مصر : د . محمد أحمد خلف الله . ص٦٧ .

على النظام والمجتمع وقليل علم بالإسلام وأحكامه ، ولكل من يريد فرقة الأمة والنيل من وحدتها .

فعلى الدعاة الحكماء تبيان مخاطر التكفير والقتل ، والمعالجة قبل استفحال الداء وصعوبة مداواته .

المطلب الثالث : جماعة الجهاد

جماعة الجهاد و« طلائع الفتح الإسلامي » ، خرجت من عباءة الإخوان المسلمين الإصلاحية ، لتنحو منحى التكفير والتجهيل معتمدة على النظرية المودودية والقطبية .

(انكشفت منظمة « الجهاد » أوَّل مرة عام (١٩٧٢) نتيجة تورُّطها بنشاطاتٍ معاديةٍ للأقباطِ ، لكن لم تظهر قدرتها الكاملة إلا عند اغتيال « السَّادات » في٦ت١/ ١٩٨١م)[١] .

(لقد عبر تنظيم الجهاد عن الظاهرة الاقتحامية النضالية ، بينما كانت جماعة التكفير والهجرة ، ظاهرة تكفيرية انسحابية اعتزالية ، وإثر محاكمة تنظيم الجهاد والقبض على حوالي ٥٠٠٠ إسلامي وتمَّ حصر الاتهام في ٣٠٢ عضواً منهم ، (تشرذم تنظيم الجهاد. . . إلى تنظيمات جهادية صغيرة مستقلة وصل عددها إلى ما لا يقل عن ٥٦ تنظيماً. . . ويصف « أسامة حميد أحمد منظري » تنظيم الجهاد هذه التنظيمات بأنها تنظيمات شخصانية لم تقم على أسس فكرية ، ولا معنى لتصنيفها تنظيمياً بسبب سيولتها وتعدد الاتجاهات داخل كل منها بما يجعل التنظيم الواحد وكأنه جبهة على حد تعبيره ، في حين تصف وثيقة داخلية أخرى بعض هذه التنظيمات بأنها خوارج هذا العصر ، وتحمل عقائد فاسدة ضالة تحت رايات إسلامية ، والمقصود هنا تنظيمات التوقف والتكفير بشكل أساسي)[٢] .

وأهم فرق الجهاد جماعة « السماويين » نسبة إلى « طه السماوي » المشهور « بعبد الله السماوي » في عام ١٩٨٦م ، وقد قاموا بإحراق بعض أندية الفيديو والبارات والأضرحة في القاهرة والإسكندرية ، وتنظيم « الناجين من النار أو جماعة التوقف والتبين » ، وهي

---

(١) الأصولية في العالم العربي : د . هرير دكمجيان . ص ١٤٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١ـ١٣٢ .

تنظيم منشقٌّ عن « التكفير والهجرة » الذي اغتال ثلاثة من كبار مسؤولي الدولة عام ١٩٨٧م. . . وتمركز اختلاف كتلة الجهاد ، وكتلة الجماعة الإسلامية حول أربعة موضوعات تنظيمية وشرعيَّة وحركية متضافرة هي : إمارة الضرير ويقصد به الشيخ عمر عبد الرحمن ، وإمارة الأسير ويقصد به المقدم زمر الأسير ، ومسألة الطائفة الممتنعة ، ومسألة القدر بالجهل ؛ فرأت الجماعة الإسلامية أن مسألة القدر بالجهل مسألة اعتقادية فتقرب بذلك من موقف المعتزلة ، في حين ترى جماعة الجهاد أنها مسألة فقهية لا اعتقادية ، فهي تتَّحد مع من يقدر ومع من لا يقدر. . . ومسألة الطائفة الممتنعة وهي الطائفة الحاكمة الممتنعة عن تطبيق شريعة من شرائع الإسلام ، فتتفق الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد حول وجوب قتالها ، وإن كانت مسلمة تنطق بالشهادتين ، إلا أنَّهما لا تتفقان حول تكفيرها ، فلا تكفِّر الجماعة الإسلامية الطائفة الممتنعة إلا إذا جحدت ما امتنعت عنه ، وترى حينئذ أنها تقاتل قتال المرتدين. . . ويترتب على ذلك تكفير الحاكم وأعوانه عند جماعة الجهاد ، وتكفير أنصار المرتدِّين وغنم أموالهم وسبي نسائهم دون تفريق بين تابع ومتبوع ، وتذهب إلى حد التكفير الضمني للجماعة الإسلامية بأن من يخالف مثل هذا الإجماع يكفر نقلاً عن « ابن تيمية » و« القاضي عياض » ، وتصف موقف الجماعة بأنه شرعنة لـ(ما يقوم به أنصار الحاكم المرتد من قتل المسلمين وتعذيبهم وسجنهم وهتك حرماتهم وارتهان نسائهم ونقل أخبار المسلمين للكافرين)[١] ، وتنفي الجماعة الإسلامية مبدأ السرِّية وتبتدعه. . . وتعبِّر نشرة « السرِّية في العمل الإسلامي » عن موقف جماعة الجهاد في ضوء فتوى مرجعها الفقهي « عبد القادر بن عبد العزيز » ، بالوجوب الشرعي للسرِّية حين تكون تدبيراً من تدابير الجهاد. . . ومن هنا تجيز جماعة الجهاد « التقية » ، وترك صلاتي الجماعة والجمعة في المساجد ، وسرية بيعة النصرة والقتال ، وإخفاء المعلومات عن الصديق ، و« الكذب والاغتيال » بما في ذلك اغتيال الكافر المحارب أي الذي لا عهد له ، ومشروعية رصده واستطلاعه والتجسس عليه وقتله غيلة ، بل يجوز قتل من معه من النساء والأولاد ، وإن لم يقاتلوا أو يعينوا الكافر ، إذا لم يكن قتل الكافر إلا بذلك وعلى ألا يُتَعمَّد قتلهم. . .)[٢] ، ولقد

---

(١) نقلاً عن عبد القادر بن عبد العزيز : الجامع في طلب العلم الحديث . ١/ ٦٥٢ـ٦٥٥ ، د . ن ، د . م ، ط٢ ، ١٩٩٩م .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(تألَّف الكادر القيادي الأساسي للجماعة الإسلامية من طلاب الجامعات بقدر ما تألَّف مثيله في جماعة الجهاد من سياسيين وعسكريين. . .)[1] ، وتقترب الرؤية الحركية السياسية لجماعة « الجهاد » إلى حد كبير من رؤية « حزب التحرير » ، فتتحدد أولويتها بإسقاط النظام وإعلان الخلافة ، وتصوغ ذلك فقهياً ، في أن قتال الحكَّام المرتدين الحاكمين لبلاد الإسلام مقدَّم على قتال غيرهم ، وترى أن الصراع مع إسرائيل هو صراع مصيري وجودي إلا أنها تؤجل الصِّراع إلى حين إقامة إقليم ليكون قاعدة لدولة الخلافة في مصر ، تنطلق منه حربها ضد إسرائيل تحت قيادة إسلامية. . .)[2] ، وبينما الجماعة الإسلامية رغم قولها فقهياً بوجوب قتالها ، ابتداءً بوصفها تمثِّل الطائفة الممتنعة ، إلا أنها في الوقت نفسه لا تكفِّر هذه الطائفة ، وتفصل ما بين تكفير رؤسائها وتكفير أتباعها ، ولا تكفِّر من يواليها بالظاهر ، وتنكر شرعية العمل السرِّي. . .)[3] ، وحاولت الجماعة الإسلامية (العلنية) الضغط على الدولة وإرغامها على الإقرار الفوري بتطبيق الشريعة ، وسيَّرت المسيرة الخضراء في أيار ١٩٨٥م ، كما أحرقت أندية الفيديو والبارات والأضرحة ، وحولت مساجدها بين عامي ١٩٨٤ـ ١٩٨٥م إلى منابر ضغط على السلطة ، وتوسعت أعمال الجماعة بعد الإفراج عن أميرها « عبد الرحمن » في ١٩٨٤م ، ثم قُدِّم لمحاكمة ثانية ١٩٨٩م بتهمة تجمهر مسلح ، والاعتداء على حفلات الزفاف ، وتعطيل الحفلات الفنية والموسيقية والمسرحية ، وحفلات التعارف والتخرُّج في الجامعة ، وحرق محلات بيع الخمور ، وتحطيم السيارات التي تنقل صناديق البيرة ، وإشعال النيران في بعض دور السينما ومحلات الفيديو ، وإثارة اضطرابات جامعية. . . ومنع الأمن من الإزماع بمظاهرة عقب صلاة الجمعة في مسجد الشهداء الذي يخطب فيه « عبد الرحمن » ، وطوقت الشرطة مسجد « الشهداء » ولكن حصل اصطدام بين أتباع « عبد الرحمن » والأمن في نيسان ١٩٨٩م ، فأحيل « عبد الرحمن » مع ٤٩ من أتباعه إلى المحاكمة وأفرج عنه عام ١٩٩٠م ، ليحصل في تموز من العام نفسه على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم تغتال قوات الأمن المتحدثَ الرسمي باسم الجماعة ، والرجل الثاني فيها ، الدكتور « علاء محي الدين » ، وردَّت الجماعة على ذلك باغتيال

---

(١) المرجع السابق ، ص١٣٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٨ـ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٤٠ .

الدكتور « رفعت محجوب » رئيس مجلس الشعب في ١٢/ ١٠/ ١٩٩٠م ، وانفجرت بحار العنف. . . بين أفراد هذه الجماعة وبين قوات الأمن. . . وفي سنة ١٩٩٢م كان معدل العنف قتيلاً كل أربعة أيام ، وجريحاً كل يومين ، وحوالي ٢٥ معتقلاً كل يوم ، حتى تم إقرار قانون الإرهاب في تموز ١٩٩٢م. . لكن هذا القانون لم يوقف العنف بل ضاعفه ، فارتفع عدد ضحايا العنف بين تموز ١٩٩٢ وتموز ١٩٩٥ إلى ٩٦١ قتيلاً ، بينما كان عدد الضحايا قبل إقرار القانون أي من نيسان ١٩٨٦ إلى تموز ١٩٩٢م هو ١٣٦ ضحية فقط. . . وتولى وزارة الداخلية ١٩٩٣ اللواء « حسن الألفي » وكان ممثلاً للتيار الاستئصالي للمعارضين الإسلاميين ، فازداد العنف وشارك فيه (جماعة الجهاد وعبود الزمر وأيمن الظواهري) ، و« طلائع الفتح » و« حركة الجهاد » (الدكتور أحمد) المنشقة عن « الجهاد » لأول مرة بالعمليات المسلحة ضد السلطة ، (فكانت محاولة اغتيال وزير الإعلام بعد ٤٨ساعة من الانقلاب الذي أتى بالألفي وزيراً للداخلية أول عملية يقوم بها أحد تنظيمات جماعة الجهاد منذ حادث المنصة عام ١٩٨١م ، وقد جرت ثلاث محاكمات عسكرية لأعضاء تنظيم « طلائع الفتح » في تشرين الأول ١٩٩٣م ، وكان عدد المتهمين ١٧٦ متهماً ، وكان استيلاء التيار الاستئصالي على وزارة الداخلية كارثة على مستقبل العلاقة ما بين الدولة المصرية ومحافظات الصعيد ، إذ أن ممارسات هذا التيار زجت محافظات الصعيد في نوع من ثأر مع الدولة ، تغذية البنية التقليدية المسبقة لعادة الثأر في الصعيد ، فقد بلغ عدد ضحايا العنف والعنف المضاد في عام ١٩٩٣م حوالي ١١٠٦ شخصاً من الشرطة والجماعات والمدنيين ، وأما عدد المعتقلين فبلغ ١٧١٩١ معتقلاً ، وبيَّن تَقرير آخر أن مكتب التظلمات لدى النائب العام تلقى خلال عام ١٩٩٣م حوالي ٢٩ ألف تظلم في أوامر الاعتقال. . .)[١] .

(اعتبر التيار الاستئصالي عام ١٩٩٤م عام الحسم ضد الجماعات ، وتبنت الدولة المصرية نفسها نظرية هذا التيار المهلكة التي تضع جميع الإسلاميين بمن فيهم الإخوان المسلمين في سلة واحدة ، وتنكر جدوى الحوار معهم ، وتطرح سياسة الضربات الوقائية المستمرة ، والتصفية الجسدية الفورية للمطَارَدين ، وادعى وزير الداخلية في شباط ١٩٩٥م أنه تم القبض على ٩٦٪ من المتهمين بقضايا الإرهاب. . .)[٢] . وأعلنت

(١) المرجع السابق ، ص١٤٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

الجماعة الإسلامية عن مسؤوليتها عن محاولة اغتيال الرئيس مبارك في أديس أبابا. . . في أواخر حزيران ١٩٩٥م ، (وكانت مجزرة الأقصر التي نفّذتها كتيبة « طلعت ياسين همام » للجماعة الإسلامية في ١٧/ ١١/ ١٩٩٧م ضد السياح الأجانب ، تعبيراً كارثياً مدمراً عن هذه المجابهة ، غيَّرت فيه الجماعة الإسلامية سياستها جذرياً من حرب السياحة إلى حرب السيّاح . . .)[١] ، ومجزرة الأقصر التي قامت بها « الجماعة الإسلامية » كانت تهدف في الأساس إلى احتجاز السيّاح كرهائن مقابل المطالبة بالإفراج عن الشيخ « عمر عبد الرحمن » المعتقل في أمريكة بتهمة التآمر لتفجير مركز التجارة الدولي في نيويورك في شباط ١٩٩٣م ، وعن القيادات التاريخية للتنظيم من الموجودين في السجون المصرية ، وقد أتبعت الجماعة العملية بإعلان عن استعدادها لوقف إطلاق النار من طرف واحد مقابل الإفراج عن المعتقلين ، وقطع العلاقات مع إسرائيل وإعادة الشيخ « عمر عبد الرحمن » إلى مصر. . . مهما يكن الأمر فإن هذه العملية ، المجزرة تمثِّل منعطفاً خطيراً في عنف الجماعة الإسلامية ينقله من حدود العنف العشوائي غير المنظم سياسياً ، والمرتبط بمفهوم (دفع الصائل) أو رد الاعتداء إلى حدود العنف الإرهابي المرتبط بأولويات سياسية محددة ، وهي في ذلك تسمح بالحديث عن نوعية عنف الجماعة الإسلامية ما قبلها ، وأشكالها النوعية المختلفة والمحتملة ما بعدها ، وتضع المستقبل في دائرة الاحتمالات. . .)[٢] .

(كانت « الجهاد » خلافاً « للتّكفير » نزَّاعةً إلى التَّغلغُل في القوَّاتِ المسلَّحةِ وقوَّات الأمنِ وغيرها من المؤسَّساتِ الحكوميَّةِ ، وليس إلى اعتزال المجتمعِ ، ومن هذه النّاحية تكون « الجهاد » أخطرَ من « التّكفير ». . . زد على هذا أنَّ قيادةَ « الجهاد » جماعيَّةٌ وليست قيادة فرد ذي شخصيَّةٍ آسرةٍ مثل « شكري مصطفى » « سريَّة » . وهذه الخاصيَّة قد أعطت « الجهاد » مرونةً في اتِّخاذ القرارات وفي تنفيذها. . . والمجموعة الَّتي اغتالت « أنور السَّادات » كان مسؤولها المذهبيّ هو المهندس الكهربائي : « عبد السَّلام محمّد فرج » والعسكريُّ الملازم الأوَّل « عبُّود عبد اللطيف حسن الزُّمر » الَّذي كان مسؤولاً عن العمليَّات. . .)[٣] ، وحكم مجلس الشّورى في الجماعة بقتل « السَّادات » وتمَّ ذلك على

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٥٢ .
(٣) الأصولية في العالم العربي : د . هرير دكمجيان . ص١٤٣ .

يد الملازم الأوَّل « خالد الإسلامبولي » وشريكيه .

(قدَّم الملازم « الإسلامبولي » ثلاثة أسباب لقرار قتل « السَّادات » :

١ـ قوانين مصر الحاليَّة غير مطابقة للشَّريعة الإسلامية ، وهذا جرَّ على المسلمين البلايا .

٢ـ سلام « السَّادات » مع إسرائيل .

٣ـ القبض على الأصوليِّين الإسلاميِّين في سبتمبر أيلول ١٩٨١م واضطهادهم وإهانتهم)[١] .

وقد كتب « محمَّد عبد السَّلام فرج » كتابَ « الفريضةِ الغائبة » ، وتحدَّث فيه عن نقاطٍ من أجل « الجهاد » منها :

١ـ إعلان الجهاد ضدَّ الحكَّام الَّذين تربَّوا في الغرب على أيدي النَّصارى والشُّيوعيّة والصَّهاينة .

٢ـ حكَّام المسلمين مرتدُّون ، وقتل المرتد واجب ديني .

٣ـ لا يجوز التَّعامل مع الحاكم الكافر ، حتى الأحزاب الإسلامية لن يؤدي سعي أصحابها إلا إلى زيادة الجمعيات الخيرية ، والذين يشتركون في عضوية المجالس التشريعية التي تُشَرِّع من دون الله يساهمون في بناء دولة الكفر فهم يشاركونهم ، وتحرير القدس ومقدسات المسلمين وأوطانهم من الاستعمار والصهيونية يبدأ عبر تحرير البلد من الحكم الكافر ، فلا بد من إزالة الحكام أولا ، ثم الانطلاق تحت قيادة إسلامية لتحرير المقدسات .

٤ـ ويقولون عن جماعة « التكفير والهجرة » : (أما الذين يصرفون عن الجهاد ، ويزعمون أنهم في مرحلة الاستعطاف ، ويدعون إلى اعتزال المجتمع ، والهجرة منه ، على أمل تحصيل القوة ثم العودة إليه غازين ومقيمين دولة الإسلام) فإن آراءهم هذه شطحات أناس تنكبوا الطريق الصحيح لإقامة دولة الإسلام .

٥ـ لن ينتصر الإسلام إلا بقوَّة السِّلاح والجهاد .

٦ـ يجب أن يختار القائد جماعيّاً ، ويجب إطاعته .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

لقد تمَّت حادثة اغتيال « السَّادات » يوم ٦ أكتوبر تشرين الأول (١٩٨١م) .

ولقد قضي على هذه الجماعة ، ولكن كثيراً من أفكارها لم يزل يتبناه اليائسون والمحبطون والناقمون .

ولقد ظهرت تنظيماتٌ متعددةٌ صغيرةٌ في مصر تحملُ فكرَ الجهادِ والتَّكفيرِ ، وأصبحت مظهراً من مظاهر المعارضةِ الإسلاميّةِ كجماعة « النَّاجون من النَّار » .

إنَّ هذه الحركات التي اتخذت فكر الجهاد والتكفير تسيء للمسلمين ودعوة الإسلام ودعاته الصادقين ، وتعطي صورة سيئة عنهم ، وتنهج منهجاً منحرفاً عن قواعد الدعوة الإسلامية ، والواجب على الدعاة الحكماء ، والحكام المخلصين والمدركين لخطورة ذلك على وحدة المجتمع ، وسلامته واستقراره ، أن يتعاونوا في نشر الإسلام الصحيح للحدِّ من ظاهرة التَّطرُّف هذه .

المطلب الرابع : حزب التَّحرير[1] الإسلاميّ[2] وتنظيم صالح سرية

أولاً : حزب التحرير :

مؤسِّسه : الشيخ « تقيُّ الدِّين النَّبهاني » (ولد عام ١٩٠٩ وتوفي ١١/ ١٢/ ١٩٧٧م ، فلسطينيٌّ من حيفا من قرية أجزم التي أقام بها اليهود مستعمرة (كيرال مهرال) سنة ١٩٤٩م ، ثم بعد دراسته الإعدادية والثانوية في قريته ، التحق بالأزهرِ ، ودرس فيه ، وحصل على دبلوم في اللغة العربية وآدابها من كلية دار العلوم في القاهرة ، وإجازة في القضاء الشرعي من المعهد العالي للقضاء الأزهري ، والشهادة العالمية في الشريعة من الأزهر عام ١٩٣٢م ، وفي أوائل الأربعينيَّات من هذا القرن ، عاد ليعمل مدرِّساً فقاضياً في عدد من مدنِ فلسطين، فتعين كاتباً في محكمة بيسان ، ثم نقل إلى طبريا ، ثم عيِّن كاتباً في المحكمة الشرعية بحيفا ثم عام ١٩٤٠ مساعد قاضي ، ثم نقل قاضياً لمحكمة الرملة وبقي فيها من ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ ، وإثر نكبة (١٩٤٨م) هاجر مع أسرته إلى بيروت ثمَّ عمل في محكمة الاستئناف الشَّرعيَّةِ في بيت المقدس ، ثم مدرِّساً في الكلِّيَّة الإسلاميَّة في

---

(١) انظر : الموسوعة الميسرة : ندوة الرياض . ص١٣٥ .

(٢) يرفض حزب التحرير إضافة الإسلامي ، ولكن كثير ممن يكتب عنهم استعمل مصطلح « حزب التحرير الإسلامي » ليميزه عن أحزاب أخرى تسمَّت بحزب التحرير .

عمَّان ، وتنقَّل بين الأردن وسوريَّةَ ولبنان وأسَّس حزبه عام ١٩٥٠م[1] ، وتوفِّي في لبنان ودفن فيها عام ١٩٧٩م حيث تقيم حالياً عائلته ، وقد ألَّف الشيخ تقي الدين النبهاني أكثر من ثلاثين كتاباً وكتيباً وأعدَّ المئات من النشرات ، ومن مؤلفاته : النظام الإسلامي ، والتكتل الحزبي ، ومفاهيم حزب التحرير ، والنظام الاقتصادي في الإسلام ، والنظام الاجتماعي في الإسلام ، نظام الحكم في الإسلام ، والدستور ، ومقدمة الدستور ، والدولة الإسلامية ، والشخصية الإسلامية في ثلاثة أجزاء ، ومفاهيم سياسية لحزب التحرير ، ونظرات سياسية ، والخلافة ، والتفكير ، وسرعة البديهة ، والانطلاق ، ودخول المجتمع ، وإنقاذ فلسطين ، ورسالة العرب ، وتسلُّح مصر ، والاتفاقيات الثنائية المصرية السورية واليمنية ، وحلُّ قضية فلسطين على الطريقة الأمريكية والإنكليزية. . . . وخلفه على الحزب الشيخ « عبد القديم زلوم » ، حتى توفي سنة ٢٠٠٣م ، ثم تولى الحزب إلى اليوم المهندس (عطاء بن خليل الرشتة) ، وهو مهندس معماري ، وله مؤلف في الهندسة ، وكتب عدة مؤلفات في أصول الفقه ، وله تفسير لسورة البقرة .

وأهمُّ الأفكار والمعتقدات[2] :

١ـ وجوب إعادة الخلافة الإسلاميَّة في الدُّول العربيَّة ثمَّ الإسلاميَّة ، وهذا يتطلَّبُ التَّركيزَ الكبيرَ على النَّاحيةِ الثَّقافيةِ ، والعملَ السِّياسيَّ من ناحيةٍ أخرى ، (وتبنى وسائل واجتهادات عديدة انتقدها عليه جماهير علماء المسلمين المعاصرين لتصادمها مع النصوص والمقاصد الشرعية)[3] .

٢ـ رصدُ الحوادثِ والوقائعِ ، وجعل الحوادثِ تنطقُ بصحَّةِ أفكار الإسلامِ وأحكامهِ وصدقها ، ولهذا يجبُ أن يكونَ هناك انقلابٌ فكريٌّ قبلَ الانقلابِ السِّياسيِّ .

٣ـ لهذا يقسِّم الحزبُ مراحلَ عمليَّةِ التَّغيير إلى ثلاثِ مراحل :

المرحلةِ الأولى : الصِّراع الفكريِّ ويكون بالثقافة التي يطرحها الحزب .

المرحلةِ الثَّانية : الانقلابِ الفكريِّ ، ويكون بالتَّفاعل مع المجتمعِ عن طريق العمل الثَّقافيِّ والسِّياسيِّ .

---

(١) بعض الدارسين يجعل تأسيس الحزب وظهوره عام ١٩٥٢م أو ١٩٥٣ .

(٢) انظر : كتاب نظام الحكم في الإسلام : تقي الدين النبهاني . دار الأمة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠م . وكتاب نداء حار من حزب التحرير : له ، د . ن ، د . م ، ١٩٦٢م .

(٣) الحركات الإسلامية ، الطحان ، ص ٣٠٥ .

المرحلةِ الثَّالثة : تَسَلُّم زمامِ الأمورِ ، ويكون عن طريق الأُمَّةِ تسلُّماً كاملاً .

(ومن المنزلقات التي وقع فيها الحزب أن حدد لكل مرحلة مدة زمنية محددة ، فالمرحلة الأولى مدتها ثلاثة عشر عاماً ، من تاريخ تأسيس الحزب ، ثم مددها ثانياً إلى ثلاثين عاماً نتيجة الظروف والواقع ، ورغم أن المدتين قد مضتا فلم يحصل شيء مما ادّعَوا تحقيقه ، ومن الانحرافات لديهم : إغفال الجانب التربوي لأفراده ، وإهمال جانب الروح ، والتعامل مع الإنسان تعاملاً فكرياً فحسب ، ومن الانحرافات أيضاً : إنكار الحزب لعذاب القبر ونعيمه ، وتحكيم العقل في المسائل العقدية ، وتخلِّيه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن ذلك لديهم من معوقات العمل المرحلي ، وهو أيضاً من مهمات الدولة المسلمة عندما تقوم. . . إلى غير هذا من الانحرافات ، بالإضافة إلى فتاويه غير المنضبطة بضوابط الفهم الصحيح مثل : تقبيل المرأة الأجنبية بشهوة وبغير شهوة. . . ولهذا الحزب انتشار الآن في كثير من البلدان كبلاد الشام وبعض البلاد العربية ، وبعض دول أوربة خاصة النمسة وألمانية. . .)[١] .

وتشير استراتيجيَّة « النَّبهانيّ » الَّتي عرضها في ثلاثة مراجع أساسيَّة تعكس فكره إلى ثلاث مراحل يمرُّ بها الحزبُ باعتباره الأسلوب السِّياسيَّ المفضَّل في هذه الظُّروف التَّاريخيَّة :

(أ ـ مرحلة تحضير ودراسة توصل إلى صياغة الثَّقافة الخاصّة بالحزبِ .

ب ـ مرحلة تفاعل مع المجتمع الَّذي ينبغي كسبه شيئاً فشيئاً إلى مبادىء الحزب .

ـ ومن المفروض أنّ الحزبَ يمرُّ بهذه المرحلة حاليّاً[٢] .

ج ـ مرحلة الاستيلاء الكامل على السُّلطة عندما تتمُّ إزالة أوجه مقاومة المجتمع المدني)[٣] .

٤ـ للحزب دستورٌ مؤلَّف من (١٨٧) مادة معدٌّ للدَّولةِ الإسلاميَّةِ المتوقَّعةِ خلال ثلاثين سنة وما دون .

---

(١) الحركات الإسلامية : طحان ، نقلاً عن د . عبد الله الفقيه ، ص ٣٠٦ .

(٢) كتاب الحركة الإسلامية في الأردن : موسى زيد الكيلاني ،ص ٢٠٣، دار البشير ، عمان ، ١٩٩٠ .

(٣) نظام الحكم في الإسلام : تقي الدين النبهاني . ص٢٤١ وما بعدها .

٥- يُرَكِّزُ الحزبُ على النَّواحي الفكريَّةِ والسِّياسيَّةِ ، فهو تكتل سياسي وليس تكتلاً روحياً ولا علمياً وتعليمياً ولا خيرياً .

٦- يُرَكِّزُ الحزبُ على الوصولِ للسُّلطةِ بأيّة وسيلةٍ ، ومحاربةِ جميع الحكومات والأنظمةِ لأنَّها لا تحكم بحكم الله .

٧- كانَ « النَّبهانيُّ » مؤسس الحزب في بدايةِ أمرهِ على صلةٍ مع « الإخوانِ المسلمين » في الأردنِّ ، ويعتبره بعضهم خلفاً لتنظيم الإخوان بعد حلِّه في مصر وبعد محنتهم وتفرُّقهم ورفضِ قسمٍ من الإخوان مهادنة الحكومة كما فعلَ « الهضيبيّ » ، وأكَّد بعض الكتَّاب نسبة « النَّبهاني » « للإخوان » ، بأنَّ المحاضرات الَّتي ألقاها عن نظام المالِ في الإسلام ، في مراكز « الإخوان » في الأردن تكاد تكون مقتبسة بكاملها من كتاب « العَدالةِ الاجتماعّية في الإسلام »[1] لـ « سيد قطب » ، ولكنَّ « النَّبهانيَّ » ما لبثَ أن استقلَّ برأيه وقد حاوره وناقشه « سيد قطب » سنة (١٩٥٣م) في القدس ، وتحدَّث « سيد قطب » عن وحدة الجماعة ، واتَّفقا على أنَّ المجتمع جاهليّ والحكومات جاهليَّة ، ولكن اختلفا في أسلوب التَّغيير .

٨- تنظيمهم يعتمدُ على السِّريةِ والكتمانِ والاستعانة بأيِّ إنسانٍ يخدم فكرتهم .

٩- يجيزونَ قتلَ الحاكم ويعتبرون أنَّ أقصر طريقٍ لإقامة الحكومة الإسلاميَّة والخلافةِ الإسلاميَّة القضاءُ على الحكَّام[2] ، ويرى الحزب أن العالم كله اليوم بما فيه بلاد المسلمين دار كفر ، ولا توجد دولة تحكم بما أنزل الله .

١٠- انتشرَ هذا الحزب في الأردنِّ وسوريَّة ولبنان ، ثمَّ انتشرَ في كثيرٍ من البلدانِ الإسلاميَّة حتَّى وصل إلى أوربَّة ، وخاصة النمسة وألمانية والدانمرك ، وفي الأجزاء المسلمة من الاتحاد السوفيتي السابق كما في آسية الوسطى إضافة إلى أندنوسية وماليزية وباكستان .

١١- مُنع هذا الحزب في جميع البلادِ العربيَّةِ ، واتُّهم بمحاولة الاستيلاء على الحكم وخاصَّة في سوريَّة والأردن ومصر .

---

(١) الموسوعة الحركية : د . فتحي يكن . ١/ ٤٥ .

(٢) يُقال إنَّ أول موقف سياسي اتخذه حزب التَّحرير الإسلاميِّ كان رد فعل (أعلن عنه في ١٩٥٥م تجاه مشروع جونسون الإنجليزي الإسرائيلي) . انظر : كتاب الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص١٩٩ .

١٢- أهمُّ كتبهم « كيف هدِّمت الخلافة » للمؤلِّف « عبد القديم زَلُّوم » خليفة « النَّبهانيّ » بعده ، وعدّة كتبٍ ألّفها « النَّبهانيُّ » منها « نداء حارٌّ إلى العالم الإسلاميِّ » ، و« الخلافةُ » ، و« نظام الحكم في الإسلام » ، و« النِّظام الاقتصاديّ في الإسلام »[١] .

١٣- (يتَّسم حزب التَّحرير بظاهرة الانحراف الفكريّ في مختلف المستويات ، فهو يعطي الفكرَ الأهمِّيَّة الأولى في بناء الشَّخصيَّة ، ويوليه العناية الكبرى في تنظيماتِ الحزب ، ويعلِّل نكسة المسلمين بضعفه عندهم ، ويشترط نموَّه أولاً لنجاح نهضتهم الحاليَّة)[٢] .

١٤- بعد وفاة النبهاني سنة ١٩٧٧ قاد الحزبَ الشيخُ عبد القديم زلوم حتى سنة ٢٠٠٣ ، حيث قدم استقالته ، فترأَّس الحزب عطاء أبو الرشتة .

١٥- يكفرون كل مسلم لم يبايع الخليفة وأنه إذا مات من غير بيعة مات ميتة الجاهلية أي مثل عباد الأوثان ، وذلك منذ سقوط الخلافة العثمانية .

ثانياً - جماعة حزب التَّحرير الإسلاميّ في مصر « جماعة الجهاد » .

النَّشأة والتَّنظيم وتاريخه : الحزب هو امتداد لحزب « النَّبهانيّ » الَّذي أُسس في الأردن ١٩٥٣م ، وفي مصر أسَّسه « صالح سريَّة » (نشأ صالح سريَّة في مدينة حيفا بفلسطين وانتمى في سنوات شبابه الأولى إلى حزب التَّحرير الإسلاميّ الَّذي أنشأه تقي الدِّين النَّبهانيّ عام (١٩٥٣م) كردٍّ فعل لهزيمة الجيوش العربيَّة في حرب (١٩٤٨م) ، وعاش « سريَّة » بالأردن بعد خروجه من حيفا وعاصر أحداث سبتمر أيلول (١٩٧٠م) ، وجاء إلى القاهرة عام (١٩٧١م) ، وحصل منها على دكتوراه في التَّربية من جامعة عين شمس ، ثمَّ ما لبثَ أن غادرها إلى بغداد ، وعمل في إحدى جامعاتها لكنَّه لم يلبث أن خرج منها هارباً بعد أن حُكم عليه غيابيّاً بالسِّجن ، وكانت تُهمتهُ تكوين خليّة لحزبِ التَّحرير الإسلاميِّ ، ومناهضةُ نظامِ الحكم ، ومن بغداد جاء إلى القاهرة ، وفي القاهرة وجدَ من يدبِّرُ له عملاً في مقرِّ جامعة الدُّول العربيّة)[٣] .

---

(١) انظر : نظام الحكم في الإسلام ، والنظام الاقتصادي في الإسلام : تقي الدين النبهاني ، د . ن ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م .
(٢) الفكر الإسلامي المعاصر : غازي التوبة . ص١٧٩ .
(٣) الحركات الإسلامية في مصر وإيران : د . رفعت سيد أحمد . ص١١٠ .

١ـ كان « صالح سريَّة » يرى أنَّ نظام الحكم القائمَ في جميع بلادِ الإسلامِ حكمٌ كافر ، والمجتمعاتُ في هذه البلاد كُلُّها مجتمعاتٌ جاهليَّةٌ ، تعلوها أحكام الكفر ، دون أن يعني ذلك كفر كل فرد منها ، إنما الكفر من والى هذه الحكومات ، ويجب اختراق النظام والتسلل إلى عربة القيادة فيه .

٢ـ يختلف عن فكر « سيد قطب » بأنَّ « سيد قطب » طلب لإقامةِ دولةٍ إسلاميَّة ، تثبيت العقيدةِ ، ثمَّ تغيير المجتمع الجاهليِّ ، بينما يرى « صالح سريَّة » أنَّ إقامة الحكم الإسلامي في المجتمع الجاهليّ يبدأ بالاستيلاء على السُّلطة ، ثمَّ بعد ذلك يكون تمكين العقيدة ، ونشر الشَّريعة وفرض النِّظام الإسلاميِّ وهذا هو رأي حزب التَّحرير الإسلاميِّ .

٣ـ في كتابه « رسالة الإيمان » (ص٦٠) يقول : (كلُّ الأنظمة العربية وكلُّ البلاد الإسلاميَّة اتَّخذت مناهج ونظماً وتشريعات غير الكتاب والسُّنَّة وبذلك فقد كفرت بالله واتخذت من نفسها آلهة وأرباباً ، فكلُّ من أطاعها فهو كافرٌ لأنَّه اتَّخذ له ربّاً سوى الله) .

٤ـ حاول حزب التَّحرير الإسلاميّ الهجومَ (على الكُلِّيَّةِ الفنِّيَّةِ العسكريَّة بهدفِ الاستيلاءِ على أسلحةٍ وعرباتٍ ومعدَّاتٍ من أجل مخطَّطهم الرَّامي إلى القبضِ على الرئيس « السَّادات » والإعلانِ عن قيامِ ثورةٍ وإقامةِ الخلافةِ الإسلاميَّةِ ، وفشلَ الهجومُ بعد معركة قصيرةٍ وقعت فيها خسائر كبيرة في الأرواح ، وحكم على الدُّكتور « صالح سريَّة » ونائبهِ بالإعدام ، وتمَّ إعدامهما في ١١ أكتوبر تشرين الأول ١٩٧٥م)[١] .

(وقد ورثت تنظيم سرية عدة تنظيمات من أهمها : تنظيم شكَّله وكيل النيابة في الإسكندرية هو « يحيى هاشم » ، وتنظيم شكَّله الطالب الأردني في الأزهر « محمد سالم الرحال » والذي كان عضواً في تنظيم سرية ، وقد قاد هذا التنظيم الأخير إثر ترحيل « الرحال » إلى الأردن في تموز ١٩٨١م طالب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية « كمال السعيد حبيب » الذي أخذ تنظيمه يعرف باسم تنظيم الجهاد ، وانضم هذا التنظيم في أيلول ١٩٨١م إلى تنظيم الجهاد بتشكيله الجديد بقيادة « عبد السلام فرج »)[٢] .

---

(١) الإسلام لا يعرف العنف : نبيل فارس . ص٢١ .
(٢) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ١٢٤ـ ١٢٥ .

كما ظهر تنظيم آخر وهو « الجماعة الإسلامية » (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فلقد ظهرت جماعة « شباب الإسلام » عقب التظاهرات الطلابية في الجامعات المصرية التي وقعت في كانون الأول ١٩٧٢م وكانون الثاني ١٩٧٣ . . . .

جماعة الجهاد :

خرجت من عباءة الإخوان ، من النموذج الإصلاحي إلى النموذج التكفيري التجهيلي لجميع المجتمع .

(وتعود أصول تنظيم الجهاد إلى ثلاث جماعات أساسية هي :

تنظيم الجهاد القديم « نبيل بُرعي » ، وتنظيم شباب محمد « صالح سرية » والجماعة الإسلامية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) التي ترأسها « كرم زهدي » و« ناجح إبراهيم » و« أسامة حافظ » .

أما تنظيم الجهاد القديم برئاسة « نبيل البُرعي » الذي حُكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات في قضية تنظيم الجهاد عام ١٩٨٤م ، فلقد انشق عن الإخوان في المعتقل عام ١٩٥٨ ودعا إلى تنظيم جهادي يسترشد بفتاوى ابن تيمية) . وانضمَّ لهذا التنظيم فيما بعد « إسماعيل الطنطاوي » ، و« محمد عبد العزيز الشرقاوي » ، و« أيمن الظواهري » و« حسن الهلاوي » ، و« علوي مصطفى » ، وأصبح « إسماعيل الطنطاوي » قائداً لهذه المجموعة .

وفي عام ١٩٧٣م انشق « علوي مصطفى » المستعجل لنشاط التنظيم وأقام تنظيماً جديداً سمي بـ « تنظيم الجهاد » وقرر إثر ثغرة الدفرسوار في حرب تشرين شن حرب على اليهود على حدود القناة ، وتمكن هنا من تنظيم ضابط المدرعات « عصام القمري » في تشكيله الجهادي الذي سيغدو فيما بعد من أبرز وأخطر عناصر جماعة الجهاد الإسلامي ، وسيُقْتَل عام ١٩٨٨م إثر هروبه من المعتقل في عملية سميت بالهروب الكبير)[١] .

أما تنظيم « شباب محمد » الفنية العسكرية :

(تألف هذا التنظيم هرمياً من ثلاث مجموعات أساسية هي مجموعة الإسكندرية « طلال الأنصاري » وأفكارها ، ومجموعة مدرسة الفنية العسكرية « كارم الأناضولي » ،

---

(١) المرجع السابق ، ٢/ ١٢٣ .

ومجموعة القاهرة « حسن الهلاوي » ، ولعب أستاذ التربية الدكتور « صالح سرية » دوراً حاسماً في توحيد هذه المجموعات وبلورة أفكارها من خلال وثيقة « رسالة الإيمان » التي كتبها سرية عام ١٩٧٣)[١] .

وكان « محمَّد فرج » قد أصدر في (١٩٧٩م) كتابه « الفريضة الغائبة » ، ويعتبر جميع حكَّام المسلمين كَفَرة ، ويجب إقامة دولة إسلاميَّة بقوّة السَّيف ، وحكم على « فرج » بالإعدام بعد مقتل « السَّادات » ، وظلَّت أفكاره التَّكفيريَّة في متناول القانطين من مجتمعاتهم وحكوماتهم واليائسين والرَّافضين والممثِّلين لمعارضة الحكومات ، ومع منع الدُّول العربيَّة لنشاط « حزب التَّحرير » ، فلم تزل كتبهم تنتشر وتشكِّل انحرافاً في فكرمن يعتقد بآرائها ، فعلى الدُّعاة تبيان خطورة هذه الدَّعوات المنحرفة والشَّاذة ، الَّتي تفرِّق وتباعد بين أبناء الأمَّة الواحدة .

(نسَّقت الجماعات الإسلامية في هذا السياق أعمالها على المستوى القطري وأقامت عام ١٩٨٠م اتحاداً أعلى أطلقت عليه اسم « الجماعة الإسلامية » وشغل فيه الدكتور « حلمي الجزار » منصب الأمين العام أو أمير الأمراء ، و« محمد عبد القدوس » منصب السكرتير العام ، والدكتور « عصام الدين العريان » أمانة الصندوق ، وأصبح للجماعة في كل كلية أمير)[٢] .

وانقسمت الجماعة الإسلامية قسمين ، قسم بقيادة الشيخ الدكتور « عمر عبد الرحمن » الأستاذ بفرع جامعة الأزهر في أسيوط ، ويحمل فكراً ثورياً قوياً واضحاً جريئاً ، لا مهاونة فيه ولا تملُّق أو نفاق للسلطة) .

وهو قسم جهادي تسمى باسم « الجماعة الإسلامية » أو « الجماعة الإسلامية : لا إله إلا الله محمد رسول الله ») .

وقسم ثان إخواني إصلاحي تسمى باسم « الجماعة الإسلامية : الله أكبر ولله الحمد » .

وتنضم فيما بعد الجماعة الإسلامية « الجهادية » في تنظيم الجهاد الذي أعاد « محمد عبد السلام فرج » تشكيله .

---

(١) المرجع السابق ، ٢/ ١٢٣ـ١٢٤ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ، ٢/ ١٢٧ـ١٢٨ .

واعتقل بعض أعضائها الذين سيصبحون لاحقاً من قادة الجماعات الإسلامية في الجامعة. . . وقد سيطرت هذه الجماعات بصورة شبه تامة على الاتحادات الطلابية في الجامعات المصرية في النصف الثاني من السبعينات ، بدعم مباشر من أجهزة السادات في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ومباحث أمن الدولة ووزارة الداخلية. . . جاء اتجاه السادات لضرب اليسار. . . وساهمت ثلاثة أحداث متضافرة بفك الارتباط ما بين الجماعات الإسلامية والسادات وهي : زيارة القدس وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد التي أدانتها الجماعات بوضوح تام ، واستقباله لشاه إيران إثر الثورة الإيرانية التي ألهبت راديكالية الجماعات بإرادة المجابهة مع النظام ، وقراره في صيف ١٩٧٩م ، بإلغاء منظمة اتحاد طلاب الجمهورية ، وهجومه الساخر واللاذع والمهين على الجماعات وبعض الرموز الدينية وعلى الزي الإسلامي للمرأة ، وإعلانه أن لا سياسة في الدين. . .)[١] .

وكانت الجماعة قد انتقدت أسلوب الإخوان المسلمين في العمل ، وأنهم لم يخلصوا لإقامة الدولة الإسلامية ، والجهاد ضد الحكام ، وحاولوا الاعتداء على المرشد الثالث عمر التلمساني ، وانتقدت مجلة الإخوان (الدعوة) هذه الجماعات المتطرفة ، مؤكدة (أن طريق الإخوان بعيد كل البعد عن التظاهرات والعنف والتآمر بهدف الوصول إلى الحكم)[٢] .



(١) المرجع السابق ، ٢/١٢٧ .
(٢) المرجع السابق ، ٢/١٢٧ ، وقد نقلها عن كتاب عادل حمودة ، قنابل ومصاحف : قصة تنظيم الجهاد . ص ١٢٨ـ١٢٩ ، دار سينا للنشر ، ط٣ ، ١٩٨٥ .

المبحث الرابع
تطرّف الحركة الإسلاميّة[1] في الجزائر

المطلب الأول : دور علماء الدين الإسلامي في الجزائر .

المطلب الثاني : الحركة الإسلامية السياسية وتطورها .

المطلب الثالث : سلبيات الإسلاميين الجزائريين .

* * *

تمهيد

وصل الإسلام إلى الشمال الإفريقي عن طريق القائد عقبة بن نافع ، وأسلم سكان المغرب العربي المسمون بالأمازيغ ، الذين ساهموا في فتح الأندلس ، وفي إيصال الإسلام إلى جزء كبير من أوربة ، وتعرَّض المغرب العربي إلى الحملات الصليبية ثم الاستعمار الأوربي ، واستغاث ولاة المغرب العربي بالخلافة من شرِّ الحملات الأوربية فأنجدتهم بأسطولها البحري ، وأمنت الحماية لهم وذلك بدءاً من عام ١٥١٥م ، ولغاية ١٨٣٠ ميلادية تاريخ احتلال فرنسة للجزائر وبقية الدول المغاربية في وقت لاحق ، وكانت الجزائر (قد أرسلت أسطولها البحري للمشاركة مع الأسطول العثماني في معركة (لافارين) سنة ١٨٢٧ ، لمواجهة الأساطيل الأوربية ، وكانت النتيجة أن تحطَّم الأسطول الجزائري)[2] ، واستعمرت الجزائر من قبل فرنسة منذ عام ١٩٣٠م ، وقام

---

(١) يستعمل الغرب لفظ (أصولية) ، وهي كلمة تثير التباساً لدى المسلمين لأنها ترتبط في تراثنا بعلماء الأصول ، الذين يبحثون في الأدلة الشرعية لاستنباط الأحكام والتأليف والبحث في الأدلة العقلية للدفاع عن العقائد الإيمانية عند المتكلمين ، فالأصول تعني الأسس والجذور والقواعد الأساسية ، والغرب لا يقصد هذا المعنى ، وأفضِّل استعمال (الحركة الإسلامية) للحركات التي لا تحمل مشروعاً سياسياً ولكنها تعرف تنظيماً حركياً يساعدها على ممارسة نشاطها الثقافي الاجتماعي ، واستعمال مصطلح (الحركة الإسلامية السياسية) ، للتي تحمل مشروعاً سياسياً ، وبعضهم يستخدم مصطلح (الإسلاميين) ويقصد به أصحاب الحركة الإسلامية السياسية .

(٢) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د . أحمد الطحان ، ص ٢٧٨ .

الشعب الجزائري بمقاومة الاحتلال شيوخاً وأفراداً ، وحاولت فرنسة فَرنَسَةَ الجزائر ، فقاومها الجزائريون محافظين على عروبة الجزائر وإسلاميتها حتى نالت الجزائر استقلالها في ٥ تموز ١٩٦٢م ، ولكن استمرت الوصاية الثقافية الفرنسية على الجزائر ، كما بقيت منابع الطاقة الجزائرية بيد السلطات الفرنسية حتى جاء هواري بومدين وأمم النفط ، ومنذ عهد أحمد بن بله وإلى عهد عبد العزيز بوتفليقة تحاول الجزائر تكوين شخصيتها المضطربة وفي ظل الظروف العالمية الصعبة ، ولما استولى على السلطة أحمد بن بله حارب رفاقه السابقين ، ثم انقلب عليه في ١٩ حزيران ١٩٦٥ وزير دفاعه العقيد هواري بومدين ، ثم وصل إلى السلطة الشاذلي بن جديد ، وكانت هناك عدة مشاكل وصراعات ، مثل العلمانية والإسلامية والقبائلية والأمازيغية والبربرية ، مع اضطراب الحالة الاقتصادية والزراعية وازدياد المديونية ، حتى استطاع الجناح الإسلامي تأسيس حزب بقيادة علي بلحاج وعباس مدني ، والفوز بالانتخابات البلدية عام ١٩٩٠م ، ثم الفوز بالدورة الأولى في انتخابات كانون أول سنة ١٩٩١ التشريعية ، ثم قام الجيش بإسقاط الرئيس ابن جديد في كانون الثاني ١٩٩٢وإيقاف الانتخابات ، ثم تولى الرئاسة بوضياف وفي عهده وقعت الصراعات بين الجيش والجبهة الإسلامية للإنقاذ وذهب ضحيتها ما يقارب ٢٠٠ ألف شهيد ، وصارت عدة محاولات لخمد الفتنة منها مؤتمر رومة ١٩٩٥ ، ثم قانون الوئام الوطني الذي اقترحه الرئيس بوتفليقة بعد انتخابه عام ١٩٩٩م ، وتجديد انتخابه للمرة الثالثة عام ٢٠٠٨م ، ولم تزل الفتن إلى اليوم ولم تخمد . . .

المطلب الأول : دور علماء الدين الإسلامي

كان لرجال الدِّين دورٌ كبيرٌ في قيادةِ الحركةِ التَّحريريـَّة في الجزائر منذ بدايتها وخاصَّة مع « ابن باديس »[1] وإخوانه الَّذي أسَّسَ وقاد « جمعيـَّة العلماء المسلمين » ، والَّتي

(١) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس (١٨٨٩ـ١٩٤٠م) : أحد رواد النهضة الحديثة في ميدان النهضة ، والثورة السياسية والفكرية والإصلاحية ، وأسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، فكان والده من أشهر قضاة قسنطينة وأفاضل علمائها ، حفظ ابن باديس القرآن في الثالثة عشرة من عمره ، وأحرز شهادة التطويغ في العلوم من جامع الزيتونة ، وهي من أكبر الشهادات العلمية في ذلك العهد وعمره ثلاث وعشرون سنة ، أسس عدة جرائد ، والعديد من المدارس ، وكان همه فضح الاستعمار وأساليبه ، ترأس جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٣١م ، والتي كان شعارها (الإسلام ديننا ، العروبة لغتنا ، الجزائر وطننا) ، يعتبر أباً روحياً للحركة =

جعلت شعارها : « الإسلامُ ديننا ، والعربيَّة لغتنا ، والجزائر وطننا » ، فلقد جَاهَدَت لِتُثبِّتَ الهويـَّةَ الجزائريَّةَ العربيَّةَ الإسلاميَّةَ ، (ولقد كانَ الإسلامُ واللُّغةُ العربيـَّةُ رمزاً لتأكيد الذَّات في مواجهةِ السِّياسة الفرنسيَّةِ الَّتي كانت تسعى إلى إحلالِ المسيحيَّةِ محلّ الإسلام ، واللُّغةِ الفرنسيَّةِ محلَّ اللّغةِ العربيَّة)[1] والجنسيَّة الفرنسيَّة محلَّ الجزائريَّة ، و(لقد أحبط الإسلامُ مشاريعَ فرنسة في الجزائر)[2] ، وقدَّمت الجزائر مليونَ ونصف شهيدٍ مجاهدٍ منذ اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤م ، وأكثر من سبعة ملايين منذ دخول الاستعمار الفرنسي في ٥ جولي (تموز) ١٨٣٠م ، حتَّى نالت استقلالها سنة (١٩٦٢م) ، وهتفت الجزائر (يا محمد مبروكٌ عليكَ ، الجزائرُ رجعت إليكَ)[3] .

ولا بدَّ أن نُعيد للذَّاكرة أنَّ الجزائر تتكون من ثلاث فئات : فالأولى فئة البربر (الأمازيغ)[4] وأصلهم سامي ، ولغتهم تعود إلى أسرة اللغات الأفروآسيوية ، أي إلى اللغة السامية الأم التي انحدرت منها اللغة العربية نفسها ، وقد دخلت في الإسلام وظلت محافظة على لغتها وعرقها ، والفئة الثانية الفئة العربية الإسلامية ، وأغلبها قبائلُ قرشيةٌ وتميميةٌ وهلاليةٌ وبكريةٌ وهُذلية ، والفئة الثالثة : هي الفئة الغربية أو الأوربية ، التي وجدت أثناء الاستعمار وعن طريقه من عام ١٨٣٠حتى ١٩٦٢م[5] . كما أنَّ البربر قاموا بعدة محاولات ودُفعوا لإثبات شخصيتهم البربريَّة عرقاً ولغة ، وقد شعر الاستعمار الفرنسي ، بأن إقامته في الجزائر مؤقَّتةٌ ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، فدعَّم بكلِّ

= الوطنية الجزائرية ، والرائد الحقيقي لحركة الإصلاح الديني في الجزائر . انظر : الأعلام : الزركلي . ٦/ ٢٥٢ . وكتاب ابن باديس . إعداد عمار الطالبي . ١/ ٧٢ ، نشر دار اليقظة العربية ، دمشق ، والشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط١ ، ١٩٦٨م . ومجلة حضارة الإسلام ، السنة الخامسة ، العدد الأول ، تموز ١٩٦٤م ، ص٨٤ ، مقالة بعنوان رواد الإصلاح الإسلامي الحديث ، عبد الحميد بن باديس ، بقلم تلميذ ابن باديس وصديقه حمزة بوكوشة ، نقلاً عن مجلة المعرفة الجزائرية .

(١) فلسفة الكفاح العربي : عبد القادر البذاري . ص٥٦ ، المكتبة العربية ، القاهرة ، د . ت .

(٢) الإسلام وحركات التحرر العربية : د . شوقي أبو خليل . ص٩١ .

(٣) المرجع السابق ، ص٩١ ، وقد ذكر أن هذا الهتاف سمعته الدكتورة بنت الشاطىء في رحلتها إلى الجزائر بعد الاستقلال .

(٤) الأمازيغ : معناه الإنسان الحر . . . وهم البربر في كتب التاريخ والرحلات وهم سكان الجزائر الأصليون .

(٥) وعددها بعد الاستقلال قليل جداً وأغلبها تمركز في عاصمة الجزائر ولم يكن لها دور يذكر .

قوة الفئة الأوربية ، وأوجد فئة متأوربة ، واهتم بالبربر وبالدراسات البربرية ، وخاصة بعد سنة ١٩٢١م بعد إنشاء مكتب خاص بذلك لدعم الحاكم العام للجزائر . وسلَّمها كلَّ الأمور السياسية والاقتصادية والعسكرية ، فملَّكها الأراضي والثَّروات والتجارة .

وخرج الفرنسيُّون من الجزائر ١٩٦٢م وقد أثقلوها باتِّفاقيات ومعاهدات معلنة وسرية ، ثقافية وعسكرية تبيح بقاء القواعد الفرنسية كالقاعدة الغربية بمنطقة وهران في الجزائر ، وإن اتفاقية أيفيان في ٥ تموز ١٩٦٢م والتي حصلت بموجبها الجزائر على استقلالها ، قد نصت على ضرورة الحفاظ على الوجود الثقافي الفرنسي في الجزائر ، ويقول الرئيس الجزائري محمد بوضياف ، بعد استلامه رئاسة الدولة بعدة شهور : (لقد اكتشفت أن الجزائر مازالت تُحكم بأوامر تأتيها عن طريق الفاكس من باريس)[١] ، ودعم الاستعمار الفرنسي الفئة المتأوربة الذين استهوتهم الحضارة الغربيَّة فتخلوا عن ثقافتهم الإسلامية وعاداتهم وتقاليدهم الأصلية ، ووجدوا مصالحهم مرتبطة بالغرب ، وساعد ذلك أن أصبحت اللغة الفرنسيَّةُ من قبل ضرورةً لكل المواطنين الأصليين ، ولغة البلاد الرسميَّة ، وأصبحت المؤسسات الحكوميّة الاستعماريَّة تحاربُ اللُّغةَ العربية وتمنع تدريسها .

ولقد انتقل الاستعمار العسكري إلى استعمار اقتصاديٍّ ثم إلى استعمار ثقافيٍّ ، وأثناء هذه الحقبة ١٩٤٠ـ ١٩٦٢م ضرب المجاهدون أروع الأمثال في التضحية والفداء أمام الاستعمار الفرنسي الاستيطانيّ الذي اتصف بالوحشيَّة واللاإنسانية .

ولا بد أن ننبه : أن ابن باديس وجماعاته والزوايا الصوفية (وقد لعبت الزوايا دوراً مباشراً في محاربة الغزو الفرنسي ، وسياسية التنصير الفرنسية في الجزائر ، وكانت بمنزلة مراكز دينية وثقافية ومدارس للكبار والصغار ، وشكلت سنداً حقيقياً للعديد من الثورات التي قامت ضد الفرنسيين. . . ، فلقد افتتح أكثر من ١٢٣٦ مدرسة إسلامية ومعهداً .

وذهب عدد محدود من الجزائريين إلى فرنسة لعدة أسباب أهمها العمل والدراسة ، وكان التيار الفرنسي المعارض للحكم أو الذي سمح للجزائريين بالانضمام إلى صفوفهم ليكسب أصواتهم وتأييدهم فحققوا بعض وجودهم في التيار الاشتراكي المتعدد ونقابات العمال ، ولهذا سيكون للتيار الاشتراكي فيما بعد دورٌ هامٌّ على أرض الجزائر ، وسيتجه

---

(١) انظر : جريدة السفير اللبنانية ، بيروت ، ١٩٩٤م .

الاشتراكيون إلى الاتحاد السوفييتي استمداداً للدعم والقوة والسلاح ، وسيدعم هذا الأخير الحزب الشيوعي الجزائري P.C.A الذي نشأ أصلاً سنة ١٩٣٦م من الحزب الشيوعي الفرنسي P.C.F الذي اتخذ موقفاً يعارضُ ويحاربُ التيارَ الإسلاميَّ . ولقد هيَّأ « ابن باديس » الحركات الجهادية والإصلاحية من قبل ثم إبان الحرب العالمية الثانية الجزائرِّيين للصِّراع المسلح ضدَّ الاستعمار ، ولأن (معظم رجالات الثورة الجزائرية هم تلاميذ « ابن باديس » أو من تلاميذ مدارسه التي أسسها . . . فالشيخ عبد الحميد بن باديس والذي وُلِدَ في قسنطينة كان يتمثَّل خُطى محمد عبده في مصر ، في تحقيق نهضة إسلامية من خلال الإصلاح الديني ، فقام بتأسيس مئات المدارس الحرة[١] ، التي كانت تُعلِّمُ العربية والعلوم الدينية والعصرية في أنحاء التُّراب الجزائري)[٢] .

(وكانت « جمعية العلماء » الجزائرِّيين المسلمين هي أبرز تنظيم اجتماعي ديني سياسيٍّ ولو أنه لم يرفع الهوية السياسيَّة)[٣] ، وهي التي أُسِّسَت سنة ١٩٣٦م ، وإنَّ « فرحات عباس »[٤] الذي كان أوَّلَ رئيسٍ لجمهورية الجزائر الثَّائرة ، والذي كان له شرف إعلان قيام الجمهورية الجزائرية الدِّيمقراطية الشَّعبية ، والذي كان في مقتبل عمره ينادي بالتَّبعية والاندماج لفرنسة ، وبذوبان الشخصية العربية الإسلامية ، تحوَّل عن آرائه وفكره إلى المناداة بأن الجزائر عربيةٌ مسلمةٌ فقد كان هنا لرابطة العلماء ، الشيخُ « عبد الحميد بنِ باديسَ » ، و« أحمدُ توفيقٍ المدنيِّ » وللعمل السياسي المضاد لمنحنى التبعية والاندماج مع فرنسة دورٌ أساسيٌّ في تحويل تفكير « فرحات عباس » وانتزاعه من ثورة تفكيره الفرنسيِّ وثقافته الفرنسية لإيقاظه على حقيقته كجزائريٍّ مسلمٍ عربيٍّ[٥] فوقف (صراحة في صفوف الجبهة الإسلامية)[٦] وبدأت الثورةُ الجزائرية عام ١٩٥٤م ، وتدين هذه الثورة

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت ، ص ٢/ ٦٦٩ .
(٢) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ص ٦٦٨ .
(٣) نهج الثورة الجزائرية : بسام العسلي . ص ٢٩ ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
(٤) تقدم فرحات عباس ببيان أجمع عليه زعماء الجزائر دعا فيه إلى الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية وبالاعتراف بالشخصية الجزائرية ، ولكن فرنسة اعتقلته ، وحلت الأحزاب ما عدا المتعاونين معها ، وقامت بمجازر وحشية راح ضحيتها أكثر من ٤٥ ألف شهيد ، واعتقلت أعداداً كبيرة من المواطنين .
(٥) نهج الثورة الجزائرية : بسام العسلي . ص ٨٧ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

للحركات الوطنية والعسكرية مثل S . O . L و« لابن باديس » و« جمعية العلماء المسلمين » التي ركزت على المنهج التربويّ السلوكيّ الإصلاحيّ الوطنيّ ، ويبرزُ فضلُ « جمعيةُ العلماءِ المسلمينَ الجزائريينَ » التي مارست دورَها خلالَ هذه الحِقبةِ في تكوين تيَّارٍ إسلاميٍّ عربيٍّ ، وبناء قاعدة صلبة للثورة ، لم تلبثْ أنْ أسهمتْ في ربطِ الثورةِ بأصالتها التاريخيَّةِ ، وبالتراث النضالي للبلاد[1] ، (وفي عام ١٩٥٣م ، قبل عام من اندلاع الثورة الجزائرية كانت الجمعية تدير ٣٠٠ مدرسة عربية حرَّة ، يُقبِلُ عليها ٧٠ ألف تلميذ. . . وعندما تأكد الجزائريون من حقيقة النوايا الفرنسية لدمج الجزائر وبشكل كامل مع فرنسة ، تشكلت في الجزائر ما يعرف بلجنة (٢٢) ومهدت لتفجير الثورة الجزائرية وكان من بين مؤسسيها وروَّادِها كثيرٌ من طلبة ابن باديسَ ، الذين عملُوا في صفوف الأحزابِ الجزائريةِ ، وهكذا انضمَّتْ كُلُّ القوى السياسيَّةِ الجزائريَّة ، بما فيها جمعيةُ العلماءِ المسلمينَ إلى الجبهةِ الثَّائرةِ ، بصفتهم أفراداً بعد أن تخلَّوا عن حزبيَّتهم. . . حتى تلك الزَّوايا ، انضم أفرادها إلى الثورة التي صهرت المجتمع الجزائري في بوتقة واحدة. . .)[2] . وتم تنصيب الشيخ العربي التبسيِّ[3] وهو الشخصية الثالثة بعد ابن باديس والشيخ الإبراهيمي مفتياً عاماً للثورة ، وتمت تصفيتُهُ فيما بعدُ من القوات الخاصة التابعة لمكتب المخابرات الفرنسية نهاية ١٩٥٧م ، واتفق الأطراف المشاركون في الثورة أنه إذا تحررت الجزائر فيجب عندها إقامة دولة في إطار المبادىء الإسلامية وتأكد ذلك سنة ١٩٥٦ في مؤتمر الصومام الذي عقد في ولاية بجاية من قبل زعماء الثورة ، وبعد استقلال الجزائر في ١٩٦٣م انتخب أحمد بن بلة رئيساً للحكومة وخلال حقبة حكمه القصيرة ، حاول ابن بلة جاهداً إدخال النهج الاشتراكي وقام بتأميم أملاك المستعمرين ، وعارض هذا النهج الكثير من القادة باعتبار أن الجزائر عربيةٌ مسلمةٌ ، وهنا بدأ الخلافُ والصراعُ بين القادة وبقي بأوجه مختلفةٍ ومتعددة إلى اليوم ، فاتجه « ابن بلة « نحو الاشتراكية ، وحارب حسين آية أحمد ومحمد بوضياف وضيق على جمعية العلماء ، ثم

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٦ .
(٢) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٦٧٠ .
(٣) العربي بن قاسم التبسي ، من كبار علماء الإصلاح في الجزائر ، عاش حياته مجاهداً بتبسه ، ملتزماً بمواقف « جمعية العلماء » مؤيداً لها ، منفذاً لمنهجها ، اختطفته المخابرات الفرنسية بعملية إرهابية من بيته ٤/ ٤/ ١٩٥٧ ولم يعرف مصيره .

سجن الشيخ الإبراهيمي وأبناءه بسبب رسالة بعثها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى « ابن بلة » يدعوه بها إلى ترك النهج الاشتراكي واتباع طبيعة الشعب الجزائري وأصالته العربية المسلمة ، ومات الشيخ الإبراهيمي تحت الإقامة الجبرية ، فلما أحسَّ الدعاة إلى الله بخطورة الموقف بادروا إلى تأسيس جمعية « القيم » امتداداً لجمعية العلماء ، وعين الشيخ الهاشمي تيجاني رئيساً لها . . .

وشاركه أحمد سحنون ، ورشيد بن عيسى تلميذ مالك بن نبي مع عناصر أخرى ، وهي حركة ضد الاشتراكية الماركسية ، ولقد برر « ابن بلة » وجماعته موقفهم وحاجتهم للدعم من الاتحاد السوفيتي وحلفائه للوقوف في وجه الغرب ، غير أن « ابن بلة » لم يستمر في رئاسته فقد قاد وزير دفاعه « هواري بو مدين » انقلاباً ضدَّه في ١٩ حزيران ١٩٦٥م لينحو بالبلاد منحى اشتراكياً متشدداً أكثر ، ويتولى « هواري بو مدين » رئاسة الجمهورية في ١٠/ ١٢/ ١٩٧٦م إلى ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٨ .

ثم يأتي « الشاذلي بن جديد » ٧/ ٢/ ١٩٧٩ـ ١١/ ١/ ١٩٩٤م ثم يتولى « محمد بو ضياف » ثم « الأمين زروال » رئاسة الدولة ، وخلال هذه الحقبة كان الصراع على أشده بين الفئات التي ذكرناها في أول الحديث وهي البربرية والعربية الإسلامية ، والأوربية ، والمتغربة المتفرنجة ، وتيار قومي علماني ، وظهر تيار آخر تدعمه الماركسية العالمية ، يمثله حزب المجد برئاسة محمد الشريف الماركسي ، وحزب العمال برئاسة لويزا حنون ، وحزب القوى الاشتراكية الذي يرأسه آيت أحمد العضو في المنظمة الأممية الاشتراكية العالمية التي حاولت دوماً التدخل في الشؤون الجزائرية ، وتعرضت الحالة الإسلامية إلى تصفية ومحاربة ، فقد ضمت مدارس جمعية العلماء وعددها أكثر من ١٢٣٤ مدرسة ومعهد إلى وزارة التربية والتعليم بعد الاستقلال مباشرة[1] ، وأُلغي التعليم الأصلي وهو الديني في ١٦/ ٤/ ١٩٧٦م من وزارة التربية والشؤون الدينية ، وقُيدت صلاحيات وزير الشؤون الدينية بتاريخ : ٩/ ٢/ ١٩٨٠م وهمشت وزارة الشؤون الدينية حتى جعلت في الترتيب آخرَ وزارة تهتم بها الدولة ، وبدأت الاضطرابات في الجزائر والمظاهرات منذ عام ١٩٨١م حتى كان استفتاءٌ ٦/ ١/ ١٩٨٦م على الميثاق الوطني الجديد ، فأكد هذا الميثاق على طابع الإسلام التقدميّ ، وأشار إلى حقوق العنصر البربري ، وتكررت

---

(١) حدث ذلك بتنازل جمعية العلماء بطلب من الرئيس بن بلةٌ آنذاك ، موهماً إياهم أنه سيقيم منهجاً تربوياً إسلامياً لكل الجزائريين .

الاضطرابات ذات الطابع السياسي المتمثلة في الصراع بين الرئيس الشاذلي وقيادة حزب جبهة التحرير الوطني وعناصر الحرس القديم ، حتى أعلن الجيش حالة الطوارىء ٦/ ١٠/ ١٩٨٨م فقتل حوالي خمسين شخصاً ، وفي ١٠/ ١٠/ ١٩٨٨م قامت مسيرة أكثر من ٢٠ ألف شخص احتجاجاً لما حصل فأطلق الجيش النَّار عليها وأردى أكثر من ٣٠شخصاً شهيداً ، وتتوالى المظاهرات للموظَّفين وللطُّلاب وللنِّساء ولأصحاب الأراضي المؤمَّمة . ، ممَّا دعا مناضلي التَّيار الإسلاميِّ السِّياسيِّ إلى تأسيسِ جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة في ٢١/ ٣/ ١٩٨٩م ، وكان لعلي بلحاج وعباس مدني الدور الريادي في هذا المجال ، وبعدما أقرَّ الدُّستور الجديد الَّذي صدر في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٨٩م ، التَّعدُّدية الحزبيَّة ، وتشتدُّ المعركة بين الإسلاميِّين والعلمانيِّين ، بقسميهم الغربيين والشيوعيين ، وتحقّق جبهة الإنقاذ الوطنيّ في انتخابات البلديَّات والولايات في ١٠/ ٦/ ١٩٨٩م انتصاراً في ٨٥٣ بلديَّة من ١٥٥١ بلديَّة بنسبة ٤٢ ،٥٥٪ بينما لم يحصل الحزب الحاكم إلا على ٤٨٧ بلديَّة . .

الشيخ محفوظ نحناج وحزب حماس :

ولابدَّ أن نذكر أنَّ من أهم العوامل التي دفعت الشيخ محفوظ نحناح لتأسيس حماس هي:

أ ـ اختلافه مع بعض القيادات الإسلامية التي اتخذت العمل السياسي كآلية دعوية .

ب ـ خوف محفوظ نحناح من انفلات قاعدته واندماجها بالأحزاب الإسلامية الأخرى .

ج ـ موقف الحركة الإخوانية العالمية الداعية إلى إيجاد إطار العمل الحزبي في البلدان العربية والإسلامية ، وخاصة بعد الإفراج عنه من المعتقل بوساطة الإخوان الخليجيين والتنظيم العالمي للإخوان ، وتعترف الحكومة الجزائرية رسمياً في ٢٩/ ٤/ ١٩٨٩م بحزب « حماس » ورئيسه « محفوظ نحناح »(١) . وحصلت « جبهةُ الإنقاذ » على أعلى نسبة في الانتخابات التشريعية الأولى في كانون أول سنة ١٩٩١م (١٨٨) مقعداً بأغلبيَّة

---

(١) يعتبر محفوظ من المعتدلين الإسلاميين في الجزائر ، وحزب حماس ثاني أكبر حزب إسلامي ، وأصبح اسمه حركة السلم ، ويعتبر محفوظ حركته امتداداً لابن باديس . انظر : الأصوليات الإسلامية في عصرنا الراهن ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٨٠ ، الكتاب الثالث والرابع قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

(١) ولقد قامت حماس على قواعد جمعية الإصلاح والإرشاد الخيرية التي أسسها محفوظ نحناح والتي كانت تنأى عن العمل السياسي ، وهي لا تزال قائمة إلى اليوم بأقل فعالية مما كانت عليه ، حيث هي الآن تابعة لعمل حماس .

٣٢٦٠٣٥٩ صوتاً ، ممَّا دعا الجيش إلى السَّيطرة على الحكم وإلغاء الانتخابات[١] ، ثم قام الجيش بإسقاط الرئيس « ابن جديد » في كانون الثاني ١٩٩٢م ، ثمَّ يتولَّى « محمَّد بو ضياف » رئيساً . ويؤجِّل الانتخابات ويلقي القبض على أعضاءِ جبهة الإنقاذ ، ويعلن حالة الطَّوارئ في ٩/ ٢/ ١٩٩٤ م ويحاكم قادة « جبهة الإنقاذ » « علي بلحاج » و« عبَّاس مدني » .

وتعيش الجزائر حالةً من الاضطرابات والصِّراعات ذهب ضحيَّتها خلال عشر سنين كاملة أكثر من مئتي ألف شهيد وعلى ما يزيد ٢ مليون ضحايا المأساة كيتامى وأرامل ، وإنَّ المصادمات أضعفت قوَّة الجزائر وزادت خسارتها مادياً عن ثلاثين مليار دولار خسائر مادية ، كما نالت بذور الصَّحوةِ الإسلاميَّة في الجزائر ، ووقع الشِّقاق والخلافات بين الجماعات الإسلامية ، وبدأت عمليَّات الإفناء فيما بينهم ، وانتقلت المجابهةُ من مجابهة مع الاستعمار الفرنسي إلى مجابهة مع حكومة الجزائر ثمَّ إلى مجابهة بين الحركات الإسلامية المسلحة أنفسهم ، ولقد استطاعت الجزائر بعد « ابن باديس » أنْ تُثبِّتَ الهويَّة العربيَّة على أرض الجزائر بينما يشتدُّ الصِّراع بين الإسلاميين أنفسهم بعد ما حقَّقوا تأييد الأغلبيَّة الشَّعبيَّةِ العظمى مختلفين في رؤيتهم للطَّرف المضادِّ والتَّعاملِ معه ، ونظرتهم لأسلوب الوصول إلى سدَّة الحكم .

إنَّ الجماعات الإسلاميَّة في الجزائر ـ والَّتي يَعْتَبِرُ أكثرُها نفسَه أنَّه امتدادٌ « لا بن باديس » ـ تنقُصها حكمة « ابن باديس » وتعقُّله وقوَّته ، فقد تفاوض مع الفرنسِيِّين ، وذهب لفرنسة وحضر مؤتمر« فيوليت » سنة ١٩٣٦م ، واستطاع بحكمته مع أصحابه تعطيلَ مَشروع الاندماج مع فرنسة ، وإبراز الذاتيَّة الإسلاميَّة العربيَّة الجزائريَّة .

المطلب الثاني : الحركة الإسلامية السياسية وتطورها

والمتتبِّعُ للحركةِ الإسلاميَّةِ السِّياسيَّةِ في الجزائرِ منذُ منتصفِ هذا القرن العشرين أي بعد مرحلة « ابن باديس » إلى اليوم يجدُ تطوُّراً متسارعاً ، حتَّى إذا وصل لأحداث تشرين الأول (١٩٨٨م) ، وجد أحداثاً داميةً وضبابيَّةً في مسيرة هذه الحركةِ وانحرافاً يمكن

---

(١) يقول محفوظ نحناح : (نحن نرفض أن يكون الجيش وسيلة ضغط على الشعب برمته) ، من جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٥٩٤٩ ، لندن ، ١٣/ ٣/ ١٩٩٥م .

رصدُه ، ويمكن تقسيمُ مراحل هذه الحركة إلى **أربع مراحل**[1] **وهي** :

١ـ مرحلةُ النَّشأةِ والتَّكوينِ : (من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٦م) .

٢ـ مرحلةُ الصِّدام مع السُّلطةِ : (من ١٩٧٢ إلى ١٩٨٢م) .

٣ـ مرحلةُ التَّنظيم والتَّخطيط : (من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٨م) .

٤ـ مرحلةُ العلنيَّةِ والجهادِ : (من ١٩٨٨م إلى الآن) .

وسنتناولُ بالتَّفصيل هذه المراحل :

١ـ مرحلة النَّشأةِ والتَّكوينِ (من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٦م) :

ولقدْ كانَ هناك تواصلٌ بين : الشخصيات والحركات الإسلامية في الجزائر قبل ١٨٥٠م و« جمعيَّةِ العلماء المسلمينَ » والحركاتِ الإسلاميَّةِ في مصر ، وذلك من خلال البعثاتِ الَّتي كانت ترسلها جمعيَّةُ العلماءِ إلى تونس ومصر ، وقد تأثَّرت هذه البعثاتُ بالمنهج السلوكي التربوي الإصلاحي السلوكي المعاصر ، وخاصةً مع وصول الأمير خالد ثم « البشير الإبراهيمي » (١٨٨٩ـ ١٩٦٥م) إلى مصر ، وقد تأسست في هذه المرحلة بعد الاستقلال « جمعية القيم » في ٩/ ٣/ ١٩٦٣م ، وحظر بو مدين وأوقف نشاطها في ٩/ ٣/ ١٩٦٣ وحُلت في٢٢/ ٩/ ١٩٦٦م ، وهذه مرحلةٌ هامَّةٌ لتأسيسِ الحركات الإسلاميَّة في الجزائر ، حيث واجهت الجزائرُ عقباتٍ ومشاكلَ بعد الاستقلالِ ، ولا يغيبُ عنَّا ما خلَّفَه الاستعمارُ الفرنسيُّ من أزماتٍ اقتصاديَّةٍ واجتماعيَّةٍ وثقافيَّةٍ ، وما تركه من قواعد عسكريَّةٍ ومعاهداتٍ ثقافيَّةٍ وأمنيَّةٍ ، ورافق ذلك انقسامُ جبهةِ التَّحريرِ على بعضها ، واتجاه الأغلبية في جبهة التحرير نحو روسية ودعمها ، فأزاح « هوّاري بو مدين » الرَّئيسَ « ابن بلة » الاشتراكي القومي الذي أمم أراضي الفرنسيين وسجنه مع عدد من رجال الثَّورة ، وقد حاول « هوَّاري بو مدين » الَّذي استمرَّ حكمه (من ١٩/ ٦/ ١٩٦٥إلى ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٨) أنْ يفرضَ الاشتراكيَّة معتقداً أنّه يحلُّ بها مشكلةَ الطَّبقاتِ الَّتي خلَّفها الاستعمارُ الفرنسيُّ وأن يؤمم البترول ، ومنطلقاً من سيطرةِ الحزبِ الواحدِ وهو « جبهةُ التَّحريرِ الجزائريَّةِ » الَّتي تنَازَع رجالاتها على السُّلطةِ ، وظلَّت « جبهة التَّحريرِ » محتفظةً حتَّى شباط ١٩٨٩م باحتكارِ السُّلطة ومنعِ أصواتِ المعارضةِ التي كان من أبرزها المعارضة الإسلاميَّة ،

---

(١) قسم هذه المراحل الأستاذ بو مدين بو زيد وهو أستاذ فلسفة جزائري ، من كتاب الأصوليات الإسلامية بتصرف ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٧٧ .

والبربريَّة ، وبدأت أصواتٌ تمثِّلُ المعارضةَ الإسلاميّة تطرحُ البديلَ الإسلاميَّ والحلَّ الإسلاميَّ ، وتتصدَّى للماركسيَّة والاشتراكيَّة والعلمانيَّة ، وتُصَوِّرُ حالةَ البلادِ وما آلت إليه من تدهورٍ أخلاقي ، واضطرابٍ اقتصادي ، وظهر في هذه الحقبة عبد اللَّطيف سلطاني »[1] ، و« أحمد سحنون »[2] ينَدِّدان باشتراكيَّة « بو مدين » وأصدر « عبد اللَّطيف سلطاني » عام ١٩٧٤م في المغرب كتاباً تحت عنوان « المزدكيّة أصل الاشتراكيَّة » ، ويحوي هذا الكتابُ على نقدٍ لاذعٍ للاشتراكيَّةِ الَّتي ينادي بها « هوّاري بو مدين » ، وحاولت « جمعيَّةُ القيم » الَّتي أخذت طابعاً رسميَّاً سنة ١٩٦٤م أن تكبحَ ممارساتِ الاتِّجاهاتِ العلمانيَّةِ في برنامج « جبهةِ التَّحرير الوطني » ، بتنظيم مؤتمراتٍ دوريَّةٍ وبإنشاء مجلَّةٍ ذات طابعٍ تهذيبي واضحٍ « مجلَّة التَّهذيبِ الإسلاميّ » ، وقد صرَّحَ رئيسُ هذه الجمعيَّةِ السَّيِّد « الهاشمي تيجاني » : (أنَّه ينتمي إلى الإصلاحيِّين السَّلفيِّينَ : « الأفغانيّ » و« محمَّد عبده » وأنّه يجد نفسه أيضاً في فكرِ « شكيب أرسلان » ، و« البنّا » و« سيِّد قطب » و« الغزالي » ، كما أنَّه يجد نفسه في بعض النَّظريات الآتية من باكستان[3])[4] ، وقد أُطيحَ برئيسِ الجمعيَّةِ من منصب السّكرتير العامّ لجامعةِ الجزائر ، وتمَّ بعد ذلك حظر نشاطها في ٢٢ أيلول ١٩٦٦م ، لموقفها تجاه سياسة بومدين والخطب الثورية التي ألقاها الشيخ العرباوي في مسجد الحراش ، وقد تم حلُّ الجمعية في ١٧/ آذار/ ١٩٧٠م ، وفي الحقبة نفسها تمَّ حلُّ جمعيَّة دينيَّةٍ معروفة باسم « جنود الله » ، وهي غير مرخصة رسمياً ، وقد ظهر كُتّابٌ في مجلّة « الأصالة الحكوميَّة » الَّتي أنشئت في

---

(١) عبد اللطيف سلطاني : درس بالزيتونة ، عضو جمعية العلماء المسلمين ، كان خطيباً بمسجد كتشاوة بعد الاستقلال ، وعارض خروج المرأة للعمل في بداية سنوات حكم (ابن بلة) الرئيس الأسبق ، اشتهر بكتابه (سهام الإسلام) و(الاشتراكية أصلها مزدكية) ، مات في ١٩٨٣م . كانت جنازته في القبة أكبر حشد إسلامي آنئذ يتحدى السلطة ، انظر : الأصوليات الإسلامية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٨٨ .

(٢) أحمد سحنون : يعتبر مرجعاً عند الدعاة ، متخرج من (جمعية العلماء المسلمين) ومن تلاميذ ابن باديس ، وقد شارك في حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي ، وشاعر ومفتٍ لجريدة البصائر مؤسس (الرابطة الإسلامية) نشط ببياناته الموجهة إلى رئيس الجمهورية في أحداث تشرين ١٩٨٨م . تعرض لمحاولة اغتيال من طرف جماعة الجهاد (الهجرة والتكفير) بعد صلاة الصبح وحفظه الله وسنه تجاوز ٩١ سنة .

(٣) يقصد أفكار « أبي الأعلى المودودي » .

(٤) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٢٥٦ .

آذار ١٩٧١م ، يتَّصِفونَ بالاعتدالِ ويقتفون إصلاحات « ابن باديس » ، وفي هذه الحقبة برزَ نشاطُ « مالكِ بن نبيّ »[1] (١٩٠٥ـ ١٩٧٣م) مدير التَّعليمِ العالي الَّذي أرادَ أن يُوَفِّق بين العلم والدِّين ، وهو يرى أنَّ الإطار الحضاريَّ والإطار الثقافيَّ كفيلان بحلِّ مشاكل العالم الإسلاميِّ ، وليس عن طريق استخدام الأساليب السِّياسيَّةِ أو العسكريَّة أو غيرها . وظهرت أصواتٌ معارضة بدأت سرِّيةً ثم لما تأسست الحركة الديمقراطية الجزائرية التي كان لسان حالها « مجلة البديل » الَّتي حُظر نشرها في كانون الثَّاني ١٩٨٧م ، وقد خلفها عدة مجلات وكلها تطبع بدون ترخيص رسمي مثل « البديل الدِّيمقراطي » و« التَّغيير » (لابن بلة) التي كانت تطبع بفرنسة ، و« نوفمبر » ، و« الجزائر الحرَّة » وهي لسان حال « آيت أحمد » نائب الرَّئيس السَّابق للحكومة المؤقَّتة لجمهوريَّة الجزائر ، ومؤسِّس جبهة القوى الاشتراكيَّة في ١٩٦٣م والذي نادى بجعل البربرية لغة رسمية في الجزائر .

٢ـ مرحلة الصِّدام مع السُّلطة (من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٢م) :

وتنقسمُ هذهِ الحقبة إلى حقبتين ، حقبة المعارضةِ ، وحقبة الصِّدام ، فلقد أدَّى الكبتُ في زمن « بو مدين » وانفراد الحزب الحاكم بالسُّلطةِ إلى تطلُّعِ الشَّعبِ الجزائريِّ إلى الحريَّةِ والدِّيمقراطيَّةِ ، حتَّى ظهرت انقساماتٌ واختلافاتٌ في الحزبِ الحاكم ، وخاصَّةً بعد وفاةِ « بومدين » ١٧/ ١٢/ ١٩٧٨م ، حيث ظهرت معارضةٌ للثورةِ الزِّراعيَّة وقانون الأسرة وهو القانون الإسلامي الوحيد في الجزائر إلى اليوم اللَّذين أقرَّهما « بومدين » ، وحاولَ « الشَّاذلي بن جديد » بعد تسلُّمه الحكم في ٧/ ٢/ ١٩٧٩م أنْ يكسبَ أصواتَ

---

(١) مالك بن نبي (١٩٠٥ـ١٩٧٣م) : ولد في قسنطينة بالجزائر ، لأبوين فقيرين ، تعرف في بعض مراحل دراسته على إحدى الطرق الصوفية وهي « العيساوية » ، وعمل منذ (١٩٢٧م) في المحاكم وتعرَّف على « ابن باديس » وأعجب به ، ثم سافر إلى باريس وتزوج من فرنسية أسلمت فيما بعد ، وفي فرنسة نال ثقافة واسعة وخاصة بعد تعرفه على المستشرق « ماسينيون » والتقى بغاندي في باريس (١٩٣٢م) ، وتخرج مهندساً كهربائياً من فرنسة ، وعاش أكثر من ثلاثين سنة في أوربة ، ثم عاد إلى القاهرة سنة (١٩٥٦م) ، فأكرمه الرئيس جمال عبد الناصر ، وخصص له راتباً شهرياً للتفرغ للعمل الفكري ، وفي عام (١٩٦٣م) عاد إلى الجزائر ليصبح مديراً للتعليم العالي حتى عام (١٩٦٧م) ، ثم تفرغ للكتابة حتى وافته المنية في (٣١/ ١٠/ ١٩٧٣م) ، ترك العديد من المؤلفات ، من أبرز الذين ترجموا له ، الأستاذ « عبد الصبور شاهين » والأستاذ « عمر مسقاوي » . وانظر : « مالك بن نبي » مفكراً إصلاحياً : د . أسعد السحمراني . ص١٣ـ١٩ ، نشر دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

الشَّعبِ فسمح بنوعٍ من الديمقراطيَّة والانفتاح الاقتصادي ، وفي هذه الأثناءِ ولهذه الاعتباراتِ بدأت اجتماعاتٌ تعقدُ للدُّعاةِ الإسلاميِّين لتوحيدِ جهودهم في المعارضةِ ومن أجلِ طرحِ الحلِّ الإسلاميِّ ، وأهمُّ هذه الاجتماعات الاجتماعُ الَّذي عُقِدَ في أوائل ١٩٧٩م في « مسجدِ العاشور » الَّذي كان يضمُّ عدداً ضخماً من أعضاءِ أهل الدَّعوات فأتوا من جميع أنحاء العاصمةِ وغيرها ، يقول « الدودي محمد عبد الهادي » ، وهو شاهد على هذه الحقبة وأحد حركيِّيها الإسلاميِّين : (وكان هدف الاجتماعِ هو التوَّصُّلَ إلى شكلٍ من أشكالِ الوحدةِ ، إذْ إنَّ انقسامَ الدُّعاةِ ، وانشقاقهم ، ينعكسُ على كلِّ أعضاءِ المجموعةِ وعلى كلِّ قاعدةِ المؤمنينَ ، كان لكل منهم في الواقع اتِّجاهه الخاصُّ به ، فكان أحدُهم يقول إنَّه سلفيٌّ ، ويقولُ الآخرُ إنَّه يناصِرُ الإخوانَ المسلمينَ ، ويقول غيرُه إنَّه من جماعةِ التبليغِ ، ويقول شخصٌ آخر إنَّه صوفيٌّ ، ومع ذلك فليسَ للإسلامِ شأنٌ بذلك كلِّهِ ، فالإسلامُ ينادي بالوحدةِ ، وهو الوحدةُ . . . وفي مسجد « بيت الأرقمِ »[1] بوجهٍ خاصّ حيث كان يقوم بالوعظِ « أحمد سحنون » و« الشَّيخُ عبد اللَّطيف سلطاني » . . . يبدأ العمل بالتَّطوُّرِ شيئاً فشيئاً ، ولكنَّ هذا النَّشاطَ لم يكن منظماً بمعنى الكلمةِ ، لقد ظلَّت الحركةُ الإسلاميَّة في الجزائر مشتَّتةً وغير منظَّمةٍ ، لم يكن هناك تضامنٌ أو وحدةٌ أو تعاونٌ أو تشاورٌ بينَ الدُّعاةِ من أجلِ تحقيقِ أهدافٍ كنَّا نريدُ التَّوصُّلَ إليها ، وحتَّى الآن مازال هذا صحيحاً . . . مشكلةُ الجزائرِ أنَّ الدُّعاةَ أو معظمهم على الأقلِّ دون المستوى المطلوبِ ، وإذا نظرنا إلى مستواهم بدقة فسنجد أنَّه حتى هؤلاء دون المستوى المطلوب . وكانت ثقافتهم محدودةً . لا يوجد علماء حقيقيون .)[2] ، ولعل السبب المباشر لذلك فقدان المرجعية الدينية الصحيحة والسليمة والمعتدلة والتمرُّد على منهج الإصلاح لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي يتماشى طرداً والواقع الدِّيني بالجزائر ، وتمَّت بعد هذه الحقبة المواجهات الأولى مع السُّلطة ، فبعد وفاة « بومدين » واستلام الرَّئيس « الشاذلي بن جديد » السُّلطة ، ظلَّت الماركسيَّةُ تعمل وتسيطرُ من خلال حزب الطَّليعة الاشتراكيِّ ، وبدأت مظاهر التَّطرُّف والمعارضة الإسلاميَّة ، بتحطيم محلات بيع الخمر ، والاصطدام مع الماركسيِّين خاصة في الوسط الطلابي بالجامعة المركزية بتحريك من

(١) بمنطقة شوفالتي بأعالي العاصمة الجزائرية .

(٢) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص ٢٦٥ وما بعدها ، والنص منقول من حوار مع الكاتب الدودي محمد عبد الهادي .

جماعة الجزأرة التي يرأسها براهيمة مصطفى ومحمد سعيد فيما بعد وهي أخطر الجماعات الإسلامية في الجزائر من حيث فكرها ومنهج عملها وتركيبها وللأسف إلى اليوم لم تقم دراسة وافية شافية لهذه الجماعة المجهولة تماماً في وسط الدراسات الفكرية الإسلامية المعاصرة ومناقشة ميثاق ٧٦ ، والَّذي تلته حملة من الاعتقالات مسَّت شخصيَّة معروفة اليوم في أوساط الحركة الإسلاميَّة « محفوظ نحناح » ، وانتهى هذا الصِّدام بتجمُّع الجامعة المركزيَّة في الجزائر العاصمة يوم ١٢/١١/١٩٨٢م ، لعب فيها « عبَّاس مدني »[1] دوراً بارزاً ، وكذلك عناصر جماعة الجزأرة ، وأدَّى ذلك إلى تصادم عنيف داخل حرم الجامعة الجزائريَّة ، وبدأت الاشتباكات بين الإسلاميِّين والعلمانيِّين الَّذين يدعون أنفسهم بالتَّقدُّميِّينَ (الَّذين ينتمون في الغالبِ إلى الأقسامِ النَّاطقةِ باللُّغة الفرنسيَّةِ والحاملة للفكر الأمازيغي بأبعاده الغربية الاستعمارية) . . . فقامت الحكومة بعمليَّةِ قمعٍ

---

(١) عباس المدني : مواليد شباط ١٩٣١م ، في جنوب شرق الجزائر في سيدي عقبة بن نافع ، وهو أب لستة من الأبناء ، بينهم بنت واحدة ، كان والده إماماً ، تلقى عباس تربية إسلامية تقليدية في الكتَّاب ، درس الشريعة الإسلامية في سيدي عقبة ، ثم في بسكرة ، بعد تخرجه من الثانوية ، شارك في اللجنة الثورية من أجل الوحدة والنشاط ، وهي من أسلاف جبهة التحرير الوطنية التي انضمَّ إليها في ١٩٥٤م وسجن في تشرين الثاني ١٩٥٤م بعد اشتراكه في محاولة تدمير إذاعة الجزائر ،ولم يطلق سراحه إلا بعد الاستقلال ، فأمضى سبعة أعوام في سجنه فاستأنف دراسته فحصل على ليسانس الفلسفة من جامعة الجزائر ، وعلى دكتوراه الدرجة الثالثة في علم النفس ، وعلى دكتوراه الدولة في علوم التربية من لندن بعنوان (مقارنة أنظمة التعليم الفرنسية والإنجليزية والجزائرية) ، وكتب عباس مدني دراسات عديدة عن (مشاكل التربية في العالم الإسلامي) ، و(مشكلات إيستمرلوجية المعرفة التاريخية) ، وكان قريباً من جمعية القيم التي تم حظرها في عام ١٩٦٦م ، وكان عضواً في أول مجلس من المجالس الشعبية للولايات فيما بين ١٩٦٩م و١٩٧٤م ، وعرف بعد ذلك أنه كان في عهد سحنون أحد القادة الأوائل الذين ساهموا في المظاهرات الأولى ، وألقي القبض عليه في ١٥ كانون الأول سنة ١٩٨٢م ، بعد المظاهرة الإسلامية الكبرى الثانية ، وسجن ١٨ شهراً ، وأطلق سراحه في عام ١٩٨٤م ، وعندما وصل إلى رئاسة جبهة الإنقاذ الإسلامي كان قد بلغ عمره ٥٩ عاماً ، وأعلن عباس عن قيام جبهة الإنقاذ في ١٠/٣/١٩٨٩م بعد صدور قانون الأحزاب في ٢٣/٢/١٩٨٩م . واعتقل في اضطرابات حزيران ـ يونيو ـ من سنة ١٩٩١م . انظر : الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٢٦٥ وما بعدها ، والأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٨٨ . وتحدث عن عباس مدني كتاب جنرالات الإسلام : تأليف أنور محمد ، ولم أعتمد على هذا الكتاب لأن فيه تحاملاً وعدم منهجية وقد أخذ أكثره من كتاب الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية .

للجماعات الإسلاميّة وقبضت على ٢٩ شخصاً ، وأغلقت أماكن العبادة في الجامعةِ ، فاجتمع خمسةُ آلافِ شخصٍ في فناء كليّةِ الجزائر المركزيّةِ لتأديةِ صلاةٍ عامّةٍ احتجاجاً على هذا الموقف ، (وبهذه المناسبةِ قام الشَّيخُ العجوزُ « أحمد سحنون » و« عبّاس مدني » بتحرير شكوى وبتقديمها إلى الحكومة ، تُطَالِبُ[١] . . . بتنفيذِ التَّعريبِ بمزيدٍ من الصَّرامةِ ، وبحظرِ شربِ الخمرِ ، وبقانون أحوال شخصيّة يكونُ أكثرَ احتراماً للنُّصوصِ القرآنيّة)[٢] ورفض « محفوظ نحناح » الانضمام إليهم ، وينتقدُ الإسلاميُّ الحركيُّ « الدودي محمَّد عبد الهادي » هذا التَّجمُّع قائلاً : (كُلُّ شيءٍ يجب أن يتمَّ تنظيمُه ، هناك بدايةٌ ونهايةٌ لكلِّ شيء ، علينا معرفةُ من أيِّ نقطةٍ ننطلقُ ، وإلى أينَ نحن ذاهبون وكان النَّبيُّ قبلَ أن ينطلقَ في معركةٍ يقوم بتنظيم قوّاته . . . ولكن أَنْ نُلْقِي بأنفسِنا في الشَّارع دون التَّوصُّل إلى أيَّة نتيجةٍ ، لن أوافق على ذلك أبداً ، . . . ومع ذلك فهذا هو ما شهدناه أثناءَ اجتماعِ « أحمد سحنون » و« عبّاس مدني » في الكلِّيَّـةِ المركزيَّةِ في الجزائر ، اجتمع عددٌ كبيرٌ من المؤمنين ولكن . . . من أجلِ عمل ماذا ؟ . . . وانتهى أخيراً كلُّ ذلك في السُّجون ، تمَّ القبضُ على فُلان والحكمُ على علاّن ، ووضِعَ فلانٌ تحتَ المراقبةِ ، فأدَّى كُلُّ ذلكَ إلى تثبيطِ هذه الحركةِ ، إذا كنَّا نريدُ الانطلاقَ علينا القيامُ بالتَّحضيرِ ، ومعرفةُ ما سنقومُ به ومع من سنحقّقه)[٣] .

وتمَّ القبض على « أحمد سحنون » (وعمره ٧٣ سنة) ، و« سلطاني » (وعمره ٨٢ سنة) ، و« عبّاس مدني » ، وأطلق سراح « سحنون » و« سلطاني » وأحيلا للإقامة الجبرية وتوفي سلطاني تحت الإقامة الجبرية بعد فترة اعتقال وجيزة وبقي « عبّاسُ مدني » مسجوناً ، فاتسعت حملة الاعتقال ، وقُبِضَ على « علي بلحاج » و« محمد سعيد » وعدد آخر ، وبدأت وسائل الإعلام تتحدَّثُ عن اضطرابات الجزائر وانتهت هذه المرحلة بتقديم ١٣٤ عضواً لمحكمة أمن الدّولة في نيسان ١٩٨٥م ، ادُّعي أنَّهم مجموعةٌ مسلَّحةٌ تسعى لقلبِ نظامِ الحكمِ عن طريقِ العملِ المسلَّحِ ، ثمَّ قُدِّم أيضاً للمحكمة ٢٠٢من الأعضاء في

---

(١) طالبت بأكثر من أربعة عشر بنداً ، كتطهير الحكم من الخونة والفاسدين ، وضرورة تطبيق الشريعة ، ومنع الاختلاط ، وإصلاح القضاء ، والقوانين ، والوقوف في وجه الثقافة الغربية ، وإعادة فتح الجوامع المغلقة ، وحرية تملك المال .

(٢) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٢٦٧ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٦٨ ، وقد نقله عن حوار ذكره الكاتب مع الدودي محمد عبد الهادي .

حزيران ١٩٨٧م للسبب نفسه ، ونُسبت هاتان المجموعتان إلى « مصطفى بو يعلى » الَّذي ظهر في مسجد « العاشور » ، (وكان « بو يعلى » أيضاً دون المستوى المطلوب ، سواء في معرفة القرآن الكريم أو في معرفة السُّنَّةِ ، كان لديه إيمانُه. . . فهم جماعة بو يعلى[(١)] أكثر اقتراباً من « حزب التَّحرير الإسلاميّ ». . .)[(٢)] ، و(عَمِلت السُّلطةُ على تفكيكِ هذا التَّنظيمِ وقتلِ زعيمهِ ، بعد أحداث أكتوبر تشرين الأول ١٩٨٨م يعودُ أفرادُ هذا التَّنظيمِ إلى النَّشاطِ السِّياسيِّ بقوَّةٍ ، ويُشكِّلُونَ تيَّاراً ينادي بالجهادِ من داخل « الجبهةِ الإسلاميَّة للإنقاذ »)[(٣)] ، وكان هذا التنظيم يتَّهم « محفوظ نحناح » بموالاته للسلطة .

٣ـ مرحلة التَّنظيم والتَّخطيط (من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٨م) :

في هذه المرحلةِ تنالُ الحركةُ الإسلاميَّةُ بعض الحريَّة ، فيشتدُّ نشاطهم الثَّقافيُّ والفكريُّ من خلال « معارض الكتاب الإسلاميّ » ، الَّتي كانت تُقام بالجامعاتِ ، وأيضاً من خلال ملتقيات الفكر الإسلاميّ الَّتي كانت تشرفُ عليها وزارةُ الشُّؤونِ الدِّينيَّة. . . ومن أهمِّ أحداثِ هذه المرحلةِ ، فقد اجتمع أكبرُ حشدٍ إسلامي في جنازةِ « عبد اللَّطيف سلطاني » الَّذي توفِّي في نيسان ١٩٨٤م ، وتفاقمت الأزمةُ بين الجيشِ والإسلاميِّن واستفاد الإسلاميُّون من تفسُّخِ الحياةِ السِّياسيَّة وصراع السلطة مع قيادات حزب جبهة التحرير الوطني وخاصة محمد الشريف الماركسي مما اعتبر السبب المباشر في اندلاع الأحداث ، وكذا التدهور الاقتصادي وانتشار الفساد السياسي والرشوة ، وحالةِ التَّذمُّرِ والاستنكار الشَّديدين لدى الأوساط الشَّعبيَّة ، وانتهت هذه المرحلة بالأحداث الدّامية يوم (٢ تشرين الأول ١٩٨٨م) حيث استعملَ الجيشُ كلَّ قواهُ وأسلحته في ضربِ المتمردين ، وأُعلنتُ الأحكامُ العرفيَّةُ في الجزائر وحالة الطَّوارىء ونزلت المدرَّعات العسكريَّةُ الثَّقيلةُ إلى الشَّوارع ، واسْتُخدِمت الرَّشاشاتُ لضربِ تجمُّعات المتمردين ، الَّذين اعتبروا أنَّ التَّعذيبَ الَّذي يلاقونه من حكومتهم الوطنيَّة أشدُّ بأساً ممَّا تعرضوا له في زمن الاستعمار ،

---

(١) نظَّم مصطفى بو يعلى جماعة منذ ١٩٨١ وفي تموز ١٩٨٢ تسمى بـ (أميراً) على جماعة إسلامية مسلحة ، وبدأت صراعها مع السلطة الجزائرية ، وقد قتل في شباط ١٩٨٩ ، وكان قد اتصل بكل الذين سوف تلمع أسماؤهم لاحقاً .

(٢) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٢٧٠ ، نقلاً عن حوار الكاتب مع الدودي محمد عبد الهادي .

(٣) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٧٧ .

وهذا أعطى المعارضة قوَّةً وتجمُّعاً ومبرِّراً لأعمالها ، ورفعت المعارضةُ شعارها « الكفاح ضدَّ التَّعذيب » ، وحاول « محفوظ نحناح » و« علي بلحاج » و« الشَّيخ سحنون » التَّوسُّط « للشَّاذليّ بن جديد » لإيقافِ حمَّامِ الدَّمِ .

٤ـ مرحلةُ العلنيَّة للحركات والجهاد ضد المخالفين (من ١٩٨٨م إلى الآن) :

أـ خلَّفت الأحداثُ التّصادميَّة في الجزائر تَذَمُّراً واستنكاراً لدى الأوساطِ الشَّعبيَّةِ وباتت كالبركان على وشكِ الانفجارِ ، واضطربت الأمورُ في البلادِ ، فلم يجد الرَّئيسُ « ابن جديد » بُدَّاً من تعديلِ الدُّستورِ في ٢٣/ ٢/ ١٩٨٩م ، والَّذي يسمحُ بإنشاءِ الجمعيَّات السِّياسيَّة ، والتَّعدُّديَّةِ الحزبيَّةِ ، والَّذي ينصُّ على انسحابِ الجيش من اللَّجنةِ المركزيَّة لجبهةِ التَّحريرِ ، وإلغاء القوانين الاستثنائيَّة وقوانين الأمن العسكريِّ ، وكان قبلها في سنة ١٩٨٢م قد ألغي العديد من قوانين الأمن العسكري وعاد من جديد هيكلة هذا الجهاز العام ، وأحال العديد من عناصره على التقاعد أو الهيئات الأخرى ، فاختفى نفوذُ الاشتراكيَّةِ ، وهيمنةُ جبهةِ التّحريرِ الوطنيَّةِ في الدُّستورِ الجديدِ ، وتمَّ الاعتراف بحقِّ الإضراب وبالحريَّةِ النَّقابيَّةِ ، وتحرَّرت الجزائرُ من وطأةِ سيطرةِ الحزبِ الواحدِ ، وهذه الديمقراطيّة أثارت نقمةَ الماركسيِّين الشُّيوعيِّين وعناصر جبهةِ التَّحرير الوطنيَّة والمعارضين للحريَّة الدِّينيَّة الإسلاميَّة على الرئيس « ابن جديد » ، وتشكَّل بسرعة أكثر من ثلاثين حزباً من مختلف الاتِّجاهات ، ومنها « جبهة الإنقاذ الإسلاميّ » في ١٠/ ٣/ ١٩٨٩م ، ويتحدّث عن هذه المرحلة « بو مدين بو زيد » قائلاً : (وهي مرحلةٌ انقسمت فيها الحركةُ الإسلاميَّةُ إلى اتِّجاهاتٍ عملت في العلنيَّةِ مع وجود تنظيماتٍ سرِّيَّةٍ ، شاركت في الانتخابات ، بعضها يمارسُ اليومَ الصِّدامَ المسلَّح مع السُّلطةِ ، وبعضها الآخر يترقَّب ، وهي مرحلةٌ أحيت الخطابَ الدِّيني السِّياسيّ وأعدمتهُ في الوقت نفسه ، وهي بالنِّسبةِ لبعضهم كانت شرّاً أكثر منه خيراً ، وتقييم هذه المرحلة من طرفِ اتجاهات أُخرى إسلاميَّة لم تحل كتنظيمات سوف يعمل على تغيير تكتيكها ومراجعة كثير من المسائل الَّتي كانت تطرحها)[1] .

ب ـ نشوء الحركاتِ الإسلاميَّةِ ، « حماس » و« النَّهضة » و« الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ » .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٧٨ .

الحركة الدِّينيَّةِ الجزائريَّة تَدينُ بالفضل لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين الَّتي أسَّسها « عبد الحميد بن باديس » (١٨٨٩ ١٩٤٠م) وخلف عليها الشيخ « الإبراهيمي »[(١)] ، ثم تأسَّست « جمعية القيم » ترأسها « الهاشمي التيجاني » ، وأصدرت مجلة « التهذيب الإسلامي » بالعربية وأخرى بالفرنسية ، (وهذه الجمعية التي كانت لا تزال تحافظ على الطابع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين)[(٢)] ، وهي تنظيمٌ وتوجُّهٌ تضم تيار الجزأرة[(٣)] والإصلاحي والحركي (المسلَّح) وفي هذه الحقبة ظهر « مالك بن نبي » ، وكان لحلقاته دورٌ وتأثيرٌ بمن سيلعبون دوراً هاماً في تنشيط الحركة الإسلامية ، وكان من بين مريديه وطلابه بعض العناصر التي تبنت فكرة الجزأرة فيما بعد ، ومالك بن نبي بريء منها ولا يشاطرها النهج والأسلوب ولكنها أرادت أن تتمسح على عتبة أفكاره واجتهاده ، وفي هذه الحقبة كثر بناء المساجد التي تحولت تدريجياً إلى مراكز حركية استفاد منها الإخوان المسلمون ، إلى جانب ذلك استقبلت الجزائر أعداداً كبيرة من الأساتذة من البلاد العربية من أجل تعريب المدرسة والجامعة ، كما ظهر نشاط « جماعة الدعوة والتبليغ » ، وظهرت جماعة سرية « جماعة الموحدين » الَّتي اتَّخذت مقراً لها مسجد « الكوثر » ، (واعتقل أفراد هذا التَّنظيم نهائيَّاً في ١٦/ ١٢/ ١٩٧٦م ، وعُفي عنهم

---

(١) محمد البشير الإبراهيمي(١٨٨٩ـ١٩٦٥م) : ولد بدائرة سطيف ، حيث تلقى دروسه الأولى ، وفي سنة (١٩١١) قصد المدينة المنورة حيث يقيم والده ، وفي طريقه عرج على القاهرة ، وتعرف في المدينة المنورة على الشيخ « ابن باديس » سنة (١٩١٣) ، وتواصلت اللقاءات بينهما ، وعاد الإبراهيمي إلى دمشق ، وظل فيها حتى (١٩٢٠م) ، حيث عاد إلى الجزائر ليتعاون مع « ابن باديس » وأسسا جمعية العلماء سنة (١٩٣١) ، وليكون « الإبراهيمي » وكيلاً للجمعية ، وكان له دور هام في الجمعية مع « ابن باديس » ، وتولى رئاستها بعد وفاة « ابن باديس » سنة (١٩٤٣) ، عمل على تأسيس المدارس وتعميمها ونشر الصحف ، وبقي رئيساً لجمعية العلماء حتى تاريخ حلها من قبل السلطات الفرنسية عام (١٩٥٦) ، وبعدها عمل الإبراهيمي كممثل لجبهة التحرير الوطني الجزائرية في بعض مناطق المشرق ، ترك الجزائر في يناير (١٩٥٢) حيث طاف بالمشرق العربي داعياً لحرية الجزائر ، سجن مرات عديدة وأبعد ، وأقام عشر سنوات في القاهرة قبل وفاته يشرف على الطلاب الجزائريين ويوجههم . انظر : كتاب مالك بن نبي : د . أسعد السحمراني . ص٥٥ .

(٢) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص ٢٧٩ .

(٣) (وهو اتجاه يركز على التكوين الفكري والثقافي كأساس قاعدي لتكوين الدولة الإسلامية ، واعتماد تجربة جزائرية لا تقع في التقليد والتحليل الجاهز الذي تقدمه كتابات الإسلاميين المشارقة) .

بعد أن حكم عليهم بالموت ؟ وكان آخر واحد عُفي عنه في هذا التَّنظيم الشَّيخ « محفوظ نحناح » ، الَّذي استفاد من تجربة السِّجن وانزوى قليلاً ليتَّجه اتِّجاهاً سلمياً بعد ذلك ، ويوطِّد علاقته عالميَّاً مع « الإخوان » ، وكان للسُّلطة الكويتيَّة الفضلُ في تدخُّلها من أجل إطلاق سراحه ، وحتَّى من أجل اعتماده من طرف « المكتب الدُّولي » للإخوان المسلمين كمرشد عامّ في الجزائر ، وهذا ما سيخلق له خلافاً ذاتيَّاً مع « جاب الله » زعيم حركة النِّهضة الآن ، ويدخل في صراعٍ وشتمٍ مع بقية أجنحة الحركةِ الإسلاميَّة ، كونه عميلاً للنِّظام كما يرون وكانت القطرةُ الَّتي أفاضت الكأس دعوته إلى « تحالفٍ إسلامي » قبل الانتخابات البرلمانيَّة لنهاية سنة ١٩٩١م حيث كان رفض « الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ » قاطعاً ، ورفعوا الأثرَ النَّبويَّ في وجهه « لا حلف في الإسلام »)[1] وإلى جانب ذلك تجدد نشاط تنظيم « الجماعة الإسلاميَّة » الَّذي ترأَّسه « ابن شيكو عبد الحميد » ، وهو صوفي ينتمي إلى الطريقة الهبرية ، ومساعده « بو جلخة محمد » وهو أحد عناصر الجزأرة ، وتركز في الجامعة والأحياء الجامعية ، واستحوذ على بعض المساجد في الأحياء الشعبية ، . . . وفي ١٢/ ١١/ ١٩٨٢م كان أكبر تجمُّع إسلامي للطَّلبةِ في « الجامعة المركزيَّة » ، وانتهى هذا التَّجمُّع بمصادماتٍ ومشادَّاتٍ بين الإسلاميِّين واليساريِّين والحركةِ البربريَّةِ ، وخاصة بعد مقتل أحد عناصر الحركة البربرية في الحي الجامعي بابن عنكون ، أعقبه اعتقالاتٌ وقمعٌ للإسلاميِّين وأحكام تتراوح بين الإعدام والمؤبد ودونهما ، أعقبَ ذلك إنشاءُ « بو يعلى » « الحركة الإسلاميَّة الجزائريَّةَ » ، وهي حركة تعتمد العمل المسلح ، (وكانت البداية الاستيلاء على أموالِ مؤسَّسةِ البناء والَّتي كانت مخصَّصةً كعلاوات للعمَّالِ قبل العيد ، ثمَّ الهجوم المسلَّح على الصَّومعةِ وأخذ الأسلحةِ ، وانتهت الحركةُ بوفاة « بو يعلى » على يد الدَّرك الوطنيّ « بعين النَّعجة[2] » في (٣ كانون الثَّاني ١٩٨٧م) ، أمّا بعضُ أفرادِ هذه الحركةِ فسيشكلونَ اتِّجاهاً قويَّاً داخل الحركةِ الإسلاميَّة فيما بعد ، وبالضَّبط في حقبة التَّعدُّديَّةِ الحزبيَّة ، ويعتمدون الرَّأيَ القائل ؛ إنَّه لا يمكن قيامُ دولةٍ إسلاميَّة إلا باستخدام القوَّةِ والعنفِ، وسيمثِّلُ هذا الاتِّجاه « علي بلحاج » بفتاويه وخطبه النَّاريَّة في مساجد العاصمة ، وهذا الاتِّجاه يلتقي مع « حركة التَّكفير

---

(١) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٧٩ .

(٢) بمنطقة الأربعاء ولاية البليدة .

والهجرة » الَّتي انشقَّت عن الإخوان الأمّ في مصر واعتمدت نفس الأسلوب المسلَّح)[1] .

وفي هذه الحقبة ظهرت ثورة « الخميني » في إيران ، وانقلاب السُّودان وإعلان تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة ، وظهرَت بوادر تفسُّخِ الاتِّحاد السُّوفيتي ، وقوَّة المجاهدين الأفغان ضدَّ السُّوفييت ، وفجَّرت حوادث ٥ تشرين الأول ١٩٨٨م الموقفَ ، وكانت السُّلطةُ الجزائريَّةُ تأكلُ بعضها ، وأعقب ذلك تعديل الدُّستور في ٢٣/ ٢/ ١٩٨٩م ، وبدأت الحياةُ الدِّيموقراطيَّة بحرِّيَّة الأحزاب وتشكلت عدة أحزاب هامة ، مثل : « حزب حماس » و« حزب النهضة » و« الجبهة الإسلامية للإنقاذ » ، إضافة « لجمعية التضامن الإسلامي الجزائري » التي تزعمها « أحمد سحنون » وهي تضم تحالفاً بين « الرابطة الإسلامية » و« حزب الأمة » ، الذي يرأسه السيدُ « يوسف بن خده » أول رئيس للجزائر بعد الاستقلال و« حزب الجزائر المسلحة المعاصرة » ، و« الجماعة الإسلامية المسلحة » التي تحمل فكر الهجرة والتكفير ، ونعود للحركات الثلاث الهامة في الجزائر وهي : « حركة حماس » ، وهي إخوانيَّة (تعتمد أساساً الأصول النَّظريَّة « لحسن البنَّا »)[2] ، وقد قام عليها حتى وفاته « محفوظ نحناح » عضو الإخوان المسلمين الدوليين و« حركةُ النَّهضة » التي يتزعمها « عبد الله جاب الله » وهو عضو الإخوان المسلمين المحليين وهي بالأصل إخوانيَّة وتقع في الوسط بين الإنقاذ وحماس .

(غير أنَّه يختلف عن الأول في محليَّتهِ وعدم ارتباطه بالتَّنظيم العالميّ ، ويحاول أنْ يربط جذوره الفكريَّةَ والنَّظرية بالحركةِ الإسلاميَّة « لابن باديس » وتأثيرُ هذا التَّنظيم محدودٌ في ولايات الشَّرق الجزائريّ وتحمل شعاراً ثلاثيَّاً : « مجتمعٌ أصيلٌ دولة قويَّةٌ حضارةٌ رائدةٌ » ، وإذا قرأنا منشوراتِ هذه الحركة فهي لا تختلفُ في مبادئها وتصوُّراتها عن بقيَّة التَّنظيماتِ الإسلاميَّة الأُخرى ، سوى أنَّها تركِّزُ على وضعِ دستورٍ إسلامي ، وهذا الإصرار القانونيُّ ضمنتهُ الرِّسالة الَّتي وجهها زعيم هذا التَّنظيم إلى رئيس الجمهورية في يناير كانون الثاني ١٩٨٩م)[3] .

والتَّنظيم الثَّالث هو « الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ » ، والَّتي تشكِّلُ شعبيَّةً كبيرةً واعتمد بعض عناصرها منذ البدء المواجهةَ مع السُّلطةِ ، . . . لقد تألَّفت جبهةُ الإنقاذِ في

---

(١) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٨٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٢٨٠ .

١٠/ ٣/ ١٩٨٩م من الشَّيخ الشاب « علي بلحاج » الشَّهير بخطبه النارّيّة ضدَّ النِّظامِ الحاكموهو من مواليد عام ١٩٥٦ ، وسجن خمس سنوات من ١٩٨٣ـ ١٩٨٧م بتهمة تأييد حركة مصطفى بو يعلي الجهادية ، انتمى للتيار السلفي وانتقد كتابات الخميني ، والدكتور « عباس مدني » الَّذي ترأَّسَ الجبهةَ ، ووكيله « ابن زبده بن عزوز » ، و« سعيد قشي » وهو المنظر الحقيقي للجبهة ومسؤول التنظيم فيها ، وأول من قدم استقالته عندما عزم عباس مدني ومؤيدوه الدعوة إلى الإضراب والذي ترأس جماعة العقلاء و« محمَّد كرار » الأمين العام للجبهة الإسلامية للإنقاذ وبموقفهم هذا جنَّبوا الجزائر في ذلك الوقت الدخول في حرب أهلية شاملة ، والمهندس « يحيى بو كليخة » أحد الشخصيات العلمية والفكرية البارزة في الجبهة ، و« صحراوي عبد الباقي » أعضاء مؤسسين للجبهة ، وأُعلن عن قيام الجبهة من مسجد « ابن باديس » بالقبَّةِ ، و(ليست الجبهة الإسلامية للإنقاذ حزباً كبقية الأحزاب ، بل إن الهيكل التنظيمي البنائي للجبهة يعبر عن تفاعل عدة تيارات في داخلها ، أبرزها : التيار الذي يمثله الدكتور عباس مدني ورفاقه ، وهو التيار الذي ينادي بتصعيد النضال السياسي الجماهيري في إطار الصراع مع السلطة ، مثل أسلوب العصيان المدني ، . . . « وعباس مدني » كان قد دخل معترك العمل السياسي منذ نهاية الأربعينات عندما انخرط في « حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية » التي كانت وليدة « نجم الشمال الأفريقي » ، و« حزب الشعب »[(١)] ، اللذين أسسهما « مصالي الحاج » ، ومن

---

(١) نشأ منذ مطلع ١٩٢٠ ، باعتباره امتداداً للحركة السياسية التي قادها الأمير خالد حفيد للأمير عبد القادر مع حزب « نجم شمال إفريقية » ، كما أنه رتع في أحضان الحركة النقابية الفرنسية ، والتي نشأت أصلاً من نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي (pcf) ، ثم تطورت آليات عمله عندما انتقل إلى الجزائر مع « مصالي الحاج » الأب الروحي لحزب الشعب الجزائري وفي ملعب ٢٠ أوت بالعاصمة حين أعلن أن الجزائر جزائرية وأننا لن نرضى إلا بالاستقلال ، وكان ذلك بحضور الشيخ « عبد الحميد باديس » في المنصة ، والمعروف أن عبد الحميد هو الذي أعلن رفضه لسياسة الاندماج ، وبيَّن ووضح أصالة الجزائر ديناً ولغة ووطناً ، والملاحظ أن حزب الشعب الجزائري ، قد حوى في أحضانه كل السياسيين الجزائريين الذين رفضوا الاندماج مع فرنسة ، وظلت جمعية العلماء المسلمين ترفض الاندماج ولكن رفعت شعار الإصلاح بالمنهجية الإسلامية ، وحزب الشعب هو المبادر بتكوين المنظمة السرية (OS) التي مهدت لإعلان الثورة ، مع الإبانة أن قيادي المنظمة السرية والتي تم الكشف عن بعض عناصرها سنة ١٩٥٢ من قبل السلطات الفرنسية ، أن أغلبهم من تلامذة جمعية العلماء المسلمين أو أصدقاء الشيخ ابن باديس والبشير الإبراهيمي ، باعتبار انتمائهم للزوايا والطرق الصوفية ، وأهم قيادات حزب الشعب التي تولت الحكم بعد =

المعروف تاريخياً أن « حركة الانتصار » كانت حركة ثورية ذات طابع شعبي تضم في صفوفها اتجاهات متعددة من الاشتراكية ، إلى القومية العربية ، إلى الإسلامية الإصلاحية[1] ، ثم انخرط « عباس مدني » لاحقاً في صفوف الثورة الجزائرية ، إذ أُلقي عليه القبض في ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م وظلّ في السجن طيلة الحرب التحريرية ، وبعد الاستقلال أصبح عضواً في جبهة التحرير الوطني وتقلد مهام حزبية في المجالس الولائية المنتخبة ، وقد حصل على شهادة دكتوراه الدولة في مجال علم النفس التربوي من بريطانية[2] ، وإلى جانب تكوينه الجامعي يجيد « عباس مدني » اللغات الأجنبية (الفرنسية والإنكليزية) إذ عاش في إنكلترة بين ١٩٧٥ـ ١٩٨٧م)[3] ، والتيار الثاني فيمثله « علي بلحاج » ، و« سعيد قشي » وزير التكوين المهني ثم كلف بالحج والعمرة سنة ١٩٩٤م ، وهو تيار سلفي ، وشعاره « الإسلام هو الحل » ، وينادي بإقامة الدولة الإسلامية ، . . . وبالإضافة إلى قمر الدين خربان ، والسعيد مخلوفي المؤسس « للنقابة الإسلامية » للعمل التي تضم كل النقابات ، وهو الذي وضع كتاب العصيان المدني ، الذي طرح فكرة الإضراب ، والتيار الثالث هو تيار « الجزأرة » التحق فيما بعد بجبهة الإنقاذ وكان ممثله الشيخ « محمد السعيد » الذي رفض في البداية الانضمام إلى الجبهة باعتبار أن القيادة لم تكن بيده .

ولم يغب عن تشكيلة « الجبهة الإسلامية والإنقاذ » سوى تنظيم « التكفير والهجرة » ، وأصدر « أحمد أبو عزة » أحد زعمائه في منتصف سنة ١٩٨٩م فتوى مطولة كفَّر بها الجبهة الإسلامية وخاصة تكفير « عباس مدني » ومن معه من قادة جبهة الإنقاذ وكل من ينضم

= الاستقلال (ابن بلة ، بوضياف) ، وأن أغلب تلامذة وقيادي جمعية العلماء استشهدوا في الثورة الجزائرية ، وأن ما حصل بعد الاستقلال من خلافات وانشقاقات هو نتاج الصراع بين فكر حزب الشعب ومنهج الإصلاح لجمعية العلماء ، ومن جهة أخرى الصراع الداخلي في حزب الشعب والتقاتل على السلطة بين أفراده ، ولأن حزب الشعب كان خاضعاً لكل التيارات السياسية المناضلة من أجل التحرير وضد الاندماج مع فرنسة ، وخاصة الحزب الشيوعي الجزائري ، الذي شُكِّل عام ١٩٣٦ المتفرع من الحزب الشيوعي الفرنسي .

(١) ولقد ذابت كلها في الثورة الجزائرية وهي بقيادة « يوسف بن خدة » الذي صار أول رئيس جزائري بعد الاستقلال .

(٢) وبعد الاستقلال التحق بالمجلس الشعبي الولائي للجزائر ، وعمل مستشاراً للرئيس ابن بلة .

(٣) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٦٩٦ .

إليهم أو يؤيد نهجهم السياسي ، (وفور الإعلان عن الجبهةِ أعلن الشَّيخ « أحمد سحنون » معارضتهُ مبرِّراً بأنَّ الوقتَ غير مناسبٍ لقيام جبهةٍ ، وأكّدَ أنّ لفظ « رابطة » أفضل من جبهة ، فالرَّابطةُ تجمع عباد الله وتربطهم بعضهم ببعض بهدفِ الإصلاح ، بينما الجبهة تُشكَّلُ عادةً لمواجهةِ الأعداء)[1] ، وأسس جمعية التضامن الإسلامي الجزائري ، وهي تضم تحالفاً بين « الرابطة الإسلامية » و« حزب الأمة » ، وفي ١٤/٩/١٩٨٩م يعترف الرَّئيس « ابن جديد » « بجبهةِ الإنقاذِ » ، فقامت الجبهة بعد هذا الاعتراف بتأسيس مجلس الشُّورى الَّذي يضمُّ ٦٠ عضواً ، واستطاعت « جبهةُ الإنقاذ » أن تحشدَ الآلاف في المظاهرات ، وتصبح أقوى قوَّة شعبيَّة تُمثِّل المعارضة في هذه الحقبة .

وتحرز « جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة » نصراً كبيراً في انتخابات البلديَّات والولائية في ١٢/٦/١٩٩٠م فسيطرت على (٨٥٣ بلديَّة من ١٥٥١ بلديَّة وعلى ٣٢ ولاية من ٤٨ ولاية . . لقد حصلت جبهة الإنقاذِ على أغلبيَّةِ الأصواتِ في جميع المدن الكبرى : أي على ٦٤ .٨١٪ من قسنطينة ، وسيطرت على جميعِ بلديَّاتِ ولاية الجزائر « و عددها ٣٣ بلديَّة » وعلى جميع بلديَّات بليدة « وعددها ١٢ بلديّة » وجميع بلديَّات « جيجل » « وعددها ٢٨ بلديَّة ». . .)[2] . . . وكانت نتيجةُ الانتخاباتِ هزيمة « جبهةِ التَّحرير الوطنيَّة » الَّتي استأثرت بالحكم مدَّة ٢٨ عاماً ، وانتصارَ « جبهةِ الإنقاذِ الإسلاميَّة » ، وظهورَ الضَّعفِ أو الذَّوبانِ من الأحزابِ الأخرى والتَّشكيلات السِّياسيَّة المتعدِّدة (وهناك تفسيرات عديدة لفوز « الجبهةِ الإسلاميَّة للإنقاذ » في انتخابات الجزائر ، (ودفع انتصارُ « جبهة الإنقاذ » الجيش للسَّيطرة على الحكمِ وإلغاء الانتخابات ، وفي هذه الحقبة انفرد « عبّاس مدني » في تسيير « جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة » وكان في مقدوره (أن يحشدَ أكثرَ من مليونين من الأصوليِّين للجهاد المقدَّس[3] في الشَّارعِ السِّياسيّ الجزائريّ بعد أنْ حقَّقت الجبهةُ مكاسبَ ضخمةً من إعلان مبادئها ، وأهمُّها الالتزام بالخيار الدِّيمقراطيّ وحصولها

---

(١) جنرالات الإسلام : أنور محمد ، ص٥١ .

(٢) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٢٨٤ وما بعدها .

وحازت ٢٥و٥٤ ٪ من الناخبين أي ٤٣٣١٤٧٢ صوتاً ، أما على مستوى انتخابات المجالس الشعبية الولائية فقد حصلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على نسبة ٤٤و٥٧ ٪ من أصوات الناخبين أي ٤٥٢٠٦٦٨ . . . . .

(٣) الجهاد المقدس تعلنه الدولة المسلمة ضد أعداء الإسلام ، لا يقوم به أفراد ضد غيرهم أو من يخالفهم .

على الأغلبيَّةِ في انتخابات المجالس المحلِّيّة متفوِّقة بذلك على الحزب الحاكم)[1] .

واختلف « عبَّاس مدني » مع الشَّيخ « أحمد سحنون » الَّذي أنشأ « رابطة النِّداء الإسلاميّ » بعد مظاهرات ١٩٨٨م ، وكذلك اختلف عبَّاس مع « محفوظ نحناح » الَّذي أنشأ « حماس » ، واشتدَّ الصِّراعُ بين « نحناح » و« قادة جبهة الإنقاذِ » ، وكان « نحناح » يؤمن بالحوارِ ويرفضُ اللُّجوءَ إلى السِّلاح ، وقد توسَّط مراراً بين الإسلاميِّين والحكومة ، حتَّى اتُّهم بأنّه أقرب إلى صالح السُّلطةِ ، وخاصَّة عندما رفض أُسلوب « مصطفى بو يعلى » ، فأنشأ « نحناح » جمعيَّة الإرشادِ والإصلاح الَّتي اعتبرها غير سياسيَّةٍ ، وكان يفضِّلُ التَّطوُّرَ ببطءٍ نحو عودةِ الإسلامِ ، فأنشأ بعد ذلك « حركةَ المجتمع الإسلاميِّ » وعُرفت باسم « حماس الجزائريّة » وتمَّ الاعترافُ بها في ٢٩ نيسان ١٩٩١م ، وظهرت اختلافات بين حركةِ « حماس » وبين « جبهةِ الإنقاذ » وبعض الجماعات التكفيرية كجماعة « التكفير والهجرة » و« الجهاد » ، و« حزب التحرير » الَّتي رفضت حماس والجبهة الإسلامية ، كأحزاب سياسية دينية ، باعتبارها تكفر السلطة وكل آلية موصلة إليها وكتبت رسائل في تكفير محفوظ نحناح وعباس مدني وغيرهم ، وظهرت عدّة أحزابٍ إسلاميَّة وجماعاتٍ ولكنَّها دون حركتي « الإنقاذ وحماس » قوّةً وشعبيَّةً ، فظهرت حركة « النَّهضة الإسلاميَّةِ » ، و« رابطةُ العلماءِ » والَّتي تعتبر نفسها الوريث « لعبد الحميد بن باديس » ، وجبهةُ « الجهادِ والوحدة » ، و« حزبُ الله » ، و« حزب الأمَّةِ » ، و« حزبُ التَّجمُّع العربيِّ الإسلاميِّ » وتختلف وجهاتُ هذه الأحزابِ الإسلاميَّة في اتِّجاه التَّعاملِ وأسلوبِ التَّغييرِ ، وكان أكثرَها تطرُّفاً « جبهةُ الإنقاذِ » ، حتَّى إنها أيَّدت العراقَ في غزوه للكويت ، واتَّهمت الأنظمة العربيَّة بالخيانةِ والفسادِ ، وحاول « عبَّاس مدني » أخذ تأييد « نحناح » للقيام بحملةٍ من أجل تأجيلِ الانتخابات وإلغاء القانون الانتخابيّ ولكن « نحناح » لم يتَّفق مع عبَّاس على الأسلوب ويرفض مساعدتَه ، وخاصَّة أنَّ الحكومة عدَّلت في نظام الانتخابات وحدَّدت ميعاده في ٢٧/ ٦/ ١٩٩١م ، فلجأت جبهةُ الإنقاذ إلى معارضة التغيُّرات ولجأت إلى سلاح الإضراب وأعلن « عبَّاس مدني » في ٢٠/ ٥/ ١٩٩١م الإضراب لثلاثة أيام ثم تحول إلى العصيان المدني وامتنعت « حماس » ، ووقعت المصادماتُ بين الإنقاذِ والجيشِ فأعلن رئيس الدَّولةِ الأحكامَ العرفيَّةَ لمدة ٤ أشهر ، وأُجِّلت الانتخاباتُ التَّشريعيَّة ، واستقالت حكومةُ « حمروش » ، وبدأت الانقسامات في

---

(١) جنرالات الإسلام : أنور محمد . ص٤٧ .

« جبهة الإنقاذ » ، وفي ٣٠/ ٧/ ١٩٩١م تمَّ القبض على « علي بلحاج » و« عبَّاس مدني » ثمَّ أعضاء « مجلس الشُّورى » وبدأت ملاحقةُ « جبهةِ الإنقاذ » وتصفيتها بكلِّ وسائل القمعِ ، وإعلانِ حالة الطَّوارىء وقد شملت الاعتقالات (٥٨٧٠ من أنصار جبهةِ الإنقاذ ، أُحيلَ منهم ١٨٦٧ إلى القضاء للمحاكمة ، وتمَّ فتح ستة مراكز اعتقال جديدة لاستقبال المعتقلين الجُدد. . .)[١] ، وحدث إثر ذلك انقساماتٌ في صفوفِ الجبهةِ ، فاتَّهمَ « الشَّيخُ محمَّد إمام » وهو صاحب زاوية ومعهد ديني بمنطقة غرداية في جنوب الجزائر « عبَّاس مدني » أنَّه (تحوّل إلى قائدٍ مستبدٍّ يتجاهلُ نصائح كبار مستشاريه. . . واتَّهمه بالسَّعيِ إلى إشعال نيرانِ الحربِ الأهليَّةِ. . .)[٢] ، وانتقده آخرون من أعضاء مجلس الشُّورى ، فأعلن « بشير فقيه » (احذروا « عباس مدني » يمثِّلُ خطراً بالنِّسبة لجبهةِ الإنقاذ وبالنِّسبة للإسلام ، إنَّني أتبرَّأ من الحزب. . .)[٣] ، وأعلن « أحمد مراني » وزير الشؤون الدينية السابق عضو مجلس الأمة (الغرفة الثانية) حالياً أنّه (يوجد في جبهةِ الإنقاذ عناصرُ تستخدم كُلَّ سلطتها وكُلَّ نفوذِها لتدفع الحركةَ نحو المواجهة)[٤] ، وقلبت جبهة الإنقاذ من بعض عناصرها الجدد إلى جيش الإنقاذ .

وظهرت قوة الإنقاذ في الانتخابات البرلمانية فاكتسحت « جبهة الإنقاذ » تحت قيادة « عبد القادر حشاني » مسؤول المكتب التنفيذي للجبهة الذي عين من طرف بعض عناصر قيادة الجبهة المسجونة بالسجن العسكري بالبليدة الانتخابات بأغلبية ساحقة حيث حصلت على ١٨٨ من مجموع ٤٣٠ مقعداً في البرلمان وأصبحت الجبهة تحتاج فقط لـ ٢٧ مقعداً لتحقق الأكثرية المطلقة في البرلمان في مقابل ١٥ مقعداً لحزب التحرير الحاكم. . . فانزعجت الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر وكذلك العديد من الدول الغربية وخاصة فرنسة من وصول إسلاميين إلى الحكم ، وأعلن الرئيس « الشَّاذلي بن جديد » في ١١/ ١١/ ١٩٩٢م استقالته قبل أربعة أيام فقط من إجراء الجولةِ الثَّانيةِ للانتخابات البرلمانيَّة بضغط من العسكريِّين ، وتسلَّم الجيشُ الحكمَ وقرَّر القادةُ العسكريُّون إلغاء الانتخابات العامَّة المقرَّر إجراؤها في مرحلتها الثَّانية في منتصف كانون الثَّاني ١٩٩٢م ، وتشكَّل

---

(١) المرجع السابق ، ص٦٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٧٠ .
(٣) الإسلام السياسي : فرانسوا بورجا . ص٣٠٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص٣٠٣ .

المجلس الأعلى للأمن في ١٤/ ١/ ١٩٩٢م برئاسة « محمد بو ضياف » « ٧٢ سنة » أحد أبطال حرب التَّحرير الجزائريَّةِ ، والَّذي طُرد من الجزائر منذ حوالي ٢٨ عاماً وسجن عدّة مرَّات قبل الثَّورةِ وبعدها واختلف مع « ابن بلة » ، وأسَّس حزب « الثَّورة الاشتراكيَّة » ، فحكم عليه « ابن بلة » بالإعدام فهرب وتنقَّل بين فرنسة والمغربِ واستقرَّ في القنيطرة بعد أن أنشأ مصنعاً للطُّوب. . . وقد تأزَّم الوضع بعد استقالةِ ابن جديد ، وتحالفت « جبهةُ الإنقاذ » و« جبهة التَّحرير » و« جبهة القوى الاشتراكيَّة » لمواجهة النِّظامِ الجديد ، ورفضوا الاعتراف بشرعيَّة النِّظام الحاكم. . . وطالبوا باستئنافِ الانتخابات. . . ودعت « جبهةُ الإنقاذ » إلى الجهادِ ضدَّ نظامِ الحكم الجديدِ واتَّهمته بالخيانةِ العظمى ، وبدأت المواجهاتُ والمصادماتُ بين الجبهة والجيش ، واعتقلت السُّلطاتُ الجزائريَّة في٢٣/ ١/ ١٩٩٢م « عبد القادر حشاني » « ٣٥عاماً » الزَّعيم المؤقَّت للجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ. . . وازدادت المواجهات وأعلن المجلسُ التَّأسيسي أنَّ صلاحيَّته ستنتهي في سنة ١٩٩٣م وحدَّدوا وظيفته بإكمال المرحلةِ الانتقاليّة ، وفعلاً تمَّ بعدها تنصيب الرَّئيس « اليمين زروال » ١٩٩٤م ، وبعد استلام « زروال » نادى مباشرةً بالحوار بين السُّلطةِ الفعليَّة والمعارضةِ الفاعلة. . . وساعده في ذلك ضبَّاط متقاعدون حيث يرون بأنّ (الصِّراع الدَّائر حاليَّاً يخفي في بعض جوانبه نزاعاً بين الشَّعبِ والجيش ، لذا فإنَّ تطوُّره يحمل في طيَّاته مخاطر كبيرةً على الجميع ، جيشاً وشعباً ووطناً)(١) ، وقد تجمَّعت قوى المعارضة في رومة عام ١٩٩٥(٢) بدعوة من جماعة سانت إيجيديو وأصدرت وثيقة تفاهم والَّتي تطالب بحلولٍ سياسيَّة وسط تكون محلَّ اتِّفاقٍ بين السُّلطة والأحزابِ بما في ذلك

---

(١) الوسط ، العدد ١٦٧ ، نيسان ١٩٩٥م ، ص٦ .

(٢) وقَّعت ٨٠٪ من القوى السياسية الجزائرية في رومة ، وتنص هذه الوثيقة على رفض كل الديكتاتوريات ، ومنح الشعب حق الدفاع عن مؤسساته المنتجة ، وتفعيل حقوق الإنسان المنصوص عليها بالشرعية العالمية ، واحترام التناوب السياسي عبر الاقتراع العام ، واحترام شرعية الشعب ، بغض النظر عن العرق أو الجنس أو الطائفة أو اللغة ، وتكريس مبدأ التعددية ، وعدم إقحام الجيش في الشؤون السياسية ، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، واحترام حرية الطوائف ، وطالبت الوثيقة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين ، وحرية الإعلام ، والسماح بتعددية الأحزاب ، ورفع الأحكام العرفية ، وتأليف لجنة مستقلة للتحقيق في أعمال العنف والانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان. . . ، انظر : صحيفة المجد الأردنية ، عمان ، ص٦ ، الاثنين ٦/ ٢/ ١٩٩٥م .

جبهةُ الإنقاذِ ، والانتقال من الحوار الوطنيِّ إلى الوفاق والمصالحة الوطنيَّة. . . ثم جاء عبد العزيز بوتفليقة الذي انتخب عام ١٩٩٩م ، الذي أصدر قانون العفو العام والمصالحة وقانون الوئام المدني ، فسلم ما يقارب (١٥) ألف مقاتل أسلحتهم ونزلوا من الجبال وأوجب القانون استيعابهم وتأمين رواتب لهم وأعمالٍ ، ولم يبق إلا عددٌ من المئات يحملون السلاح ويعتصمون في الجبال ولكن لا تزال قضية الأمازيغ الذين يطالبون بأن تكون لغتهم اللغة الرسمية المعترف بها وينادون بإعطائهم حريات أكثر وحكماً ذاتياً ، تُحدث فتنة واضطرابات لا ندري من وراءها ومتى تنتهي ؟ .

المطلب الثالث : سلبيَّات الإسلاميِّين الجزائريين

١ـ اتَّخذت جبهةُ الإنقاذ شعارها الآية الكريمة : قال تعالى : ﴿ . . . وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا . . . ﴾ [آل عمران :١٠٣] ، ويقولون : (و« الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ » جاءت لتنقذنا من « جاهليَّة القرن العشرين »)[١] . . . إنَّ استخدام لفظ « الإنقاذ » و« المنقذ » والَّذي يستخدم بعبارات أخرى في فتراتٍ تاريخيَّة معيّنة كالمخلِّص ، والهادي ، والمهدي. . . الخ. . . ، كلُّها ألفاظ تتعلق « بالأنبياء » فقط ، ولم يعرف تاريخنا العربيُّ الإسلاميُّ سوى « الحركات الشِّيعيَّة » الَّتي أطلقت لفظ « المهدي » على أئمَّتها ، فالأئمَّة عند الشِّيعةِ لهم قدسيَّتهم الخاصَّة ، ولهم العصمةُ ، (و« فكرة المهدي المنتظر » برزت في الأوساط الشِّيعيَّة أساساً)[٢] ، ونلاحظ أيضاً تأثُّر الإنقاذ بفكر « سيِّد قطب » و« المودودي » فهم يعلنون أنَّ مهمَّة الجبهة الإسلاميَّة هي الإنقاذ من جاهليَّة القرن العشرين ، وتكاد هذه « الجبهة » تجعل مناصرتها ، وتأييد برنامجها « غير الواضح » ركناً سادساً من أركان الإسلام ، وهكذا تكون عقيدة « فرقةِ الإنقاذيَّة السُّنيَّة » « كفرقة الشِّيعة » في كون « الإمامة » ركناً من أركان الإسلام .

٢ـ إنَّ عدداً من الإسلاميِّين الجزائرِيِّين لم يفقهوا واقعهم ولم يدركوا حجمَ أعدائهم

---

(١) تكثر عبارات سيد قطب عند عباس مدني مثل (الجاهلية وقيود الكفر والوثنية ، والحاكمية لله ، ودولة الخلافة بديل الدولة الجاهلية ، ودولة الطواغيت والولاء لهذه الأنظمة الجاهلية هو كفر ، من مستلزمات العناية الربانية بالإنسان والإنسانية ، أن يكون الولاء والحكم لله. . . الدولة الربانية. . . لزوم المؤمنين ، لزوم الضرورة باختيار الدولة الربانية. . . .

(٢) الأصوليات الإسلامية ، قضايا فكرية : إشراف محمود أمين العالم . ص٢٨١ .

وحجم المؤامرةِ على الجزائر ، فقد خلَّف الاستعمارُ وراءَه ، أزماتٍ اقتصاديَّةً وسياسيَّةً واجتماعيَّةً ، ولم يخرج من الجزائر حتَّى سلَّم مراكز القُوى والاقتصاد إلى من يُريد ، فظهرت طبقةٌ متفرنسةٌ متغرِّبةٌ ، وعلى نقيضها ظهرت طبقةٌ ماركسيَّة اشتراكيَّة ترفض الغرب ونظامَ إقطاعه ، ويدعمُ الأولى الغربُ وخاصّةً فرنسةُ ، والثَّانية المعسكرُ الشُّيوعيُّ وخاصّة الاتحاد السوفيتي ، وقد فشل النِّظامان بتحقيق الاستقرار في الجزائر ، فكان البديلُ الإسلاميّ ، ولكنَّ عناصر البديلِ الإسلاميّ لا يملكون القوّة والرؤية المستقبليَّة إلا المظاهراتِ والهتافاتِ ، بينما الآخرون يملكون الدَّولة والقوَّة والسِّلاح والعتاد ، وتدعمهم دولٌ غربيَّةٌ وشرقيَّةٌ ، وكلُّها تخشى الإسلامَ ، كما أنَّ الشعب الجزائري شديد التمسك بدينه متعصب له ولو بجهل ، وخاصة أن الجزائر في حقبة بعد التَّحريرِ وقفت موقفاً مشرِّفاً من قضيَّة فلسطين وخاصَّةً بعد حرب ٦٧ ، ٧٣ ، ممّا أثار حفيظة إسرائيل ومَنْ وراءَها ، وخشيت من قوَّةِ الجزائرِ الصَّاعدة ، وتوجُّهها إلى التَّعريب والقوميَّةِ ، فكادت لها قوى الأعداء ، ولعلَّ دوائرَ أجنبيَّةً هي الَّتي ساعدت في الوقيعة بين الشَّعبِ والدَّولةِ ، وساهمت في أحداثِ الجزائر بشكل أو بآخر ، وإنَّ عدداً من الإسلاميِّين أرادوا أن يقفوا أمام هذه القوى وما تملك بحشدٍ جماهيريٍ أعزلَ لا يستطيعُ الصُّمودَ .

٣ـ إنَّ العديد من الإسلاميِّين انتقلوا من المعارضةِ السِّياسيَّة إلى المعارضةِ التَّصادميَّة وهم لا يملكون عدَّتها وذلك تهوُّرٌ وانتحارٌ ، وقد تأثَّروا بفكرة تغيير الحكم بالقوَّة وفكرة الحاكميَّةِ الإلهيَّةِ ، وأنَّهم جماعةُ المسلمينَ وأنَّهم الفئةُ النَّاجية ، وتأثَّروا بفكرة جاهليَّة المجتمع والدَّولةِ ، وهذه من أخطرِ الأمراضِ الَّتي قضت على الجماعات الإسلاميَّة وحركاتها .

٤ـ إنَّ أكثر الإسلاميِّين في الجزائر جمعتهم أهدافٌ واحدةٌ وهو تقديمُ بديلٍ إسلامي لمعالجة أمراضِ المجتمع ، ولكن اختلفوا في الأسلوبِ ، فتباينت آراؤهم وسلوكهُم تجاهَ الحكمِ ، واختلافهم هذا أدَّى فيما بعد إلى تقتيل بعضهم والمصادمةِ والمجابهة المسلَّحة ، وعددٌ كبيرٌ من العلماء والمشايخ قتلوا على أيدي إسلاميِّين يخالفونهم في الأسلوب ، فهناك سلفيُّون ، وإخوان مسلمون ، وجماعة التَّبليغ ، وصوفيُّون ، وجماعة التَّكفير والهجرة ، وجماعة التَّحرير الإسلاميّ ، وجماعة الجهاد. . . وكثير من هذه الجماعات تكفِّر غيرهَا .

٥ـ إنّ جبهة الإنقاذ الإسلاميِّ كانت في بدايتها خليطاً من جماعاتٍ متعدِّدةٍ متباينةٍ اتَّفقوا

على تقديم البديلِ الإسلاميِّ ، ولكن سرعان ما اختلفوا ، فانسحب الشّيخ « سعيد قشي » بعد إعلان الإضراب والشيخ « محمد إمام » عضو مجلس الشورى وتبعه ثلاثة آخرون مثل « بشير فقيه » و« أحمد مراني » و« الهاشمي سحنوني » وغيرهم ، واتّهموا « عبَّاس مدني » ، و« علي بلحاج » بالتَّطرُّف والمغالاة والمعارضةِ المسلَّحةِ. . . ويقول الدُّكتور « عصام العريان » عن هذا الخليط في « جبهة الإنقاذ » (والَّذي يدرس تجربة « حركةِ الإنقاذِ » أو « جبهة الإنقاذ » الإسلاميَّة في الجزائر يجد خليطاً عجيباً جداً ، هذه ليست حركة ذات جذور فكريَّة ، وليست تنظيماً له القدرةُ التَّنظيميَّة مثل « الإخوان المسلمين » ، هي جبهةٌ عريضةٌ تضمُّ شتاتاً من الأفكارِ ومن النَّاس في منتهى العجب ، تضُّم عناصر من « التَّكفير والهجرة » وأخرى من حركة « مصطفى بو يعلى » ، وبعض قدامى المجاهدين مثل « عبَّاس مدني » ، وسلفييِّن وأناساً كانوا قبل ذلك في حركة « الإخوان المسلمين » ولم يندمجوا ، إذن تضمُّ خليطاً عجيباً. . . والحقيقة أنا شخصيَّاً كنت مشفقاً من هذا الخليط غير المتجانس أن يصل إلى الحكم ويتولى إدارة بلدٍ في وقت قياسي لا يتجاوز ثلاث سنوات فقط ، هذا شيء صعب جدَّاً ، فلا خبرة ولا قدراتٍ تنظيميَّةً عاليةً ، ولكن الشّعب كان يريد التَّغيير . . .)[1] .

٦ـ إن جماعة العقلاء في الجبهة الإسلامية للإنقاذ وعددهم ١٨ مؤسساً وجماعة « ابن باديس » ورابطة العلماء وعدداً كبيراً من الصُّوفيِّين وكثيراً من الجماعات الإسلاميَّة والمفكرين تلامذة مالك بن نبي من غير الجزأرة رفضوا العنفَ والتّصادم ولكنَّ الإعلام الغربيَّ صوَّر حالة التَّطرُّف وضخَّمها وهوَّلها دون أن يذكر إيجابيَّات الآخرين .

٧ـ (لقد انشغلت جبهة الإنقاذ بالأمور السياسية على حساب التربية ونشر العقيدة الصحيحة والعلم النافع بين أفراد المجتمع ، إضافة إلى تبنيها فكر (التهيُّج) و(الثورة) المخالف لمنهج أهل السنة في الدعوة ، ولعل مآل الأحداث في الجزائر يدفعها إلى إعادة النظر في هذا المسلك الخاطىء ، ويعيدها إلى التروِّي والحكمة والصبر ، مع الاستمرار في نشر الخير إلى أن يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر)[2] .

٨ ـ ووجّه عباس مدني رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ من مقر إقامته في دولة قطر عدة

---

(١) المتطرفون : د . عمرو عبد السميع . ص٢١٨ـ ٢١٩ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

(٢) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د .أحمد الطحان ، ص ٢٩٢ـ٢٩٣ .

نداءات وبيانات واعترض على ترشيح بوتفليقة لولاية ثالثة ، بحجة مرضه وكبر سنه وأنه إذا توفي تدخل الجزائر في صراعات مجهولة ، ودعا لعقد مؤتمر وحدة وطنية يشارك فيه كل الجزائريين بعد الاعتراف بالمعارضة ، وهي الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

ومن أجل ظاهرة التَّطرف هذه يجب على الدَّولة أن تتبنى التَّيار الإسلامي المعتدل الحكيم ، وتتبنى الجماعات الإيجابيَّة ، وأن يكون هناك عزم وتصميم من الحكومة والجماعات الدَّعويَّة الحكيمة ، على التَّعاون وبناء الجزائر ، وإنَّ من أوَّل هذه الأوَّليات وحدة الجزائر ، وأن تقف الحكومة والجماعات الإسلاميَّة المعتدلة ، في وجه من يحاول زرع الفتن والفرقة ويجنح إلى القوَّة والسِّلاح من الجانبين ، وإعادة النظر في المنظومة التربوية الدينية تأييداً وإصلاحاً وتقويةً وإعطاء دورٍ أكثر لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف وتدعيم التعليم الديني السليم الحر بها .

وإنَّ الخسارة نالت كلَّ الأطراف ، ولم تحقِّق المصادمات والمواجهات شيئاً ، بل أخَّرت الجزائر ، حكومة وشعباً ، وهذا درس هام بعدم استعمال التَّصادميَّة والعنف ، والإسلام يرفض العنف والتَّطرف .

* * *

المبحث الخامس
الحنابلة والتكفير

المطلب الأول : ظُهُور حَرَكة تجديدية مُبارَكَة .

المطلب الثاني : المُغَالاة عَندَ كُلِّ الطَّوائِف .

المطلب الثالث : بعض الحنابلة والتكفير .

المطلب الرابع : التجسيم في كتب بعض الحنابلة .

المطلب الخامس : التناقض في كتب بعض الحنابلة .

المطلب السادس : عدم فهم حجة الآخر وظلم الآخرين عند بعضهم .

المطلب السابع : العنف عند بعضهم .

المطلب الثامن : الافتراء على الخصوم عند بعضهم .

المطلب التاسع : الكيل بمكيالين عند بعضهم .

المطلب العاشر : الغلو في شيوخهم وأئمتهم عند بعضهم .

المطلب الحادي عشر : ردودُ الفعل .

المطلب الثاني عشر : عدم إدراك معنى الكلام عند بعضهم .

المطلب الثالث عشر : تشريع الكراهية بين المسلمين عند بعضهم .

المطلب الرابع عشر : ذم المناظرة والحوار عند بعضهم .

المطلب الخامس عشر : التزهيد في التحاكم إلى القرآن مع المبالغة في الأخذ بأقوال الرجال عند بعضهم .

المطلب السادس عشر : التزهيد والتساهل في كبائر الذنوب والموبقات مع التشدد في أمور مختلف فيها عند بعضهم .

المطلب السابع عشر : تقرير شرعية الفرح بمصائب المسلمين مع الطوائف الأخرى عند بعضهم .

المطلب الثامن عشر : النصب عند بعضهم .

المطلب التاسع عشر : الاستدراك على الشرع .

المطلب العشرون : ما المنهج ؟ .

المطلب الحادي والعشرون : الخاتمة وأبرز النتائج .

المطلب الثاني والعشرون : ملحق بأقوال بعض العلماء والباحثين قديماً وحديثاً .

***

المطلب الأول : ظهور حركة تجديدية مباركة

ظهرت حركة مباركة تجديدية في هذا العصر تُجدد لهذه الأمة أمر دينها ، كما جاء في الحديث الشريف : « يبعث الله على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها »[1] ، وتداعى حكماء الإسلام وعقلاؤه على مختلف مذاهبهم وطوائفهم وفرقهم ، لعقد ندوات ومؤتمرات وتجمُّعات ، وظهرت كتابات وارتفعت أصوات ، كلها تدعو لتقويم الاعوجاج ، ونفي الفساد ، وتصويب الأخطاء ، وجمع ما تناثر ، وتوحيد ما تفرَّق ، وقد جعلوا وحدة الأمة الإسلامية ومستقبلها هدفهم ، أخذاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء :٩٢] ، وحديث رسول الله ﷺ ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] ، وخاصة بعدما فسدت أنظمة العدالة في الأرض ، وانتهكت حرماتها ، واستُهدف الإسلام والمسلمون في جميع أنحاء المعمورة ، وصال رجال الاستكبار العالمي ، وشيطان القطب الواحد ، وارتفعت أصواتٌ تحدد الداء

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، برقم ٤٢٩١ . ورواه السيوطي في الجامع الصغير برقم ١٨٤٥ . وقال السيوطي في مرقاة الصعود : اتفق الحفاظ على تصحيحه منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في المدخل . وصححه أبو الفضل العراقي كما في فيض القدير ، ٢/ ٢٨٢ . وصححه ابن حجر ، والخطيب البغدادي في تاريخه ٢/ ٦١ . وفي كنز العمال برقم ٢٤٦٢٣ ، وكلهم عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البر والصلة ، باب رحمة الناس والبهائم برقم ٥٦٦٥ . ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم ٢٥٨٥ ٢٥٨٦ .

والدواء ، وبحث عقلاء الإسلام وحكماؤه ومفكروه أسباب صولة أعداء الإسلام فوجدوه في ضعف المسلمين وفرقتهم وتعصبهم لمذاهبهم وطوائفهم .

(إن كثيراً من آمال الوحدة المنشودة في العالم الإسلامي متحطمة بفؤوس التعصب ، حيث تتولى جهات موتورة للأمة الإسلامية ، إيقاظ رياح الشحناء في بعض أنصاف المتعلمين ، ممن يعيشون أخطاء الماضي وأوهامه ، ويا ليت هؤلاء الذين يحتكمون إلى الماضي يختارون منه صحائفه المشرقة ، حين كانت تتسامى مصالح الأمة فوق المواقف الشخصية ، والاعتبارات المذهبية بدلاً من الأخبار التي تنسب إلى الأولين وتثير الفرقة والخصام)[1] .

واتَّجه كل فريق منهم يبحث في مذهبه وطائفته وفرقته ، ويتبيَّن مكامن الخطأ والانحراف ، أو الغلوِّ والشطط ، عن منهج وسطية الإسلام ، ولعل من أهم هذه الحركات التجديدية ما هو في صفوف الحنابلة في السعودية ، فلقد ظهر مفكرون وكتَّابٌ إسلاميون معاصرون في صفوف الحنابلة وفي السعودية ؛ وفي جامعاتها ومراكزها الدينية ، يبيِّنون أخطاء أسلافهم ، التي ساهمت في تفريق الأمة .

ولقد وقع بين يديَّ كتابٌ يمثل أنموذجاً لهذه الحركة التجديدية العلمية ، وهو قراءة في كتب العقائد[2] المذهب الحنبلي نموذجاً ، فيقول معرِّفاً عن نسبته للحنبلية والسعودية : « ليس هناك أي خطأ أو تناقض أن يقوم مسلم بنقد أخطاء المسلمين لأن الإسلام غير المسلمين ، ومن ذلك أن يقوم سني بنقد أخطاء أهل السنة لأن السنة غير أهل السنة ، ومن ذلك أيضاً أن يقوم حنبلي النشأة والتعليم والالتزام العام الواعي بنقد أخطاء الحنابلة لأن

---

(١) كلمة الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية في كلمة الافتتاح (المؤتمر الدولي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) الذي انعقد في دمشق ١٠/ ٤/ ١٩٩٩ مجلة البلاد عدد ٢٤ نيسان / ١٩٩٩ ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) لمؤلفه حسن المالكي ، وهذا المطلب هو تلخيص لأفكار هذا الكتاب ، وأنصح كل دارس أن يطَّلع عليه ، وإذا كنت قد اعتمدته ونقلت منه نقولاً مطولة خالفت فيها قواعد المنهج العلمي في الكتابة ، ولم أعلق عليها ، لأنني اعتبرتها مصدراً من المصادر الهامة ، لأنها كتبت بقلمٍ حنبليٍ سعوديٍّ معاصر ، حتى أنني نقلت ملحقات هذا الكتاب والمتضمن عدة مقالات تتجه لنقد التعصب في المذهب الحنبلي وغيره ، جديرة بالاهتمام والاطلاع ، كما أضفت غيرها لأنها تتعلق بالموضوع ولها الاتجاه نفسه .

الحنابلة غير أحمد بن حنبل مع أن أحمد بن حنبل نفسه بَشَر يخطىء ويصيب وهو الذي حثَّ أتباعه على ترك التقليد. . . وكان رحمه الله يقول : (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري وخذوا من حيث أخذوا). . . .

إذن فلا تناقض بين الانتساب للمذهب ونقد أخطائه لأن الله عز وجل قد أمرنا بقول الحق ولو على أنفسنا كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ . . . ﴾ [النساء :١٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ . . . ﴾ [المائدة :٨]. . . ومن الفقرة السابقة يسهل الجمع بين أقوال من يقول : إنني حنبلي مع نقده لبعض أخطاء وقع فيها بعض السنة أو الحنابلة. . . فالإسلام هو الذي يجب الانتماء إليه وهو الذي لا يجوز نقد أي جزئية فيه ، أما المذاهب فليس لها كل هذه القدسية لأنها مبنية على اجتهادات بشرية تتحرى الحق في الجملة لكنها قد تخطىء وقد تصيب ، ولسنا ملزمين إلا بما وافق النصوص الشرعية. . . »[1]. . . ويتحدث عن نقطة هامة ، عندما ينقد بعض الكتَّاب الغلوَّ في مذهب أو فرقة أو طائفة غيره ، ويغالون في تعصبُّهم لمذهبهم فيقول : (لن تكون هناك ثمرة من اتهامنا الآخرين كالخوارج بالتكفير إذا كنا نكفِّر بعض المسلمين ، ولا فائدة في اتهام المرجئة بالإرجاء إذا كنا مرجئة في بعض الجوانب ، ولا فائدة في اتهام الآخرين بالطعن في الصحابة إذا كنا نطعن في بعض الصحابة أو نسوِّغ طعن بعض الناس في بعض الصحابة ، كما لا فائدة في ذمِّنا من يغلو في الصالحين إذا كنا نغلو في أئمتنا وصالحينا. . .)[2] ، ثم يتابع أسباب نقده لمذهبه الحنبلي قائلاً : (لا زال كثير من الحنابلة المعاصرين على تكفير سائر المسلمين من الطوائف الأخرى كالشيعة والمعتزلة بلا تفريق بين المعتدلين والغلاة ، وتضليل سائر الأشاعرة والصوفية وهم معظم المنتسبين لأهل السنة والجماعة اليوم ، ولا زال بعضهم على ذمِّ بعض أئمة أهل البيت البريئين من غلوِّ الأتباع مع المبالغة في مدح ملوك بني أمية وتبرير مظالمهم)[3] .

وينسج مؤلف كتاب (قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجاً) ، كتابه حول

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٠ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ وما بعدها .

الفكرة السابقة مبيناً ما في مذهبه الحنبلي من مغالاة وشطط ، ويؤيد برهانه في آخر كتابه بأقوالٍ للعديد من علماء المذهب الحنبلي في السعودية ، مشيراً بذلك على أنه توجد نهضة مباركة في السعودية ، وأنه ليس من الإنصاف اتّهام جميع الحنابلة أو اتهام الحكم السعودي ، بل إن الأحداث والوقائع المعاصرة في السعودية تثبت أن الحكم السعودي يعاني من مغالاة بعض رجال الدين الحنابلة وتشدُّدهم ، وأنه آخذ بالوسطية ، وبدأت تنشر مقالات ومؤلفات على الرغم من تشدد مراقبي الحنابلة المتشددين تدعو للتصحيح والتغيير وقبول الآخر ، ومحاربة التبديع أو التفسيق ، وخاصة في زمن أصبح العالم كبيت واحد لا بل كغرفة واحدة ، وأصبح العصر عصر المعلومات التي بلا حدود ولا سدود ، عصر الإنترنت والمعلومات ، وأصبح هؤلاء يقوِّمون ما اعوجَّ في مذاهبهم أو طوائفهم وجماعاتهم ، إنها نهضة تبشِّر بالخير ، بعد ركود طويل ، وسكوت مديد ، وجرأة في الحق أُتيح لها في هذا العصر وبوسائله وأدواته الظهور والانتشار والذيوع ، ودليلاً على ذلك ما ينهجه الحكم السعودي في مواقفه الداعية لوحدة الصف ، والتغاضي عن الأخطاء وتجاوز الصراعات والخلافات ، والسماح للرأي الآخر العقدي أو الفقهي أن يعبر عن رأيه ومذهبه ومنهاجه ، وظهور العديد من المؤلفات التي ترصد أخطاء أقوال في المذهب الحنبلي قديماً وحديثاً في بلده وبقلم أبنائه ، إن ذلك لدليل على نهضة مباركة ستنطلق من السعودية بإذن الله ، لتلتقي مع أخواتها من هنا ومن هناك ، رافعة شعارها : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .

ولقد حضرتُ عدة مؤتمرات وملتقيات ، وقرأتُ العديد من المؤلفات كلها تتَّجه هذا الاتجاه في أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي ، وأذكر مثالاً : أننا كنا في مؤتمر التقريب وكان بعنوان وحدة الأمة ومستقبلها ، وواجبات الأمة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين ، والذي دعا إليه مجمع العلماء المسلمين في لبنان والمجمَّع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران ، وقد كانت لي كلمة بعنوان (الفقه مذاهبه وأصوله وقواعده سبيل الوحدة بين المسلمين) ، قلتُ فيها (هل هذا الضعف والتفكك الذي أصاب المسلمين في عصرنا الحالي مردُّه إلى الأعداء أو إلى اختلاف المسلمين وتفرقهم فيما بينهم ؟ وبالتحديد بين السنة والشيعة ؟ . . . لا بد أن نُرجع جميع خلافاتنا إلى فقه القرآن. . . إن الاختلاف بين المذاهب هو رحمة للناس وهو شيء طبيعي ومحمود ، أما التزمُّت وأن نجعل من المذاهب ديناً ، نتقاتل ونتحارب ونتفرق دون الرجوع إلى القرآن

وفقهه فذلك عصبية وجهالة ، وعلينا أن نعتقد أن المذاهب هي مدارس اجتهادية علمية لا نستغني عنها. . . علينا أن نعيد كتابة الفقه كتابة حديثة مقارنة. . .)[1] ، فبعد انتهائي من كلمتي ، قام إليَّ الشيخ واعظ زاده الخرساني[2] حفظه الله فعانقني وقال لي ستكون كلمتي حول كلمتك. . . وفعلاً عندما تحدث. . . قال : سأوجه كلامي إلى أبناء مذهبي إلى الشيعة ، وبدأ يضع عدة نقاط منها : التأكيد على توثيق الروايات عند الشيعة ، حيث اعتمدوا على كتاب الكليني الذي فيه اثنا عشر ألف حديث وبعد التحقيق وُجد أن ثمانية آلاف حديث موضوعة وضعيفة وقد بنيت عليها أحكام. . . فيجب علينا توثيق النصوص. . . وخاصة في موضوع عدالة الصحابة وعصمة الأئمة. . . فيجب التوثيق من صحة الروايات. . . والتأكيد على الشيعة بمراجعة كتب السيرة للنبي ﷺ والصحابة ، والتأكيد على السنة بمراجعة روايات آل البيت في الفقه والأخلاق والأدعية وكذلك إلى سيرتهم. . . لا أن يكتفي كل فريق بما عنده ، ويردّ ما عند الآخر دون استفراغ الوسع والاجتهاد والتمحيص. . . ، التأكيد من الاجتناب من العصبية ، ومن التركيز على التقوى .

وينبغي على الشيعة أن لا تحتكر على نفسها مأساة كربلاء فتجعل الآخرين كأنهم راضون بذلك فإن أحداً من المسلمين في الماضي والحاضر لا يرضى بذلك. . . التأكيد على أن الأئمة الأربعة للسنة لم يكونوا أعوان وأنصار الخلفاء في زمانهم ، فقد أصابهم الأذى من قبل هؤلاء الخلفاء وهو معروف وثابت للتاريخ ، وهذا في رأيي هو الموجب لرجوع الناس إليهم وبقاء مذاهبهم .

المطلب الثاني : المغالاة عند كل الطوائف والمذاهب

من الإنصاف والحق أن نقول : إنَّ المغالاة هي عند كل الطوائف والمذاهب ، وإذا كنا نتحدث في هذا المبحث عن الحنابلة فإننا نقصد المغالين منهم ، وحيث يوجد في كل طائفة ومذهب مغالون ، وإذا كان التركيز في هذه الصفحات عن الحنابلة أو المغالين منهم ، لأنهم أكثر الفرق السنِّية التي حوَّلت الخلاف الفقهي السياسي إلى خلاف

---

(١) انظر نص الكلمة في ملحق هذا البحث .

(٢) من كبار دعاة التقريب ورئيس مجمع التقريب بين المذاهب في طهران ودرَّس في جامعة طهران أكثر من أربعين عاماً ، وصاحب الإمام الخميني .

عقدي وإيماني[1] ، فاتهمت مخالفيها بالتبديع والتفسيق والتكفير ، وسوف أعرض فكرة عن الخلاف ونماذج من الغلو والتعصب .

فإذا نظرنا إلى بداية القرن الرابع الهجري لوجدنا انتشار التقليد والتعصب للمذاهب مع تراجع الاجتهاد حتى ظهر الجمود واضحاً . . . (فبعد أن كان مريد الفقه يشتغل أولاً بدراسة الكتاب ورواية السنة اللذين هما أساس الاستنباط ، صار في هذا الدور يتلقَّى كتب إمام معين ، ويدرس طريقته التي استنبط بها ما دونه من الأحكام فإذا أتمَّ ذلك صار من العلماء الفقهاء ، ومنهم من تعلو به همته ، فيؤلف كتاباً في أحكام إمامه إما اختصاراً لمؤلف سابق ، أو شرحاً له ، أو جمعاً لما تفرق في كتب شتى ، ولا يستجيز الواحد لنفسه أن يقول في مسألة من المسائل قولاً يخالف ما أفتى به إمامه ، كأن الحق كله نزل على لسان إمامه وقلبه ، حتى قال طليعة فقهاء الحنفية في هذا الدور ، وإمامهم غير منازع ، وهو : أبو الحسن عبيد الله الكرخي[2] : كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي : مؤولة ، أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فهو : مؤول ، أو منسوخ)[3] ، (هذا التعصب المذموم جعل جلَّ جهد أتباع المذهب الواحد تنصبُّ في :

أولاً : اختصار كلام الإمام إلى ما يشبه الألغاز وسميت هذه بالمتون .

ثانياً : شُرحت المتون وعلق عليها .

ثالثاً : وضعت حواشي لهذه الشروح ، واختلطت الأقوال بكلام لا فائدة منه .

---

(١) لا توجد كلمة عقدي وعقيدة في القرآن والسنة ، ولكن توجد كلمة الإيمان ، فكلمة عقيدة ومشتقاتها محدثة ، وحبذا لو رجعنا إلى الأصل وهو الإيمان ، والنسبة إلى عقيدة عقدي لا عقائدي .

(٢) عبيد الله بن الحسين الكرخي أبو الحسن الفقيه الحنفي المشهور من أهل كرخ سكن بغداد وحدث بها ، كان أديباً خيراً فاضلاً ، رماه أبو الحسن بن الفرات بالاعتزال ، (ت : ٣٤٥) عن ثمانين سنة وترجمته مستوفاة في تاريخ الخطيب . انظر : لسان الميزان : ابن حجر . ٩٨/٤ . والمؤتلف والمختلف : محمد بن طاهر بن القيسراني . ١١٩/١ ، تحقيق : كمال الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ .

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي : محمد الخضري بك . ص ١٩٩ وما بعدها ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١٩٩٤ .

. . . هذا التقليد أثار بين أتباع هذه المذاهب الخصومه والعداوة والتفرقة إلى حدٍّ لا يتصوره عقل ، ولا يرضى به شرع . . .)[١] .

ويتحدث الشيخ محمد رشيد رضا عن هذا التعصب ، فيقول في مقدمة كتاب المغني لابن قدامة[٢] : (ولكن المتعصبين للمذاهب أبَوْا أن يكون الاختلاف رحمة ، وشدد كلٌّ منهم في تحتيم تقليد مذهبه ، وعدم الترخيص للمنتسبين إليه في تقليد غيره ولو لحاجة أو ضرورة ، وقد وقع من الفتن بين المختلفين في الأصول وفي الفروع ما سوّد صُحُفَ التاريخ ، من ذلك أن بعض الحنفية من الأفغانيين ، سمع رجلاً يقرأ الفاتحة وهو بجانبه في الصف فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت ، وبلغني أن بعضهم كسر سبابة مُصلٍّ لرفعه إياها في التشهد ، وقد بلغ من إيذاء بعض المتعصبين لبعض في طرابلس الشام في آخر القرن الماضي أن ذهب بعض شيوخ الشافعية إلى المفتي وهو رئيس العلماء وقال له : قسِّم المساجد بيننا وبين الحنفية فإنَّ فُلاناً من فقهائهم يَعُدُّنا كأهل الذمة بما أذاع في هذه الأيام من خلافهم في تزوج الرجل الحنفي بالمرأة الشافعية ، وقول بعضهم : لا يصح ، لأنها تشك في إيمانها ، يعني أن الشافعية وغيرهم من الأشعرية يُجوّزون أن يقول المسلم : أنا مؤمن إن شاء الله ، وقول آخرين ، بل يصح نكاحها قياساً على الذمية)[٣] ، (وقد صرَّح بعض غُلاتهم في بعض كتبه الأصولية أنه لا يجوز تقليد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويجب تقليد الشافعي رحمه الله تعالى . . .)[٤] .

ومن المغالاة في المذاهب ما جاء في المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي ، حيث

---

(١) المذاهب الفقهية الإسلامية والتعصب المذهبي : محمد تاجا . ص ١٨٢ وما بعدها ، دار قتيبة ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩ .

(٢) الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ) ، فقيه من أكابر الحنابلة ، له تصانيف كثيرة من أهمها : المغني ، تعلم في دمشق ثم رحل إلى بغداد ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها . انظر : مختصر طبقات الحنابلة . ص ٥٢ . والأعلام : الزركلي . ٤/ ٦٦ .

(٣) انظر : المغني : ابن قدامة المقدسي . ١/ ١٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، تحقيق : عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

(٤) انظر : إعلام الموقعين : الكحالة . ٢/ ١٩٢ . ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

قدَّم صلاة الفرد على صلاة الجماعة إذا كان إمام الجماعة حنفياً وجعله مع الفسقة والمبتدعة ، يقول الهيثمي[1] معلقاً على نص في المقدمة الحضرمية : (والجماعة للرجال في المسجد أفضل إلا إذا كانت الجماعة في البيت أكثر ، وما كثرت جماعته أفضل إلا إذا كان إمامها حنفياً أو فاسقاً أو مبتدعاً. . . ويقول عن إمام الجماعة الحنفي بأنه ممن لا يعتقد وجوب بعض الأركان)[2] ، ويتحدث محمد عبده ، عن هذه العصبية المذهبية ، فيقول : (. . . وقد خالفنا النصوص فتفرقنا وتنازعنا وشاقَّ بعضنا بعضاً بشبهة الدين ، إذ اتخذنا مذاهب ، كل فريق يتعصَّب لمذهب ويعادي سائر إخوانه المسلمين لأجله ، زاعماً أنه ينصر الدين وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين ، هذا سنِّي يقاتل شيعياً ، وهذا شيعي ينازل إباضياً ، وهذا شافعي يُغري التتار بالحنفية ، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية ، وهؤلاء مقلِّدة الخلف يُحادّون من اتبع طريقة السلف)[3] ، هذه نماذج من الغلو والتعصب ، وحبذا أن نراجع تراثنا ، وننقِّيه من شوائبه ، ونرده إلى القرآن والسنة ، فما وافقهما عملنا به ، وما خالف تركناه ، معتبرين أن المذاهب الفقهية هي مدارس اجتهادية علمية لا نستغني عنها ، ولكن يجب أن نميز الخير من الشر ، ونستخلص منها ما يفيد واقعنا ومستقبلنا ، ويدعم وحدتنا ، ويعيد قوتنا ، على ضوء مقاصد الشريعة ، والمصالح الشرعية ، وأن نكون جريئين في قول الحق : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ . . . ﴾ [النساء : ١٣٥] ، وأن نفرق بين الاختلاف العقدي والفقهي والسياسي ، ولا نحوِّل ونوجِّه كل اختلاف في الآراء وكل اجتهاد إلى خلاف عقدي يوصل إلى التبديع والتفسيق أو التكفير والمقاتلة .

---

(١) الهيثمي (٧٣٥ ٨٠٧ هـ) : الحافظ نور الدين أبو الحسن رافق العراقي في السماع فسمع جميع ما سمعه وكان ملازماً له مبالغاً في خدمته وكان يحفظ كثيراً من متون الأحاديث ، وكان العراقي يحبه كثيراً ويرشده إلى التصنيف ويؤلف لـه الخطب للكتب جمع زوائد مسند أحمد على الكتب الستة ثم مسند البزار ثم أبي يعلى ثم معجم الطبراني الكبير ثم الأوسط والصغير ثم جمع هذه الستة في كتاب محذوفة الأسانيد وتكلم على كل حديث عقبه وله زوائد الحلية وزوائد صحيح ابن حبان على الصحيحين وغير ذلك . قال الحافظ ابن حجر كان خيراً ساكناً صيناً سليم الفطرة شديد الإنكار للمنكر لا يترك قيام الليل . انظر : طبقات الحفاظ : السيوطي . ١/ ٥٤٥ .

(٢) المنهاج القويم : شهاب الدين الهيثمي . ص ٢٢٦ ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط٣ ، ١٩٨٧ .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا . ٢/ ٢٥٧ـ٢٥٩ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ .

المطلب الثالث : بعض الحنابلة[1] والتكفير

المذاهب الفقهية هي مذاهب اجتهادية ، ولكن حاول بعض الحنابلة أن يجعلوها صراعات عقدية ، وكذلك بعض المتزمِّتين من المذاهب الأخرى ، وصارت كل جماعة تُخرج غيرها عن الإسلام ، وتتَّهمها بالتبديع والتفسيق أو الكفر والردة .

وخالف أكثر الحنابلة جمهور أهل السنة والجماعة في موضوع صفات الله ، فأخذوا بالتجسيم والتشبيه ، وتشبيه الله بخلقه ، وفكرة التجسيم والتشبيه فكرة متقدمة على الحنابلة زمنياً وموجودة في كتب اليهود والنصارى ، (فالحنابلة في التجسيم والتشبيه مقلِّدون في ذلك وليسوا مبتدئين فيه ، مع العلم أنهم لم يذهبوا جميعهم إلى التجسيم فقد ظهر فيهم من أنكر عليهم ذلك كابن الجوزي[2] وابن عقيل[3] وغيرهم ، كما يرجع خصوم الحنابلة انحراف كثير من الحنابلة عن أهل البيت وحبهم المبالغ فيه لمعاوية[4] ويزيد بن معاوية[5] ، إلى نواصب البصرة والشام وأن أحمد نفسه كان بريئاً من ذلك ، وإنما انتشر

---

(١) الحنابلة نسبة للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) الذي كان من كبار المحدثين والفقهاء في عصره على ما اشتهر به من الزهد والورع وتجنُّب السلاطين والعكوف على العلم مع ضيق ذات اليد رضي الله عنه .

(٢) ابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) : هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقيه حنبلي كان علاَّمة عصره في الحديث وصناعة الوعظ ، مولده ووفاته ببغداد ، لـه كتب كثيرة منها : المنتظم في التاريخ . انظر : وفيات الأعيان : ابن خلكان . ٣/ ١٤٠ . والبداية والنهاية : ابن كثير . ١٣/ ٣١ .

(٣) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (٤٣١ ـ ٥١٣ هـ) : أبو الوفاء ، يعرف بابن عقيل ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته . قوي الحجة ، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته . كان يعظم الحلاج ، له تصانيف أعظمها : « الفرق » و« الفصول » في فقه الحنابلة ، و« الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف » و« الصوت في كلام الكبير المتعال » . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ص ٤١٣ . والأعلام : الزركلي . ٤/ ٣١٣ .

(٤) معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ) :صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح ، من الكتبة الحسبة الفصحاء حليماً وقوراً ، صحب النبي ﷺ وكتب لـه ، ولاَّه عمر الشام بعد أخيه يزيد ، فلم يبايع علياً ثم حاربه واستقلَّ بالشام ، اجتمع عليه الناس عام الجماعة . انظر : الإصابة : ابن حجر . ٦/ ١٥١ .

(٥) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ ـ ٦٤ هـ = ٦٤٥ ـ ٦٨٣ م) : ثاني ملوك الدولة الأموية ،نشأ بدمشق . ولي الخلافة بعد وفاة أبيه ، في أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد=

ذلك في أتباعه وتواطؤوا عليه بعد ذلك ردّاً على الشيعة والمعتزلة الذين يطعنون في أحمد بن حنبل ويتهمونه بالجهل والسذاجة)[١] .

ولقد ملئت كتب الحنابلة بالتكفير والتبديع والتضليل والتفسيق والشتم واللعن ، فلو قرأنا في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل[٢] (ت ٢٩٠هـ) ، لوجدنا أنه يسوق جملة اتهامات وشتائم خصوم أبي حنيفة والتي تصفه بأنه : (كافر ، زنديق ، مات جهمياً . .)[٣] ، ولا يترك وصفاً ذميماً ولا كلمة بذيئة إلا لصقها بأبي حنيفة . . . ولم يسلم من غلاة الحنابلة الشيعةُ والمعتزلةُ والصوفيةُ والأشاعرةُ والقدَريةُ والمرجئةُ والجهميةُ وغيرهم ، فقد نسبوا التكفير للخصوم لأحمد بن حنبل في كتبهم كقوله : (من زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي ومن لم يكفِّر هؤلاء القوم كلهم فهو مثلهم)[٤] . ومعلوم أن المعتزلة كلهم يقولون بخلق القرآن ، وآخرون قالوا القرآن كلام الله واللفظ مخلوق . . . وآخرون تركوا الجدل في هذه المسألة ، كالأشاعرة وجمهور أهل السنة من الشافعية والمالكية والأحناف . . . فهل كل المسلمين كفَّار ؟ .

وهناك عشرات النصوص عند أحمد بن حنبل وتلامذته بتكفير المسلمين وأنهم خالدون

= الحسين سنة ٦١ هـ . وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة ، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة ، وقتل فيها كثيراً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين . وفي زمنه فتح المغرب الأقصى على يد عقبة بن نافع ، وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم . ولابن تيمية سؤال في يزيد بن معاوية رسالة نشرها المنجد ، ولمحمد بن علي بن طولون قيد الشريد من أخبار يزيد . انظر : الأعلام : الزركلي . ٨/ ١٨٩ .

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ٩٩ .

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٢١٠ ٢٩٠ هـ) : أبو عبد الرحمن الحافظ حدَّث عن أبيه بالمسند وغيره وحدَّث عن جماعة يزيدون على الأربعمائة ، قال ابن المنادي : لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه ، سمع المسند وهو ثلاثون ألفاً والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفاً . انظر : التقييد : محمد بن عبد الغني البغدادي . ١/ ٣١٠ ، تحقيق : كمال الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

(٣) كتاب السنة : عبد الله بن أحمد بن حنبل . ١/ ١٨٤ـ٢١٠ ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

(٤) طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/ ٢٩ .

في النار الذين يقولون بأن لفظ القرآن مخلوق ، وهذا رأي غالب المسلمين إلا الحنابلة ، بل نُقل عن الإمام أحمد استحلال دم من يقول بخلق القرآن[1] ، واعتباره كافراً لا يُعاد في مرضه[2] ولا تشهد جنازته ولا تؤكل ذبيحته ، ولا يُناكح ، ولا يجوز قضاؤه[3] ، وملئت كتب الحنابلة بالعشرات بمثل ذلك ، بل نرى في كتاب الحسن البربهاري[4] إمام الحنابلة في عصره (ت٣٢٩هـ) ، في كتابه (شرح السنة) طبعة دار الغرباء الأثرية ، شيئاً لا يقره عقل ولا شرع ، فيقول مادحاً كتابه وآراءه : (فإن من استحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب فإنه ليس يدين لله بدين ، وقد رد كله ، وشبه كتابه الجامع للبدع والأحاديث الموضوعة والأقوال الباطلة بالقرآن الكريم عندما قال : (كما لو أن عبداً آمن بجميع ما قال الله إلا أنه شك في حرف من كتابه فقد ردَّ جميع ما قال الله وهو كافر . . .)[5] .

ولا يخلو كتاب لأئمة الحنابلة من تكفير المسلمين المخالفين لآرائهم ، حتى ابن تيمية وهو الذي تاب من تكفير المسلمين من الفرق المخالفة كما نقل الذهبي ، نجد في كتبه الكثير من تكفيره لسائر المتكلمين من المسلمين وسائر المخالفين له في الرأي من الفرق الإسلامية ، حتى أن تلميذه ابن القيم[6] في فصل نونيته يذكر (فصل في بيان أن المعطل مشرك ، ويقصد بهم الفلاسفة والمعتزلة والأشعرية والقرامطة والصوفية)[7] ، وسائر المسلمين غير الحنابلة يؤولون الصفات التي يسميها ابن القيم التعطيل . . . .

---

(١) المصدر السابق . ١/ ١٥٦ .
(٢) المصدر السابق . ١/ ١٥٧ .
(٣) المصدر السابق . ١/ ٣٤٣ .
(٤) البربهاري (ت ٣٢٩هـ) : الحسن بن علي بن خلف أبو محمد ، البربهاري شيخ الطائفة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان وكان لـه صيتٌ ثم السلطان وقَدَمٌ ثم الأصحاب وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين ، صحب جماعة من أصحاب إمامنا أحمد منهم المروذي وصحب سهل التستري ، وأهم كتبه : شرح السنة . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ٢/ ٤٤ . والأعلام : الزركلي . ٢/ ٢٠١ .
(٥) شرح السنة : الحسن بن خلف البربهاري . ص ١٠٩ ، دار الغرباء الأثرية .
(٦) ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) : هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مفسر برع في علوم الشريعة والعربية ، عالم بالحديث ، توفي رحمه الله بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد أن صُلي عليه بالجامع الأموي . انظر : معجم المؤلفين : الكحالة . ٣/ ١٦٤ .
(٧) شرح نونية ابن القيم . ١٠/ ٢٧ .

وكانت هناك ردة فعل من خصوم الحنابلة واتبعوا الأسلوب نفسه ، فكفَّروا ابن تيمية وابن القيم ، كما فعل السُّبكي[1] في كتابه السيف الصقيل[2] . . . وهكذا استمرت المعركة إلى اليوم ، (ولو أنصف كل فريق ولم يقدس علماء مذهبه ، ورضوا بالرجوع لكتاب الله عز وجل وسنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحيحة دون تنطُّع ولا حب للغلبة بالباطل لارتفع كثير من الخلاف مع وجوب أن يترحم بعضهم على بعض ، ويعرف بعضهم لبعض حق الإسلام)[3] .

« وقد كان الأشاعرة والحنابلة متفقين على ذم المعتزلة وظلمهم وتكفيرهم فعاقب الله هاتين الطائفتين فكفَّرت السلفية الأشاعرة ، وأسموهم مخانيث المعتزلة ، وكفَّرت الأشاعرة السلفية وأسموهم فروخ اليهود والصابئة ، وهذا كله نتيجة للمنهج (الظلمي) الموجودة في كتب عقائد الفرقتين ، فهذا المنهج الظلمي كالنار (تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله) ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل افترقت السلفية إلى فرق قرأنا كتبهم في تكفير وتبديع بعضهم بعضاً مع ترديد كل طرف للعبارة المشهورة (اليهود والنصارى) أخف ضرراً من هؤلاء ، وهذه العبارة الظالمة كنا نقولها في الفرق الأخرى فلما تواطأنا على هذا الظلم عاقبنا الله حتى أصبحنا نرددها في بعضنا !! وأذاق الله بعضنا بأس بعض لسكوتنا عن الظلم الأول وتبريره والدعوة إليه »[4] .

المطلب الرابع : التجسيم في كتب الحنابلة

التجسيم هو تشبيه الله بالإنسان ، وهو من الإسرائيليات المأخوذة من اليهود والنصارى ، وسائر المسلمين غير الحنابلة يعتقدون أن الله ليس كمثله شيء ، ويؤوِّلون

---

(١) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي (٦٨٣ـ٧٥٦ هـ) : أبو الحسن ، تقي الدين ، شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين ، واستوفى ابنه تاج الدين أسماء كتبه ، وأورد ما قاله العلماء في وصف أخلاقه وسعة علمه ، من كتبه : الدر النظيم ، والتمهيد فيما يجب فيه التحديد ، والمسائل الحلبية وأجوبتها في فقه الشافعية ، ومجموعة فتاوى ، وشفاء السقام في زيارة خير الأنام وغيرها . انظر : طبقات الشافعية : السبكي . ٦ /١٤٦ ـ ٢٢٦ . الأعلام : الزركلي .٤/ ٣٠٢ .

(٢) السيف الصقيل كتاب في الرد على قصيدة نونية تسمى الكافية في الاعتقاد ، منسوبة إلى ابن القيم .

(٣) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١١٩ .

(٤) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٢١ .

الصفات ، فمثلاً يد الله يؤوّلونها بقوة الله ، والرحمن على العرش استوى ، بمعنى الرحمة على العرش استوت ، أو استوى بمعنى استولى وهكذا. . . بينما الكثير من الحنابلة غير هذا : فمثلاً : يروي عبد الله بن أحمد بإسناده إلى النبي ﷺ : (أن الله يجلس على الكرسي فما يفضل (من الكرسي) إلا قيد أربع أصابع وأن له أطيطاً كأطيط الرجل إذا ركب)[1] ، ويروون حديثاً أن (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر) ، و(كتب الله التوراة لموسى بيده وهو مسند ظهره إلى الصخرة في ألواح در فسمع صريف القلم ، ليس بينه وبينه إلا الحجاب) (وأن النبي ﷺ رأى ربه على كرسي من ذهب تحمله أربعة ملائكة ، ملك في صورة رجل وملك في صورة أسد وملك في صورة ثور وملك في صورة نسر في روضة خضراء دونه فراش من ذهب) (أن الله وضع يده على كتفي النبي ﷺ حتى وجد بردها على قلبه. . .) (وأنه خلق آدم على صورته) . (وأن الكرسي كالنعل في قدمه)[2] ، (وأن الله يطوف في الأرض)[3] ، وأن الله عندما انتهى من الخلق (استلقى ووضع رجلاً على رجل)[4] (وأن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلّق الخيل فأجراها حتى عرقت ثم خلق نفسه من ذلك العرق)[5] ، (وأن النبي ﷺ يقعد مع الله على العرش)[6]. . . وعشرات بل مئات مثل هذه الافتراءات على الله ، ومن أجل مذهبهم ضعَّف الحنابلة ثقات المخالفين ، ووثقوا ضعفاء الموافقين ، ومن ذلك : « تضعيف ثقات الشيعة وخاصة فيما يروونه في فضائل علي ، تضعيف سائر المخالفين من العلماء كعلماء المرجئة والقدرية والمعتزلة ، تضعيف القائلين بخلق القرآن أو المتوقفين ،

---

(١) كتاب السنة : عبد الله بن أحمد . ١/ ٣٠٥ . والحديث روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ : أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال : فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : إن عرشه فوق سبع سموات وإن له لأطيطاً كأطيط الرجل الحديد إذا ركب من ثقله . والمعنى : أنه يسمع للعرش أطيط كأطيط الرجل إذا ركب ، ويحتمل تأويلاً آخر أيضاً : وهو أن يقول معناه أطيط الملائكة وضجتهم بالتسبيح حول العرش والمراد به الطائفون به وهذا شائع . انظر : السنة : ابن أبي عاصم . ١/ ٢٥٢ . وعون المعبود : الآبادي . ١٣ / ١٣

(٢) المصدر السابق ، ٢/ ٤٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/ ٤٨٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء : الذهبي . ٢١/ ١٦٠ .

(٥) المصدر السابق ، ١٨/ ١٧ .

(٦) طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ٢/ ٤٣ .

تضعيف من يتوهمون فيه أدنى مخالفة حتى وصل تضعيفهم للبخاري[1] ومسلم[2] ، والكرابيسي[3] وأبي حنيفة. . . الخ . تضعيف الكبار من أئمة الأشاعرة كالبيهقي[4]. . . بل إن بعض أئمتهم كانوا يُضعِّفون الأحاديثَ ويغيِّرون في الأسانيد والمتون لخدمة المذهب ، كما كان يفعل ابن بطة الحنبلي[5] وهو من كبار علماء الحنابلة في العقيدة ، قال ابن حجر[6] : (وقفت لابن بطة على أمر استعظمته واقشعرَّ جلدي) ثم ذكر أثراً موضوعاً عن ابن مسعود وهو أثر تكليم الله لموسى وعليه جبة صوف وعمامة صوف. . .

---

(١) البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦ هـ) : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث ، من تصانيفه : الجامع الصحيح ، التاريخ الكبير ، الأدب المفرد . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/ ٢٧١ . والأعلام : الزركلي . ٦/ ٣٤ .

(٢) الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) : هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري الحافظ من أئمة المحدثين صاحب صحيح مسلم ، روى عن يحيى بن يحيى النيسابوري ، روى عنه الترمذي . انظر : طبقات علماء الحديث : محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي . ٢/ ٢٨٦ برقم ٥٨٢ ، تحقيق : أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

(٣) الكرابيسي (١٠٧ـ ١٦٥هـ) : يقال أنه لم يكن أحد بعد شعبة أعلم بالرجال منه ، فهو عالم بالحديث والرجال ، سجن وعذِّب فذهب بصره ، وكان ثقة حجة يملي من حفظه ، وهو في الفقه والعلم نظير حماد بن زيد . انظر : تذكرة الحفاظ : الذهبي . ١/ ٢٣٥ .

(٤) البيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨ هـ) : الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان صاحب التصانيف ، عمل كتباً لم يسبق إلى تحريرها منها الأسماء والصفات والسنن الكبير والسنن والآثار وشعب الإيمان ودلائل النبوة والسنن الصغير وكتب عديدة ، كان على سيرة العلماء قانعاً باليسير متجملاً في زهده وورعه ، شافعي المذهب ، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث . انظر : تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٣/ ١١٣٢ .

(٥) ابن بطة (ت ٣٨٧ هـ) : عبيد الله ، أبو عبد الله العكبري ، وهو من كبار أئمة الحنابلة وله كتاب مطبوع ، سافر كثيراً إلى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك من البلاد ، لازم بيته أربعين سنة فلم ير في سوق ولا رئي مفطراً إلا في يوم الفطر والأضاحي وأيام التشريق ، كان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ٢/ ١٤٤ .

(٦) ابن حجر (٧٧٣ـ ٨٥٢هـ) : شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه وحافظ الديار المصرية ، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي ، أديبٌ محدثٌ ، برع في الحديث وتقدم في جميع فنونه وصنَّف الكثير من التصانيف كشرح البخاري وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة في تمييز الصحابة وأشياء كثيرة جداً تزيد على المائة . انظر : طبقات الحفاظ : ابن أبي يعلى . ١/ ٥٥٢ .

ثم ذكر ما يدل على أن ابن بطة غيَّر في أسماء رجال القصة حتى يكون إسنادها صحيحاً ، وكان كثير من الحنابلة يكذبون على أحمد بن حنبل ويسيؤون لمنهجه وسمعته ، ولذلك قال أحد العلماء : إماماں جليلان ابتُليا بأصحاب السوء ، جعفر الصادق[١] وأحمد بن حنبل »[٢] .

المطلب الخامس : التناقض في كتب بعض الحنابلة

« التناقض سمة رئيسية من سمات كتب العقائد فتجد الشيء وضده ، فتجدهم يأمرون بالاهتمام بالقرآن والسنة ووجوب اتّباع الأثر ، ثم يتركون الآيات الصريحة والأحاديث المتفق عليها إلى موضوعات وأكاذيب وإسرائيليات لا تصحُّ سنداً ولا متناً ، وتجدهم يحذِّرون من الغلو مع غلوهم في التكفير وغلوهم في الثناء على علمائهم ، . . . وتراهم يأمرون بالوقوف عند حدود النصوص الشرعية وعدم الزيادة عليها بينما هم يزيدون كثيراً من العقائد ليست في الكتاب والسنة ، وتراهم يعظمون تكفير المسلم ، وأنه من عقائد الخوارج ، وأنه لا يجوز ، وهذا الورع عن التكفير إنما هو عند ضعفهم ، فإذا قووا لا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمة .

وتراهم يتشددون في نقد وتضعيف الرجال الذين لا يوافقونهم في شواذ العقائد حتى وصل ذمهم للبخاري ومسلم ويحيى بن معين[٣] وعلي بن المديني[٤] والكرابيسي وابن

---

(١) جعفر بن محمد (٨٠ـ ١٤٨هـ) : ابن علي بن الشهيد أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الإمام الصادق ، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني أحد الأعلام ، رأى بعض الصحابة منهم : أنس بن مالك . حدَّث عن أبيه أبي جعفر الباقر وعطاء بن أبي رباح وروايته عنه في مسلم وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه . حدَّثَ عنه ابنه موسى الكاظم وأبو حنيفة ومالك ثقة صدوق حدَّث عنه الأئمة . لم يخرِّج لـه البخاري . انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي . ٦/ ٢٥٥ .

(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص١٣٣ .

(٣) يحيى بن معين (١٥٧ـ ٢٣٣ هـ) : قال أحمد بن عقبة سألت يحيى بن معين كم كتبت من الحديث يا أبا زكريا قال كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/ ٤٠٢ .

(٤) ابن المديني (١٩١ـ ٢٧٤ هـ) : علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني أبو الحسن الحافظ نزيل دمشق ، حدث عن أحمد بن حنبل ، قال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة أبي بكر بن أبي شيبة أسردهم لـه وأحمد بن حنبل أفقههم فيه وعلي بن المديني أعلمهم به ويحيى بن معين أكتبهم لـه . انظر : طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/ ٢٢٥ .

جعد[1] وأبي حنيفة والحنفية فضلاً عن تضعيف سائر الشيعة متمسكين بعبارة نقلوها عن الشافعي في تكذيب الخطابية من الروافض (لأنهم يستحلّون الكذب) فجعلها هؤلاء في كل الشيعة ثقاتهم وضعفائهم ، بينما يبالغون في توثيق أتباعهم ولو كانوا ضعفاء أو خفيفي الضبط كما فعلوا في توثيق ابن بطة مثلاً. . . يذمُّون الشيعة لأنهم ينقِّصون أصحاب النبي ﷺ بينما لا يذمُّون النواصب ولا يذكرونهم بسوء ، مع أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب ويذمونه ويرمونه بكل طامّة. . . ، عندما ينتقدون من يسبُّ الصحابة لا يريدون في الأغلب العام ، الدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، وإنما جل اهتمامهم في الدفاع عن الطلقاء وخاصة معاوية ، فسبُّ معاوية عندهم أعظم من سب علي بن أبي طالب ، ولذلك تراهم يتشددون على من ينقد معاوية مثل تشددهم على ابن عبد البر[2] والنسائي[3] والحاكم[4] ، بينما يمدحون من في كلامه انتقاص من قدر علي بن أبي طالب كابن تيمية وأبي بكر بن أبي داود[5] والبربهاري. . .

---

(١) علي بن جعد (١٣٤ـ ٢٣٠ هـ) : الإمام الحافظ الحجة ، سمع من شعبة وابن أبي ذئب ومالك بن أنس وعلي بن علي الرفاعي حدَّث عنه البخاري وأبو داود ويحيى بن معين وخلف بن سالم وأحمد بن حنبل وهو ثقة صدوق . انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي . ١/ ٤٥٩ .

(٢) ابن عبد البر (٣٦٨ـ ٤٦٣ هـ) : الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. . وله كتاب الاستذكار وتواليف منها : الكافي على مذهب مالك والاستيعاب في الصحابة والانتقاء لمذاهب الثلاثة العلماء مالك وأبي حنيفة والشافعي وغير ذلك . كان ديِّناً صيناً ثقة حجة صاحب سنة واتباع ، فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال . انظر : تذكرة الحفاظ : الذهبي ٣/ ١١٢٨ .

(٣) النسائي (ت ٣٠٣ هـ) : القاضي الحافظ صاحب كتاب السنن سمع من خلائق لا يُحصَون ، وقال الحاكم : كان النسائي أفقه مشايخ مصر في الأعلام وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال ، وقال الذهبي : هو أحفظ من مسلم بن الحجاج وتوفي بفلسطين . انظر طبقات الحفاظ : السيوطي . ١/ ٣٠٧ . تهذيب التهذيب : ابن حجر . ١/ ٣٢ .

(٤) الحاكم (٣٢١ـ ٤٠٥ هـ) : الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ، سمع من ألفي شيخ ، حدَّث عنه الدارقطني وابن أبي الفوارس والبيهقي والخليلي وخلائق .كان صالحاً ثقة يميل إلى التشيُّع . انظر : تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٣/ ١٠٤٢ .

(٥) أبو بكر بن أبي داود السجستاني (٢٣٠ـ ٣١٦ هـ) : عبد الله بن سليمان بن الأشعث الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد صاحب التصانيف، كان من بحور العلم، فقيها عالماً حافظاً ، صنَّف المسند والسنن والتفسير والقراءات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي. ١٣/ ٢٢١ .

وتراهم يذمون رجلاً مثل أبي حنيفة لزعمهم أنه لم يُؤتَ الرفق في دينه ، ثم يكفِّرونه ، وهذا أبلغ في البعد عن الرفق ، وتراهم يذمُّون المنطق ، وينكرون المجاز ، مع وجود هذا وهذا في كلامهم وحججهم ، وتراهم يذمُّون الخوارج لأنهم يقتلون المسلمين ويكفِّرونهم ، بينما هم يُفتون بقتل خصومهم وتكفيرهم كالخوارج تماماً. . . انظر على سبيل المثال : الآثار عند عبد الله بن أحمد ، (٥٢٨ ، ٥٣١)(١/ ١١٨ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٧ . . . وغير ذلك .

لكني أقول في الخلاصة هنا : إنني لم أجد غُلاة الحنابلة ينهَون عن شيء إلا ارتكبوه عندما يريدون ، ولم يأمروا بأمر إلا خالفوه عندما يريدون ذلك ، وهذه مصيبة عامة لا تكاد تنجو منها فرقة من فرق المسلمين للأسف لكنها في غلاة الحنابلة تبدو أكثر وضوحاً من الأشاعرة والمعتزلة على الأقل. . . »[1] .

المطلب السادس : عدم فهم حجة الآخر وظلم الآخرين

ومن صفات بعض الحنابلة أنهم لا يريدون فهم حجة الآخر ، ولقد بيَّن لهم أبو الحسن الأشعري[2] في رسالته (في استحسان الخوض في علم الكلام) يرد على الحنابلة ، ويفنِّد مزاعمهم ، ويثبت لهم من جملة ما أثبت أنه لم يصحَّ عن النبي ﷺ حديث في أن القرآن غير مخلوق أو مخلوق (. . . ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديث صحيح في نفي خلقه وتكفير من قال بخلقه ؟)[3] وعُرف عن الحنابلة بأنَّهم يظلمون مخالفيهم ، فمن أقوالهم : « (المرجئة مثل الصابئين)[4] (المرجئة يهود)[5] ، (الرافضة أكفر من اليهود والنصارى) ، (المعطِّلة أكفر من المشركين) ، (المرجئة والقَدَرية ليس لهما نصيب في الإسلام) ، (الحنفية كاللصوص) ، (وَصَمَ المتأوِّلين

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص١٣٥ـ١٣٦ .

(٢) الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) : علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري أبو الحسن ، مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، له مصنفات كثيرة منها : مقالات الإسلاميين ، ومقالات الملحدين وغيره . انظر : كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري : ابن عساكر . ص٥ . وطبقات الشافعية : السبكي . ٢/ ٢٤٥ .

(٣) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٣٧ وما بعدها .

(٤) السنة : البربهاري . ٦١٦ـ ٦٦٢ .

(٥) المصدر السابق . ٦٦١ـ ٧٢٣ .

للنصوص كالأشاعرة وغيرهم بالملحدين !! ومخانيث المعتزلة) ، (الجهمية كفار) (القدرية كفار) (الرافضة كفار) (القدرية مجوس)[1] ، إنكارهم لفضائل المخالفين بأنهم لا يعرفونهم بطلب العلم ولا بضبط الرواية ولا صلاح السيرة ولا تجنب الكبائر ويريدون إبطال الشريعة ، والمعطلة يريدون نفي وجود الإله الخ . . . »[2] .

المطلب السابع : العنف عند بعض الحنابلة

« اتخذ الحنابلة العنف الفعلي بعد عنف الأقوال وسيلة لفرض العقائد وإرهاب المخالفين لهم من المسلمين ، كما في محاصرتهم لابن جرير الطبري[3] المؤرخ والمفسر المشهور حتى دفن في بيته ، وادَّعوا عليه الرفض والإلحاد وكان علي بن عيسى[4] يقول : والله لو سئلوا عن الرفض والإلحاد لما عرفوه . . .

(راجع مسكويه في كتابه تجارب الأمم[5]) وذكر ابن الأثير في تاريخه ، أن الحنابلة شهدوا على كثير من الناس بالفاحشة سنة ٣٢٣هـ أيام البربهاري ، وكانوا يستعينون بالعميان في ضرب المخالفين لهم في المساجد ، وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٧هـ : أنهم سَمُّوا الفقيه البوري الشافعي فأصابه إسهال إلى أن مات من حلوى أعطاه

---

(١) السنة : عبد الله بن أحمد ، الآثار . ١/١٦٦ .

(٢) انظر : قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي ، ص١٤٣ وما بعدها .

(٣) الطبري (ت٣١٠ هـ) : محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري ، صاحب التفسير والتاريخ ، كان عارفاً بالقراءات وأيام الناس وأخبارهم ، فقيهاً أخذ عن سليمان بن عبد الرحمن ، وأخذ عنه الداجوني . انظر : طبقات القراء : ابن الجزري . ٢/١٠٦ ؛ تفسيره . ١/١٣٩ .

(٤) أبو الحسن الرماني (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، باحث معتزلي مفسر . من كبار النحاة ، مولده ووفاته ببغداد . له نحو مئة مصنف ، منها : الأكوان والمعلوم والمجهول والأسماء والصفات وصنعة الاستدلال في الاعتزال ، وشرح أصول ابن السراج وشرح سيبويه ومعاني الحروف رسالة صغيرة ، لعلها المسماة منازل الحروف والنكت في إعجاز القرآن . انظر : بغية الوعاة : السيوطي . ص٣٤٤ ، تحقيق محمد إبراهيم ، د . ن . ، مصر ، ١٩٦٤م . والأعلام : الزركلي . ٤/ ٣١٧ .

(٥) واسمه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم في التاريخ لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وهو كتاب عظيم النفع ، ذيَّله أبو شجاع محمد بن الحسين وزير المستظهر المتوفى سنة ٤٨٨هـ ، ومحمد بن عبد الملك الهمداني . انظر : كشف الظنون : كاتب جلبي . ١/ ٣٤٤ ، المكتبة الفيصلية ، دار الفكر ، مكة المكرمة ، د . ت .

إياها الحنابلة وكان يذمهم ، وكذلك مات أبو بكر بن فورك مسموماً من الكرامية ، وكان بينهم وبين الحنابلة علاقة كبيرة ، عام ٥٤٦هـ »(١) وكثيراً ما يستعمل الحنابلة قولهم : من شك في هذا فهو كافر ، وهم بسهولة يكفرون خصومهم .

المطلب الثامن : الافتراء على الخصوم عند بعض الحنابلة

« مثل زعمهم أن جهم بن صفوان كان يريد أن يمحو آية (الرحمن على العرش استوى)(٢) ، ويزعمون بأنه يصلي على عيسى ولا يصلي على النبي ﷺ ، وأنه ذم النبي ﷺ(٣) ، وأنه يحل المسكر(٤) ، وقولهم أن بشر المريسي وأصحابه لا يدرون ما يعبدون(٥) ، وقولهم : إنما أراد بشر المريسي وأصحابه أن يقولوا ليس في السماء شيء(٦) ، وزعمهم أن من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنماً(٧) ، وأنه قد قال على الله مالم تقله اليهود والنصارى(٨) ، وقد عنون عبد الله بن أحمد عنواناً في كتابه (باب من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام)(٩) ، وغير هذا مما لا يمكنني حصره ، ولم أشأ أن أتتبعه ، وزعموا أن أبا حنيفة يزعم أن النبي ﷺ لو أدركه لأخذ بكثير من قوله ، ولم يكتفوا بالافتراء على البشر حتى افتروا على الجن والهواتف ، . . . ومن أمثلة هذه الأساطير هنا ما رووه عن أنهم سمعوا هاتفاً يلعن بشر المريسي وثمامة بن أشرس(١٠) »(١١) .

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٤٥ .
(٢) السنة : لعبد الله بن أحمد الآثار . ١/ ١٦٧ .
(٣) المصدر السابق . ١/ ١٧٠ .
(٤) المصدر السابق . ١/ ٢٠٧ .
(٥) المصدر السابق . ١/ ١١٦ .
(٦) المصدر السابق . ١/ ١١٨ .
(٧) المصدر السابق . ١/ ١٢٧ .
(٨) المصدر السابق . ١/ ١٧٢ .
(٩) المصدر السابق . ١/ ٢٠٦ .
(١٠) السنة : لعبد الله بن أحمد الآثار . ١/ ١٦٩ .
(١١) النص نقلته من كتاب قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٤٦ـ١٤٧ .

المطلب التاسع : الكيل بمكيالين عند بعضهم

فنجد سكوتهم عن الإنكار على بعضهم وانشغالهم بذم الآخرين ؛ فلم يتركوا معتدلاً إلا ذموه ونالوا منه ، فنقدوا من المتقدمين الغزالي والأشعري والبيهقي ومن المعاصرين القرضاوي والغزالي والزرقا والطنطاوي والكبيسي والبوطي ، بينما لا يتحدثون عن أخطائهم ومرد ذلك إلى سببين : الأول : ظنهم بأنهم أفضل من غيرهم والثاني : ناقدهم يعيش في جو غير آمن فيفضل العيش والاسترزاق بذم صغائر الأمور وترك كبائرها . . . فالغزالي خالف في كذا ، وابن حزم[1] جهمي في الصفات ، والبيهقي لا يعتمد قوله في النقل . . . وعليكم بكتب الدارمي وعبد الله بن أحمد والبربهاري وابن بطه و . . . فهي تمثل العقيدة الصحيحة . . . فالناقد الحنبلي يخاف أن يجهر بالحق خوفاً من أن يتهم من أقرانه بالبدعة والضلالة ، أو يخسر منصباً ومكانة ، أو قد لا يريد أن يعرف الحقيقة فزين لهم الشيطان سوء عمله فرآه حسناً[2] .

المطلب العاشر : الغلو في شيوخهم وأئمتهم عند بعضهم

« الغلو ننكره على الصوفية إذا مدحوا الأولياء وننكره على الشيعة عندما يغلون في أئمتهم الذين يدعون فيهم العصمة ، وننكره على الأشاعرة عندما يبالغون في مدح أبي الحسن الأشعري ، وهذا ذم الغلو كله حق إذا خلا من الإلزامات الباطلة ، فلو أننا نلتزم بهذا ولا نغلو في علمائنا لكنا مكتملين في هذه المسألة لكننا لا ننكره عندما نقرأ لأحدهم مدحاً بغلو في أحمد أو في ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهم . . . ومن أبرز أمثلة الغلو عند الحنابلة غلوهم في الإمام أحمد نفسه ، فقد رووا فيه من الآثار والأعاجيب ما يشبه غلو الشيعة في جعفر الصادق رضي الله عنهما ومن ذلك : قول الحنابلة في أحمد : (من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر)[3] ، ونسبوا ذلك إلى الشافعي ولا يصح ،

---

(١) ابن حزم (٣٨٤ ٤٥٦ هـ) : علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد الظاهري ، ولد في قرطبة وكان شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري ، وكان حافظاً فقيهاً ، توفي في بادية لبلبه من بلاد الأندلس . انظر : وفيات الأعيان : ابن خلكان . ٣٠/ ٣٢٥ . والأعلام : الزركلي . ٤/ ٢٥٤ .

(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي (بتصرف) . ص ١٤٩ .

(٣) طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/ ١٣ .

وزعموا أن الإمام أحمد يعرف المسلم من الزنديق[1] ، وأن الخضر أثنى عليه وكذلك النبي موسى عليه السلام[2] ، وأن نظرة من أحمد خير من عبادة سنة[3] ، وأن الله عز وجل يزوره في قبره كل عام[4] ، وأن قبره من ضمن أربعة قبور يدفعون عن بغداد جميع البلايا[5] ، وأن التبرُّك بقبر أحمد مشروع[6] ، وأنه غضب على منكر ونكير لما سألاه في القبر وقال لهما : لمثلي يُقال : من ربك ؟ فاعتذرا له[7] ، وأن الجن نعت أحمد قبل موته بأربعين صباحاً[8] ، وأن الله يباهي به الملائكة[9] ، وأن أحد الحنابلة سأل في المنام عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فأجابه المسؤول : بأنهما قد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد[10] ، وأن أحد الحنابلة رأى الله في المنام فقال له الله : من خالف أحمد بن حنبل عُذب[11] ، وأن الله أمر أهل السماوات وجميع الشهداء أن يحضروا جنازة أحمد[12] ، وأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل[13] ، وأن زبيدة (صاحبة العين) رآها أحدهم في الجنة وسألها عن أحمد فأخبرته أنه فارقها وهو يطير في درة بيضاء يريد زيارة الله عز وجل[14] ، وأن من كانت به ضائقة وزار قبر أحمد يوم الأربعاء ودعا رزقه الله السعة[15] ، وأنَّ كل من دفن في

---

(١) مناقب أحمد : ص٥٩٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٥٥٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
(٦) طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ١/٣٨٨ ، ٢/٦٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ومناقب أحمد : ص١٩١ .
(٧) مناقب أحمد : ص ٥٤٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ٥١٣ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٥٥٧ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٥٦٢ .
(١١) المصدر السابق ، ص ٥٦٣ .
(١٢) مناقب أحمد : ص ٥٦٣ .
(١٣) المصدر السابق ، ص ٥٦٤ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ٥٧٦ ، ولنلاحظ هذا التجسيم .
(١٥) المصدر السابق ، ص ٥٨٠ .

المقبرة التي دفن فيها أحمد بن حنبل مغفور له ببركة أحمد بن حنبل[1] ، وأن الله ينظر سبعين ألف نظرة في تربة أحمد بن حنبل ويغفر لمن يزوره[2] ، بل بالغ بعضهم وزعم أن الله نفسه يزور أحمد بن حنبل في قبره كل عام كما تقدم. . . »[3] ، إنَّ هذا المدح والغلو فيه يعطينا صورة صادقة وحقيقية عن الحنابلة وغلوُّهم ، واضطراب مناهجهم ، وعندما يريد أن يدافع ابن القيم رحمه الله ويعتذر عن أحد الحنابلة الذين يقولون بوحدة الوجود ، وهو الشيخ إسماعيل الهروي وهو من متعصبة الحنابلة الذين اشتهر عنهم التجسيم والتعصب وهو القائل :

أنـا حنبلـيٌ مـا حييـتُ وإن أمـت فـوصيتـي للنـاس أن يتحنبلـوا

لم يقل أنا مسلم. . . فوصيتي للناس أن يكونوا مسلمين كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] فعندما دافع ابن القيم عن الهروي وجد له الأعذار (إنها ازدواجية الرأي والمنهج). . . ووصل بأحد أئمتهم البربهاري الحنبلي أن يفضل أحد الحنابلة واسمه أبو الحسن بن بشار على أويس القرني ، . . . وقول النوراني : (لأن أخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إلي من أن أزول عن مذهب أحمد بن حنبل) وزعم بعض الحنابلة أنه (أسلم يوم موت أحمد بن حنبل عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس) ، وناح عليه يوم موته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس. . . فهل هذا مدح أو ذمٌّ لأحمد بن حنبل. . . ومن غلوِّ الحنابلة أنهم حشروا في تراجم الحنابلة كبار أقران أحمد كعلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن صالح المصري ، وإسحاق بن راهويه بل أدرجوا شيوخه في تلاميذه وأصحابه كعبد الرزاق الصنعاني وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي ، وهذا ما لم تفعله الطوائف الأخرى في أئمتهم. . .

« ومن غلوهم في أحمد أن بالغوا في صبره في المحنة ولم نجد هذا الثناء على من سُفك دمه بسبب المحنة كأحمد بن نصر الخزاعي[4] الذي قتله الواثق بيده ، فالذي جاد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٠ .

(٣) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٥١ وما بعدها .

(٤) أحمد بن نصر الخزاعي (ت ٢٣١هـ) : من أشراف بغداد ، كان يخالف من يقول بخلق القرآن ، خرج على الخليفة الواثق بالله فقبض عليه وقتله الخليفة بيده وبعث برأسه إلى بغداد . انظر : =

بنفسه أبلغ ممن ضُرب وحُبس ، وقد شارك أحمد في سجنه غيره كأبي نعيم الفضل بن دكين ، وعفان بن مسلم ، وأبو مسهر الذي مات في السجن ، ومحمد بن نوح (مات في السجن أيضاً) ونعيم بن حماد (مات مسجوناً) (راجع هذا في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي . . .) ومن غلوهم في أحمد زعمهم أن الشافعي يكفِّر من يبغض أحمد بن حنبل ، . . . والشافعي لا يكفِّر من أبغض الصحابة فكيف من أبغض أحمد بن حنبل . . . »[1] .

ومن المبالغة أن يُطْلقوا على ابن تيمية رحمه الله بلقب شيخ الإسلام . . . « مع أن ابن تيمية أقل كثيراً من أبي حنيفة والشافعي وأحمد والبخاري وابن عبد البر وابن حزم وأمثالهم فضلاً عن سادات التابعين ، أما هذا اللقب فقد لا يستحقه الخلفاء الراشدون فضلاً عن غيرهم لأن الإسلام فوق الجميع ، فالجميع محكومون بالإسلام »[2] .

فقد أَلَّف الحنابلة في ابن تيمية وأصحابه العديد من الرسائل والمؤلفات مدحاً وثناءً بغلو وإسراف مثل : « ما ذكره أحمد بن إبراهيم الواسطي (٧١١هـ) في كتابه التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار ، وللأسف أن الكتاب مطبوع عند سلفية الأردن بلا نقد أو تعليق على مواطن الغلو الآتية :

قال الواسطي : (فهذه رسالة . . . إلى إخواني في الله السادة العلماء والأئمة الأتقياء . . . ، يقصد مجموعة من تلاميذ ابن تيمية ثم قال : وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام الهُمَام ، محيي السنة وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق عن الحقائق وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الباطن والظاهر ، فهو يقضي بالحق ظاهراً ، وقلبه في العلا قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية . . . أعاد الله علينا ببركته . . . ثم يواصل الرسالة قائلاً : أصبحتم إخواني تحت سنجق (راية) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن شاء الله مع شيخكم وإمامكم وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه ، قد تميزتم عن جميع أهل الأرض فقهائها وفقرائها وصوفيتها وعوامها بالدين الصحيح . . . حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل حقيقة دينه الذي

= طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ص ٤٥ . والأعلام : الزركلي . ١/ ٢٦٤ .

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٥٥ وما بعدها .

(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٥٦ بتصرف .

أنزل الله من السماء . . . هذا وأنتم إذا عرفتموه من حيثية الأمر الشرعي الظاهر فهنا قوم عرفوه من حيثية الأمر الباطن . . . ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ومن الشهادة إلى الغيب ومن الغيب إلى الشهادة ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب ، فشيخكم عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض . . . فالناس يحسُّون بما يجري في عالم الشهادة وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب ينظرون ما تجري الأقدار يشعرون بها أحياناً عند تنزُّلها . . . فوالله ثم والله ثم والله لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم علماً وعملاً وحالاً وخُلُقاً واتباعاً وكرماً وصلاحاً في حق نفسه[1] . . . ما رأينا في عصرنا هذا مَن تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل . . .) ، ثم دعاهم إلى الصلوات الخمس والتهجد وأن يفتحوا ما بينهم وبين ربهم (فإنهم إن فعلوا هذا كله ، رجاء أن يفتح لهم معرفة حقيقة ابن تيمية) . . . ، وسبحان الله كأن معرفته مهمة كمعرفة الله عز وجل ثم يقول : (عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم وقيام الرجل المعين يقصد ـ ابن تيمية ـ الجامع للظاهر والباطن مع وجود المنحرفين ينصر الله به دينه . . .) ، ومع هذا الغلو ذكر أنه (لا يدَّعي فيه العصمة) وأنه يوصي أن يكون الإنسان (عدلاً في المدح عدلاً في الذم ، لا يحمله الهوى على الإفراط ، ثم اتهم مخالفي ابن تيمية من علماء عصره بأنهم مصابون إما في عقولهم أو في أفهامهم أو في صدقهم أو في أعمارهم ، ثم ختم الرسالة بالاستغفار من (الخطأ والزلل) ، هذه المبالغات وهذا الغلو أحد نماذج الغلو عند الحنابلة ، وخاصة أن سلفية الأردن التي قامت بطبع الكتاب وسلفية السعودية لم ينكروا هذه المغالاة والغلو مع أن أكثر بضاعتنا إنما هي في ذم غلو الصوفية والشيعة في شيوخهم وعلمائهم . . . »[2] .

المطلب الحادي عشر : ردود الفعل

« لما قام تيار جهم بن صفوان بنفي الصفات قام الحنابلة والسلفية فجسَّموا . . . كما رأيتم في الفقرة الخاصة بالإسرائيليات والتجسيم . ولما مدح المعتزلة العقل قام الحنابلة

---

(١) انظر كيف فضله على جميع مخلوقات الله ، من أنبياء ومرسلين وصحب كلٍّ أجمعين ، وعلى جميع العلماء والصالحين .

(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٥٦ وما بعدها بتصرف .

وذموا العقل ، ولما توسّع الأحناف في الرأي والقياس جاء الحنابلة بأحاديث وآثار في ذم الرأي والقياس !! . وكان أحمد بن حنبل يقول : القرآن كلام الله لا يزيد على ذلك ، فلما قال المعتزلة (بخلق القرآن) قال أحمد : القرآن كلام الله غير مخلوق[1] ، وقال الحنابلة : (إذا قلنا : القرآن كلام الله ثم لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق لم يكن بيننا وبين هؤلاء الجهمية خلاف)[2] !! .

أقول : وكأن الخلاف مطلب وفضيلة نبحث عنها !!

ولما تحالف المأمون مع المعتزلة وكان مشيّعاً محباً لعلي بن أبي طالب وأهل البيت قام الحنابلة خاصة بالانحراف عن الإمام علي وأهل بيته والتعصب لبني أمية حتى وصل بهم الأمر كما يقرر ابن الجوزي بالتعصب ليزيد بن معاوية مع ما اشتهر عنه من ظلم وفجور »[3] .

المطلب الثاني عشر : عدم إدراك معنى الكلام!!

« من السمات الغالبة على مذهبنا العقدي « السلفي الحنبلي » أننا لا ندرك معاني الألفاظ والمصطلحات التي نتحدث بها. . . ، وتتردد عندنا في العقائد ألفاظ كثيرة ومصطلحات فضفاضة لا نعرف معناها أو على الأقل يختلف الناس في تحديدها من شخص لآخر فنطلقها بلا تحديد مثل : السلف الصالح ، أهل السنة ، أهل الأثر ، أهل الحديث ، الطائفة المنصورة ، البدعة ، الإجماع ، الضلالة ، الأمة ، علماء الأمة ، الرافضة ، الجهمية ، الخوارج ، النواصب ، الشيعة ، الكتاب ، السنة. . . الخ ، وكذلك قول بعضهم : (عليك بما كان عليه الصحابة) !! نصيحة مطاطة !! »[4] .

المطلب الثالث عشر : تشريع الكراهية بين المسلمين

« وتأملوا الأقوال التالية للبربهاري مثلاً ، وكيف تشرع الكراهية بين المسلمين :

من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله !! وأخرج نور الإسلام من قلبه !! أقول : وهذا يشبه ادعاء العلم بالغيب !! .

---

(١) راجع : السنة : الخلال . (٥/١٣٦ ، ١٣٤) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٥٩ .
(٤) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦٠ .

آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع !! .

إذا علم الله من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له !! .

ومن أعرض عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً !! .

ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر !! .

ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة !! .

من قرأ بما في هذا الكتاب يقصد كتابه المسمى شرح السنة !! وآمن به واتخذه إماماً ولم يشكَّ في حرف منه ولم يجحد حرفاً واحداً فهو صاحب سنة وجماعة كامل قد كملت فيه السنة !! .

ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب أو شكَّ أو وقف فهو صاحب هوى... (ولا يَدين لله بدِين)!! .

وسبق أن نقلنا من كتاب عبد الله بن أحمد قولهم أن : الرجل يؤجرَ على بغض أبي حنيفة وأصحابه »[1] .

المطلب الرابع عشر : ذم المناظرة والحوار عند بعضهم

« الحوار والمناظرة كانت سائدة عند المعتزلة وبحوارهم ومجادلتهم جلبوا لجمهورهم كثيراً من الناس ، ويبدو أنه لما رأى الحنابلة هذا الأمر قد تفاقم وأنهم لا يستطيعون مناظرة المعتزلة قالوا بتحريم ذلك من باب ردة الفعل فقط ! فقط ! مع أن الله عز وجل في القرآن الكريم يأمر رسوله ﷺ بطلب البراهين من الكفار قال تعالى : ﴿... قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة : ١١١]....

والجدل المذموم إنما هو الجدل الذي لا يطلب صاحبه الحقيقة وإنما يريد المغالبة والمكابرة، أما إن أعلن الطرف الآخر أنه يريد الحق وجعل البحثَ العلميَّ هو السبيل الأمثل لحلِّ المسائل المختَلف فيها فقد أنصف وتجب أو تستحب محاورته ومجادلته... .

إذن فقد لجأ الحنابلة إلى تعميم تحريم الجدل والمناظرة بغير مستند شرعي ومن أقوالهم في تحريم ذلك والتهويل منه ما يلي : قول البربهاري : (والكلام والخصومة

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦١ .

والجدال والمراء مُحدَث يقدح الشكَّ في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة)!![1] .

وقوله : وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب وهو مسترشد فكلِّمه أو أرشده ، وإذا جاءك يناظرك فاحذره فإن المناظرة والمِراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب قد نُهيتَ عن هذا جداً !! ؛ وقال البربهاري : (اعلم رحمك الله أنه ما كانت زندقة قط ولا جماعة ولا كفر ولا هوى ولا ضلالة ولا شك ولا حيرة في الدين إلا من الكلام والجدل . . .)[2] !! ويقصد بالكلام هنا : أدنى التساؤلات عن قضية ما !! .

ثم قال : (والعَجَب كيف يجترىء الرجل على المراء والخصومة والجدال والله تعالى يقول : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ . . . ﴾ [غافر : ٤] فعليك بالتسليم والرضا بالآثار وأهل الآثار والكف والسكوت)[3] .

أقول : هذا كله جدال وكتاب البربهاري كله مصنف في الجدال والكلام وإن لم يسمِّه باسمه !! لكن التناقض من سماتنا وما ذممنا المعتزلة والأشاعرة بعيب في مكان إلا ارتكبناه في مكان آخر ، ولا نبالي بهذا التناقض أو لا نعقله ولا نعقل ماذا نفعل »[4] .

المطلب الخامس عشر : التزهيد في التحاكم إلى القرآن مع المبالغة في الأخذ بأقوال الرجال

« القرآن الكريم أعلى مصدر تشريعي عند المسلمين فقد اختلف المسلمون في ثبوت السنة وفي الإجماع وفي القياس وفي قول الصحابي وفي غير ذلك لكن لم يختلفوا أن القرآن الكريم هو المصدر الرئيس الشرعي في كل أمر من الأمور الدينية ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ . . . ﴾ [النساء : ٥٩] ففي الآية تحذير للمسلم بأن من لم يرضَ بالتحاكم إلى الله والرسول ﷺ فإنه يقدح في إيمانه بالله واليوم الآخر .

وكان المخالفون للحنابلة أكثر تعظيماً للقرآن واستدلالاً به منهم ، فلما رأى الحنابلة ذلك وأن القرآن الكريم تستدلُّ به الطوائف « المبتدعة!! » لجؤوا إلى التزهيد في التحاكم

---

(١) السنة : البربهاري . ص٧١ ، وص ١٢٧ .
(٢) السنة : البربهاري . ص٩٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٩٥ .
(٤) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦٢-١٦٣ .

إلى القرآن الكريم !! مع تضخيم الآثار والأقوال المنسوبة لبعض التابعين أو العلماء ، بل وبدَّعوا من يعود إلى القرآن الكريم وقدموا عليه أقوال الرجال :

يقول البربهاري[1] : « إذا سمعْتَ الرجلَ تأتيه بالأثر فلا يريدُه ويريد القرآن فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودعه !! » .

وقال[2] : « وأن القرآن أحوجُ إلى السنة من السنة إلى القرآن » . . . .

وقال : « التكبير على الجنائز أربع وهو قول مالك بن أنس وسفيان الثوري والحسن بن صالح وأحمد بن حنبل والفقهاء وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم »[3] !! .

أقول : انظروا كيف جعل رسول الله ﷺ آخر هؤلاء !! .

وقال البربهاري أيضاً : (وإذا سمعْتَ الرجل يطعن على الآثار أو يردُّ الآثار أو يريد غير الآثار فاتَّهِمْه على الإسلام ولا تشكَّ أنه صاحبُ هوىً مبتدع)[4] !! .

أقول : وهل الذي يطعن على القرآن الكريم أو لا يريد القرآن ويريد أقوال الرجال هل هذا مبتدع أم لا ؟ »[5] .

المطلب السادس عشر : التزهيد والتساهل في كبائر الذنوب والموبقات مع التشدد في أمور مختلف فيها

« وهذا خلاف نصوص القرآن الكريم فضلاً عن السنة : قال البربهاري[6] : إذا رأيت الرجلَ من أهل السنة رديءَ المذهب والطريق فاسقاً فاجراً صاحب معاصي ضالاً وهو على السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس يضرَّك معصيتُه !! وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشِّفاً محترقاً بالعبادة صاحب هوى فلا تصاحبه ولا تمشِ معه في طريق . . . !!

---

(١) السنة : البربهاري . ص ١٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٥ .
(٥) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦٤-١٦٥ .
(٦) السنة : البربهاري . ص ١٢٣ .

وقال أيضاً[١] : لأن تلقى الله زانياً فاسقاً سارقاً خائناً أحب إلي من أن تلقاه بقول فلان وفلان !!

أقول : ويقصد بفلان وفلان علماء الحنفية أو المعتزلة أو المختلفين مع الحنابلة ، لكن البربهاري يلقانا بقوله وقول الأوزاعي وحماد بن زيد وهم على فضلهم بشر يصح أن يقال فيهم فلان وفلان. . . وهذا تناقض ولا بد من منهج يحمي من التناقض »[٢] .

المطلب السابع عشر : تقرير شرعية الفرح بمصائب المسلمين من الطوائف الأخرى عند بعضهم

« روى الخلال الحنبلي[٣] في كتابه السنة[٤] أن أحمد بن حنبل : سُئِل هل يأثم الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب أبي دؤاد (المعتزلي) ! فقال : ومن لا يفرح بهذا ؟! قيل له : إن ابن المبارك قال : الذي ينتقم من الحجاج هو ينتقم للحجاج من الناس ، قال : أي شيء يشبه هذا من الحجاج ؟! هؤلاء أرادوا تبديل الدين !! .

أقول : أنا أستبعد هذا عن أحمد لكن هذا الأثر وأمثاله يدل على فرح الحنابلة بحصول المصائب لمخالفيهم !! وهذا خلاف المروءة فضلاً عن مخالفته لرحمة الإسلام وتعاليمه .

ومن الحكم الجائر على الآخرين : روى الخلال أيضاً في كتابه السنة[٥] عن أحمد : ما أحد أضر على أهل الإسلام من الجهمية ، ما يريدون إلا إبطال القرآن وأحاديث الرسول ﷺ !! .

أقول : وهذا وأشباهه أستبعده عن أحمد أيضاً ، وهو مروي بكثرة في كتب الحنابلة ، وقد سبقت أحكام جائرة من هذا النوع في فقرات سابقة »[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .
(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦٦ .
(٣) الخلال الحنبلي (ت ٣١١ هـ) : أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر ،كان ممن صرف عناية إلى الجمع لعلوم أحمد بن حنبل وطلبها وسافر لأجلها وكتبها وصنفها كتباً ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أجمع منه . انظر : تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي . ٥/ ١١٢ .
(٤) السنة : الخلال . ٥/ ١٢٩ .
(٥) السنة : الخلال . ٥/ ١٢١ .
(٦) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٦٨ .

المطلب الثامن عشر : النصب

« وهذا الموضوع في غاية الأهمية ، لأن أكبر الفرق الإسلامية التي بيننا وبينها خصومة شديدة هي الشيعة ، صحيح أن جذور هذه الخصومة كانت من القرن الأول ، إذ لجأ بنو أمية إلى الفتك بمحبي أهل البيت وإذلالهم ، فقتلوا حجر بن عدي صبراً في عهد معاوية لأنه أنكر سبَّ عليٍّ على المنابر ، وقتلوا عمرو بن الحمق الخزاعي وكان ممن لقي النبي ﷺ وهاجر إليه وكذلك كان حجر بن عدي ، وقتلوا الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة بالسمِّ وقتلوا أخاه الحسين بالسيف وارتكبوا مجزرة كربلاء ، ثم ثار زيد بن علي (١٢٢هـ) بعد أن أهانه هشام بن عبد الملك فقُتل ، وثار ابنه يحيى وقُتل وكان خارج هؤلاء وقبلهم ابن الأشعث وابن الزبير[1] وأهل الحرة لأجل ما يرونه من الظلم الأموي والاستبداد وعدم الأهلية لتولي الحكم في وجود كبار الصحابة وأخيار التابعين لكنهم لم يقدِّروا جانب القوة والاستطاعة ففشلت ثوراتهم ، ولما جاء العباسيون فعلوا بأهل البيت مثلما فعل بنو أمية فطلبوا الصالحين من آل علي وسجنوهم وقتل منهم في سجون أبي جعفر المنصور وأبنائه الكثير من العبّاد والصلحاء ، فخرج النفس الزكية بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة وإدريس بالمغرب والهادي باليمن والناصر الأطروش بالديلم وبقيت الثورات بين العباسيين والعلويين ولم تنقطع إلى أن تكوَّنت لهؤلاء دول صغيرة ثم جاء السلاجقة والعثمانيون وهم من السنة وكانت لهم حرب طويلة مع دول الشيعة في إيران كالبويهيين والصفويين ولا بد أن تستغلَّ كل دولة من الدول السنية سنيّتها سواء الأموية أو العباسية أو العثمانية وتستغلَّ الدول الشيعية شيعيتها كالبويهيين والصفويين لإقناع الشعوب بشرعية قتال الدول الأخرى ذات الصبغة المذهبية المختلفة ، فقام العلماء من جميع الفرق ودوَّنوا المدوَّنات العقدية والردود ، التي تعمِّم الأخطاء وتنظر إليها بمنظار مكبر وأصبح هناك تركيز على بعض الجوانب السلبية عند بعض أتباع الطائفة المخالفة ، وانشغلت كل طائفة بالأخرى وتناست أخطاءها وانحرافاتِها الذاتية ، وكل طائفة تُقنع عوامَّها بمجموعة من القواعد المتسلسلة التي تحمل إقناعاً للعوام لا للعلماء الباحثين ، فينشأ العوام على

---

(١) وهو عبد الله بن الزبير بن العوَّام القرشي ، الصحابي المعروف ، أحد العبادلة . وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، استشهد سنة ٧٣هـ . انظر : طبقات القراء : ابن الجزري . ١/ ٤١٩ . والإصابة : ابن حجر . ٢/ ٣٠١ .

ما نشأ عليه آباؤهم من التنابز بالألقاب وتوفير الأرضية الشرعية لكل حرب بين المسلمين إلى أن ضعف المسلمون وأصبحوا كما ترون ، كل هذا بسبب كتب العقائد أو على الأقل كان للعقائد دور رئيس في هذا ، لاختلاف السياسات واستعانتها بالناس بعد استغلال ديني لإضفاء الشرعية على الممارسة السياسية ، وبما أنه من المعلوم عند عموم المسلمين أن قتال المسلم للمسلم حرام فالسياسات تستعين بالعلماء الذين يسوِّغون للحكَّام قتال المسلمين وكان الشيعة يُلزمون أهل السنة[1] بالنصب والانحراف عن علي وأهل البيت ويعمِّمون أخطاء الشاميين من المنتسبين إلى السنة على جميع السنة ، فردَّ أهل السنة بأن الشيعة يغالون في أهل البيت وعمموا أخطاء وعقائد غلاة الشيعة على جميع الشيعة ، ثم تجاوز بعضهم ودافع بالباطل عن بني أمية وكأن المطلوب هو الدفاع عنهم كالدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم !! وأصبح نقد معاوية بن أبي سفيان وهو من الطلقاء غير مقبول عند السنة بعد أن كان متقدِّموهم يذمُّون ظلم معاوية وجعله الخلافة ملكاً عضوضاً ، واستئثاره ببيت المال وما إلى ذلك من المفاسد التي أحدثها ، فلما رأى الشيعة دِفاع السنة عن معاوية ويزيد لم يكتفِ الشيعة بذم معاوية بل تجاوزوه إلى أبي بكر وعمر وعثمان زعماً منهم بأن هؤلاء هم سبب انصراف الأمر عن علي ، ثم بالغ أهل السنة في ردة الفعل وفي زيادة الدفاع عن معاوية وعن يزيد بن معاوية والدولة المروانية كلها ، وأخذوا يلمزون علياً والحسين على وجه الخصوص[2] .

---

(١) غلاة الشيعة يرون أن الشيعي مأجور على سفك دم السني اغتيالاً !! يبرأ الإمام علي وأهل البيت من هذا الحقد والاستحلال لدم المسلم ، فقد كان الإمام علي يرى التعايش مع من يكفِّره ويسبُّه ويبرأ منه فكيف بالمسلم الذي قد يكون منحرفاً عن الإمام انحرافاً لا يصل لعشر معشار عقائد الخوارج الذين كان يعترف الإمام بإسلامهم ولم يحرمهم من عطائهم ولا حقوقهم ولم يعاملهم معاملة تختلف عن بقية المسلمين من أصحابه بل لعل الإمام علياً قد ضرب أروع الأمثلة في التسامح مع المخالفين في العقائد وسار على نهجه كبار أهل البيت ، وضرب غلاة الشيعة وغلاة الحنابلة أسوأ الأمثلة في التعامل مع المخالف في العقيدة .

(٢) وبقي الحنابلة في العراق على هذا الرأي في صراع مع المذاهب الأخرى حتى أنكر عليهم ذلك ، كما أسلفنا عن أحدهم وهو ابن الجوزي وذكر أنهم زيَّنوا مذهبهم بالتعصب ليزيد بن معاوية فضاعت السنة الحقيقية وأصبح هناك شيعة ونواصب متسمُّون بالسنة أما السنة الحقة فقد أصبحت نادرة إذ أصبح أصحابها متَّهمين من الطرفين المتطرفين وأصبحت ردود الأفعال هي الحق المطلق عند هؤلاء وهؤلاء وأصبح كل من يدافع عن الإمام علي أو أهل بيته يعد شيعياً جلداً عند الحنابلة ومن يدافع عن أبي بكر وعمر وعثمان ويقول بفضلهم يعتبر ناصباً خبيثاً عند الإمامية !! . =

والآراء أو العقائد الشامية كان المحدِّثون يطلقون عليها (النصب) ومعنى النصب مناصبة أهل البيت العداء من تنقُّصِهم ومدح خصومهم ، ومن دلائل النصب في كتبنا العقائدية :

١- روى عبد الله بن أحمد أثراً موضوعاً عن علي نصه : (لا تكرهوا إمارة معاوية)[1] !! .

٢- وروى أيضاً[2] أن أبا موسى كتب لعلي : (بلغني أنك تقنت في صلاة الفجر وتدعو عليَّ ويؤمِّن خلفك الجاهلون وقد قال الله عز وجل : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) !! والأثر ضعيف .

٣- وروى بإسناده عن أبي وائل أن (علياً أحب إليه من عثمان حتى أحدث) ؟! اهـ .

أقول أحدث ماذا ؟! فهذا تلميح بأن علياً ابتدع أموراً ؟ وعلى هذا فليس من أهل السنة والجماعة ؟! وهذا المعنى يدندن حوله بعض الحنابلة دون تصريح !! ومن هؤلاء الحنابلة البربهاري وابن تيمية رحمهما الله كما سيأتي .

٤- أورد عبد الله بن أحمد أحاديث ضعيفة في ذم الرافضة ونص الحديث عن النبي ﷺ : (يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يُسمَّون الرافضة يرفضون الإسلام)!! .

٥- وروى كعب الأحبار[3] مدائح في مدائن الشام معقل بني أمية !!

٦- التلميح أن علياً إنما يقاتل على الدنيا[4] !! وهذه التهمة كررها ابن تيمية كثيراً في مناهج السنة !! تلميحاً أو تصريحاً .

٧- روى الروايات في تبرير بُغضِ بعض أصحاب علي لعلي[5] .

= انظر : قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٧٢ .

(١) السنة : لعبد الله بن أحمد . ٢/ ٥٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ٢/ ٥٥١ .

(٣) المصدر السابق ، ٢/ ٥٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، ٢/ ٥٥١ .

(٥) المصدر السابق ، ٢/ ٥٥١ .

٨ـ ثم جاء البربهاري : فنجده يقول[1] : (والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان)!! .

وهذا معناه أن علي بن أبي طالب ومن معه من البدريين والمهاجرين والأنصار ليسوا على الجماعة !! بينما عدُّوا معاوية وفئته الباغية من أعاريب لخم وجذام هم الجماعة !! بعد صلح الحسن .

٩ـ وقال البربهاري[2] : (واعلم أن الدين العتيق ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفان وكان قتله أول الفرقة أول الاختلاف فتحاربت الأمة وتفرقت واتبعت الطمع والأهواء والميل للدنيا) !! .

أقول : لم يستثنِ علياً ومن معه من البدريين والمهاجرين والأنصار !! وكانت الأغلبية الساحقة من هؤلاء مع علي وهم الجماعة يومئذ وهم الفئة العادلة لا الباغية كما لم يستثنِ البربهاري المعتزلين من الصحابة أيضاً .

١٠ـ ثم قال أيضاً : (والكفُّ عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير. . .) انظر كيف قدَّم معاوية على هؤلاء الثلاثة !! مع أن قضيتهم غير قضيته ومع أنهم تابوا واعترفوا بخطئهم مع كونهم من السابقين إلى الإسلام بينما معاوية ماذا أدخله بين هؤلاء ؟! ثم لماذا الكفُّ مع وجود مثل حديث عمار المتواتر ؟! كيف نكفُّ عن أمر لم يكفَّ عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ثم نجد البربهاري يوصي بالآثار وينسى مثل حديث عمار ونحوه وعندما أحسَّ بأن الناس سيتَّهمونه بالنصب لما أورده من هذا التعصب ضد الإمام علي جاء بقاعدة تسكت هؤلاء فماذا قال ؟! قال : (واعلم إذا سمعت الرجل يقول : فلان ناصبي فاعلم بأنه رافضي)!! وعلى هذا يكون قد قطع الطريق على من تسوِّل له نفسه أن يتهمه بالنصب !! . وليته أخبرنا عن الذي نسمعه يقول عن الرجل من أهل السنة : فلان رافضي !!هل يكون القائل ناصبياً !!

١١ـ وقال : (من وقف في عثمان وعلي ومن قدَّم علياً على عثمان فهو رافضي قد رفض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .

---

(١) السنة : للبربهاري . ص ١٠٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

أقول : وعلى هذا فهو يتَّهم عمار بن ياسر وأبا ذرٍّ والمقداد وغيرهم من الصحابة بأنهم روافض لأنهم كانوا يرون تفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر فضلاً عن عثمان كما أن كثيراً من الصحابة كانوا يفضِّلون أبا بكر ولم ينكر بعضهم على بعض فالمسألة هينة والنصوص فيها متكافئة .

١٢ـ ونجد الخلال الحنبلي صاحب كتاب السنة(١) ، يروي الموضوعات والمناكير في فضل معاوية فروى عن أحدهم قوله : كنا عند الأعمش(٢) فذكروا عمر بن العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : في حلمه ، قال : لا والله بل في عدله !!) .

أقول : وهذه رواية مكذوبة فالأعمش من شيعة الكوفة الذين كانوا يذمُّون معاوية ، بل بعضهم يكفِّره ، فالأعمش لن يقول مثل هذا الكلام ولم يدرك معاوية فقد ولد عام ٦١هـ بعد موت معاوية !! بسنة فكيف أدركه ؟! .

وقد سرد الخلال كثيراً من الآثار في فضل معاوية ، كقولهم : إنه أي معاوية يشبه المهدي !! وأنه أفضل من عمر بن عبد العزيز !! وأنه خال المؤمنين !! وكاتب الوحي !! بل أنه أفضل من ستمائة من أمثال عمر بن عبد العزيز!!

وأنه كان أسود من أبي بكر وعمر يعني بالسخاء وفسَّره ناس بأن المراد السيادة التي تعني الأهلية والأولوية بالخلافة !! . وأنه أحلم الناس وأحلم من أبي بكر وعمر !! وأنه أعطى ثلاث سفرجلات ليلقى بهن النبي ﷺ في الجنة !! . وأنه يزاحم النبي ﷺ على باب الجنة. . . !! الخ . وكان محمد بن عبد الواحد الحنبلي(٣) المعروف بغلام ثعلب لا يبدأ

---

(١) السنة : للخلال ، ص ٤٣٧ .

(٢) الأعمش (ت ١٤٨ هـ) : سليمان بن مهران الكوفي ، أخذ عن النخعي وعاصم ، وروى عنه حمزة الزيات . انظر : الطبقات الكبرى : لابن سعد . ٦/ ٣٤٢ . وطبقات القراء : ابن الجزري . ١/ ٣١٥ .

(٣) الضياء الإمام العام الحافظ الحجة محدِّث الشام شيخ السنة ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي : صاحب التصانيف النافعة ، كان شديد التحرِّي في الرواية مجتهداً في العبادة كثير الذكر منقطعاً متواضعاً ، قال ابن النجار : حافظ متقن حجة عالم بالرجال ورع تقي ما رأيت مثله في نزاهته وعفته وحسن طريقته . انظر : تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٤/ ١٤٠٥ .

درسه إلا بعد قراءة جزء فيه الأحاديث الموضوعة في فضل معاوية !! فكان يلزم كل طالب من طلابه بقراءة ذلك الجزء أولاً !![1]

ويتواصل الغلو عند ابن بطة وابن حامد[2] فيما نقله عنه ابن تيمية في منهاج السنة وغيرهم من الحنابلة ، ثم نجد هذا الغلو في مدح بني أمية وأشياعهم يتمُّ متناسقاً مع الغضِّ من علي بن أبي طالب وأنصاره عند علماء أهل الشام قاطبة لأنهم كانوا في موطن بني أمية ، وقد تربَّى الناس في الشام على بُغضِ عليٍّ ولعنِه فظهر منهم أكثر من خمسين محدِّثاً ناصبياً في القرون الثلاثة الأولى كان أشهرهم حريز بن عثمان الرحبي[3] من رواية البخاري وكان يسبُّ علياً في اليوم (١٤٠) مرة فقط !! .

ثم تتابع علماء الشام كابن تيمية وابن كثير[4] وابن القيم ، وأشدهم ابن تيمية على التوجس من فضائل عليٍّ وأهل بيته وتضعيف الأحاديث الصحيحة في فضلهم مع المبالغة في مدح غيرهم . . . !!

وعلماء الشام مع فضلهم بَشَر لا ينجون من تأثير البيئة الشامية التي كانت أقوى من محاولات الإنصاف خاصة مع استئناس هؤلاء بالتراث الحنبلي الذي خلَّفه لهم ابن حامد وابن بطة والبربهاري وعبد الله بن أحمد والخلال وأبو بكر بن أبي داود !! ومع تذكُّر الصراع التاريخي الطويل مع الشيعة فهذا كله كان له أبلغ الأثر في نظرتهم للإمام علي وأهل بيته فلذلك حوكم ابن تيمية في عصره على (بُغضِ عليٍّ) واتهمه مخالفوه من علماء عصره

---

(١) طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . (٢/ ٦٨) .

(٢) ابن حامد : شيخ الحنابلة ومفتيهم أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي الوراق مصنف كتاب الجامع في عشرين مجلداً في الاختلاف ، وكان يتقوَّت من النسخ ويكثر من الحج وهو أكبر تلامذة أبي بكر غلام الخلال هلك كلاهما . انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي . ١٧/ ٢٠٣ .

(٣) حريز بن عثمان الحافظ أبو عثمان الرحبي المشرقي الحمصي (ت ١٦٣هـ) : محدّث حمص عداده في صغار التابعين ومتقنيهم ، حدَّث بالشام والعراق وله نحو مائتي حديث . تذكرة الحفاظ : الذهبي . ١/ ١٧٦ .

(٤) الحافظ ابن كثير : هو عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي أبي الفداء مولده سنة ٧٠٠هـ وتفقَّه بالبرهان الفزاري والكمال بن قاضي شهبة قرأ الأصول وشارك في العربية ، لـه مصنفات منها البداية والنهاية ، توفي رحمه الله سنة ٧٧٤هـ . انظر : شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي . ٣/ ٣٣٠ .

بالنفاق ، وأخطؤوا في ذلك ، واتهموه بالنصب وأصابوا في كثير من ذلك لقوله : إن علياً قاتل للرياسة لا للديانة ، وزعمه : أن إسلام عليٍّ مشكوك فيه لصغر سنه وأن تواتر إسلام معاوية ويزيد بن معاوية أعظم من تواتر إسلام علي !! وأنه كان مخذولاً !! وغير ذلك من الشناعات التي بقي منها ما بقي في كتابه منهاج السنة وإن لم تكن هذه الأقوال نصباً فليس في الدنيا نصب !! عفا الله عنه وسامحه .

وقد كان يعتذر بمبالغة شديدة لأهل الشام ويحمل فيه على أهل العراق باختصار حججهم هنا وتطويل حجج خصومهم هناك مع الاسترواح ببسط شبه الشاميين والاعتذار عنهم إضافة لادّعاء الإجماع على أمور خاطئة والتظاهر بالإنصاف ، يقول ابن حجر العسقلاني : (طالعت كتاب ابن تيمية في الردّ على الرافضي فوجدته شديد التحامل في ردِّ أحاديثٍ جياد. . .) وهي تلك الأحاديث التي في فضل علي !! فقد كان متحاملاً عليها كثيراً وقد بيَّن ذلك الألباني أفضل بيان في السلسلة الصحيحة[١] وذكر ابن حجر في لسان الميزان أنه : (كم من موطن بالغ ابن تيمية فيه في الرد على الرافضي أدَّته إلى تنقُّص علي رضي الله عنه !!) فذلك نشأنا هنا في الخليج عامة وفي المملكة خاصة على أن الشيعة فيهم معظم صفات اليهود والنصارى وأنهم أسوأ من اليهود والنصارى بخصلتين !! حتى طبعت في ذلك الكتب ونوقشت الرسائل العلمية !! مع أن كل هذا أخذناه من ابن تيمية ، فقد ذكره ابن تيمية في مقدمة منهاج السنة معتمداً على رواية مكذوبة من رواية أحد الكذَّابين واسمه عبد الرحمن بن مالك بن مغول[٢] رواها عن والده عن الشعبي وهما بريئان من تلك الرواية[٣] .

فبالله كيف نستطيع الإنصاف وهذا التاريخ كله يجثم فوق صدور الحقائق .

فالسمة الغالبة على الشيعة وصف السنة بالنصب كما أن السمة الغالبة على النواصب وصف السنة بالتشيع ، وهكذا خلافنا مع الإباضية والأشاعرة والصوفية وغيرهم ، نتبادل

---

(١) انظر كلامه على حديث الموالاة (من كنت مولاه فعلي مولاه) .

(٢) عبد الرحمن بن مالك بن مغول : روى عن أبيه والأعمش ، قال أحمد والدارقطني : متروك ، وقال أبو داود : كذاب ، وقال النسائي وغيره ليس بثقة .

(٣) بل رأيت رسالة تدور على هذه الرواية عنوانها (بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود)!! وبعد هذا نزعم أننا لانقول إلا الحق ولا يدفعنا شنآن قوم على ظلمهم !! . انظر : قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٧٧ .

الاتهامات دون حوار وبحث ودون رجوع إلى الحق الأول المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة المتفق عليها »[1] .

المطلب التاسع عشر : الاستدراك على الشرع
(أو بدعة اشتراط فهم السلف)

« فلما رأى أصحاب العقائد ومنهم السلفية الحنابلة أن العودة للكتاب والسنة سيلغي أكثر الشتائم والتكفيرات والتبديعات والمخالفات الموجودة في كتب العقائد لجؤوا إلى الزيادة على ما ذكره الله عزَّ وجل بقولهم : (إن الكتاب والسنة لا تكفي فلا خير في كتاب بلا سنة ولا خير في سنة بلا فهم السلف الصالح)!! وهكذا نفوا الخيرية عن الكتاب والسنة بهذا الشرط البدعي الذي اشترطوه وانتقصوا به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم »[2] .

« وهكذا قصص كثيرة في اختلاف الصحابة ، فضلاً عن غيرهم ، في فهم بعض النصوص القرآنية والحديثية . . .

فالقاعدة المشهورة (الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة) باطلة بإجماع سلف الأمة من المهاجرين والأنصار الذين لم يشترطوا واكتفوا بما ذكره الله عز وجل من (التحاكم للقرآن والسنة) أما زيادة اشتراط الفهم فهو استدرك قبيح على الآية الكريمة . . . » .

« ثم هؤلاء القائلون بفهم السلف هم أول من يخالف السلف إذا فهموا شيئاً خلاف ما هم عليه !! ومعظم ما كتبوه في العقائد كان خلاف فهم السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. . . »[3] .

« فالقرآن أولاً والسنة الصحيحة ثانياً ، هما المقياسان الرئيسان وتأتي بعد ذلك مقاييس أخرى من أقوال جمهرة المهاجرين والأنصار أو قول جمهور الصحابة واختيارات علمائهم الكبار ، أما الإجماع فلن يمكن إلا حصوله ومعه نص شرعي فيما يظهر ، فهذه المقاييس نقيس بها كل الرجال كأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والشافعي ومالك والبربهاري وغيرهم ،

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص١٧٠ـ١٧٧ .
(٢) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص١٧٨ .
(٣) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٧٩ .

كل هؤلاء الرجال يجب أن يخضعوا لمعيار القرآن وما صحَّ من السنة ، كل هؤلاء تحت القرآن والسنة لا فوقها ، وهذا هو طريق وفهم السلف من الصحابة الكبار فلم يكن عندهم أحد فوق القرآن وما صح من السنة فمن لم يكن على هذا المنهاج فليس على منهج الصحابة ولا (السلف الصالح) ولا يجوز أن يدَّعي كذباً وزوراً الانتساب لمنهج المهاجرين والأنصار ولا يجوز له أن يتشدَّق بمنهج لا يعرفه ولا يضبط معاييره وملامحه. . . فالكلام سهل وبسبب الكلام اختلفت فرق الأمة وتفاخرت بالألقاب والمناهج !! ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه !! .

نذهب إلى عبد الله بن أحمد وابن تيمية وننسى الصحابة من المهاجرين والأنصار ، فالبربهاري وابن بطة عندنا من السلف بينما الصحابة ليسوا من السلف ولو كانوا عندنا من السلف الصالح لما خالفناهم في فهم الإسلام وفي الأمور التي سبق شرحها »(١) .

المطلب العشرون : ما المنهج

« العودة لاسم الإسلام نفسه وترك التنابز بالألقاب، فلا نصم الآخرين بلقب ، ولا نرضى لنا بلقب إلا اسم الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت :٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ . . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٦٤] . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] وقوله : ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس :٧٢] وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ . . . هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ . . . ﴾ [الحج :٧٨] .

ولنترك الانتسابات التي تفرَّقنا بها شيعاً ، فلا شرعية لكلمة شيعة ولاسنة ولا جهمية ولا سلفية ولا معتزلة شرعية إلاّ كلمة الإسلام ، وكلُّ من رغب عن التسمية بالإسلام فلن يجد تسميةً أفضل منها ، فهي تسمية مأمور بها في كتاب الله ، وهي تسمية ارتضاها الله لنا ، ولم يأتِ نص باستحباب تسمية أخرى ، ومن زعم ذلك فعليه الدليل ولا دليل إلا من باب التوهم فقط .

قد يقول البعض : إن تسميتنا أهل السنة قد جاءت بها نصوص كأمر النبي ﷺ باتباع السنة في قوله : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) .

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٨٠ .

أقول : الله عز وجل أيضاً قد أمر بالعدل أيضاً فلماذا ننكر على المعتزلة تسميتهم أنفسهم أهل العدل أو العدلية !! .

وأمر الله بالاستقامة ، فلماذا ننكر على الإباضية تسمية أنفسهم (أهل الاستقامة) .

وأمر النبي ﷺ بمحبة أهل البيت ، فلماذا ننكر على الشيعة تسمية أنفسهم شيعة أهل البيت مستدلِّين بقوله تعالى : ﴿ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات : ٨٣] .

واستدل المعتزلة على شرعية اسمهم بقوله تعالى على لسان إبراهيم : ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ. . .﴾ [مريم : ٤٨] . . . .

أقول : لسنا أفضل من النبي ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقد كان اسم الإسلام يجمعهم مع المنافقين والأعراب والطلقاء والمرجفين. . . فقد كان النبي ﷺ يقول : (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) ويقصد بأصحابه هنا : المنافقين ، فلما أصرَّ عليه بعض الصحابة في قتل بعض المنافقين قال له النبي ﷺ : (أليس يقول أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال بلى ، قال : فإني نُهيت عن هؤلاء) ، وقوله ﷺ لأسامة بن زيد عندما قتل أحدهم بعد نطقه بالشهادة : (وماذا تفعل بـ (لا إله إلا الله يوم القيامة) ، ونحن اليوم كذلك ماذا نفعل بـ (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ، بل وإقامة شعائر الإسلام الظاهرة وأركانه العظمى وتحريم محرماته الظاهرة. . . الخ »[1] .

« فإن قال قائل : إذا كان اسم السنة أو السلف اسماً حسناً فما العيب علينا في الانتساب إليه دون تكفير للآخرين وتبديع لهم ؟ .

أقول : وما العيب في الالتزام باسمٍ ارتضاه الله لنا ؟! ولماذا الإعراض عنه ؟! .

فإن قال البعض قد تسمَّى المسلمون في عهد النبي ﷺ بأسماء غير المسلمين ومن ذلك المهاجرون والأنصار ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ؟! .

أقول : أولاً : تقسيم الناس في عهد النبي ﷺ إلى مهاجرين وأنصار لم يكن تقسيماً دينياً ولا مذهبياً وإنما كان وصفاً لحال هؤلاء وهؤلاء ، فهو أقرب إلى التقسيم الاجتماعي الهادف لأهداف اجتماعية ، فقد كانت عبادتهم واحدة ، ولم يكن بينهم خلاف مذهبي ،

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٨٢ـ١٨٣ .

ولا فيهم من يرى أن الطائفة الأخرى ضالَّة أو كافرة كما هو الحال عند علماء الطوائف الإسلامية المدوَّن في كتب العقائد. . . .

فإن قال قائل : كيف أستطيع أن أعرف الحق إذا لم ألتزم مذهب طائفة أتعلَّم منها الدين ؟

أقول : عُدْ إلى كتاب الله ستجد الأمور الإيمانية الكلية ، وستجد المحرمات المتفق عليها ، والواجبات المتفق عليها ، وستجد ما يرفد ذلك من إجماع المسلمين على هذه الأمور من صلاة وصيام وحج وزكاة وأمر بالعدل والصدق والأمانة ونهي عن الجرائم المعروفة ، فدين الله واضح لا يحتاج لكل هذه الكتب في العقائد التي رأيت فسادها وإفسادها وتشكيكها وانحرافها عن أبسط المبادىء الدينية .

فالعودة للاعتصام بحبل الله ومعرفة الأصول العامة التي يلتقي عليها المسلمون خير من التمادي في الشبهات والشتائم التي لا تُسمِن ولا تزيد المرء إلا شكاً .

نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين وأن يغفر الله لسلفنا وما خلَّفوه لنا من مظالم وأخطاء ويؤجرهم على ماخلَّفوه لنا من صواب وخير »[1] .

المطلب الحادي والعشرون : الخاتمة وأبرز النتائج[2]

« من خلال هذه الجولة القرائية لكتب العقائد ، والحنبلية منها خاصة يحسن كتابة أبرز النتائج والملحوظات التي خرج بها الباحث ، ومن أهمها :

١ـ ليس لمصطلح (العقيدة) بهذا المعنى الشائع أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا كان هذا المصطلح مستخدماً في أقوال الصحابة ولا التابعين ولا كبار أئمة السلف في القرون الثلاثة الأولى وهي القرون الموصوفة بالخيرية عند أهل السنة والجماعة .

٢ـ لفظ (الإيمان) هو اللفظ الشرعي المهجور الذي استخدم مكانه مصطلح (العقيدة) المبتدع ، والواجب العودة للألفاظ الشرعية ومعانيها ، والعودة لهذا المصطلح

---

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٨٣ـ١٨٥ .

(٢) نقلت هذا المطلب حرفياً من كتاب قراءة في كتب العقائد لأهميته ودقة عبارته ، واعتبرته وثيقة قيمة يجب أن تكون الأساس للتقارب بين المسلمين .

مع هجران المصطلح السابق أصبح ضرورة لإساءتنا استخدام المصطلح الأول وإدخالنا فيه كل باطل ، لكن شجاعتنا في العودة للمصطلح الشرعي تحتاج لسنوات طويلة !! .

٣ـ العودة للتسمي باسم الإسلام ، فلا مذهب إلا الإسلام ولا عقيدة غير الإسلام ولا دين إلا الإسلام ، فمن نطق بالشهادتين موقناً بهما فهو مسلم في الأصل ولا يخرج إلا بارتكاب مكفِّر وبعد انتفاء الموانع . . .

٤ـ بدعية التمذهب العقدي لفرقة من الفرق الإسلامية ، فلا يجوز الانتماء المطلق الذي يوالي ويعادي عليه إلا للإسلام نفسه ، ولا يجوز للمسلم أن يرى أن مذهبه العقدي يصلح بديلاً للإسلام ، فلا سنة ولا شيعة ولا معتزلة ولا سلفية ولا أشعرية ولا إباضية ولا صوفية . . . وإنما هو الإسلام فقط .

٥ـ ضرورة العودة للقرآن الكريم والالتزام بما فيه من مجمل الإيمانيات (التي يسمونها العقائد) ومجمل الأوامر الظاهرة والمحرمات الظاهرة والأخلاق الواجبة وعدم امتحان الناس بالمتشابه منه ، ثم العودة لمتواتر السنة ثم الصحيح المشهور ، وترك التنازع في المختلف فيه من السنة سواء من حيث الثبوت أو دلالة النص ، وفتح حرية الاجتهاد على ذلك ما دام أن الشروط السابقة قد تحققت .

٦ـ لم تكن الإيمانيات التي يسمونها (العقائد) مفصولة عن الأحكام والأخلاق بل كانت الدعوة لكل هذا دعوة واحدة وهي الدعوة للإسلام في شمولها وتكاملها دون المبالغة في جانب أو إهمال جانب ، أما غلاة العقائديين فقد بالغوا في (الخصومات العقدية) مثل مبالغة غلاة الحنابلة في الإثبات والتكفير والتبديع ، ومبالغة الصوفية في (المحبة) ، ومبالغة جماعة التبليغ (في الفضائل) ، ومبالغة الإخوان المسلمين وحزب التحرير في (الخلافة والحكم) ، فكل حزب يعتصم ويوصي بالاعتصام بما يراه متميزاً به عن الآخرين ، وكأن الاتفاق مع الآخرين جريمة والمحافظة على الظلم فضيلة !! وهذا من أبلغ تسويل الشيطان وتزيينه للصالحين من ضعفاء العقول ، أما المؤمن الصحيح العقل فهو يعلم أن الاعتصام خير من التفرُّق .

٧ـ (من المؤسف أن غلاة العقائديين يجعلون مسألة من المسائل المستحدثة أهم من أركان الإسلام كما يفعلون مع مسألة (خلق القرآن) ، التي كفَّروا بها جميع المسلمين إلا من تابعهم وامتحنوا بها الخلق ، وفرَّقوا بها بين الأمة ، وأقصد بالعقائديين هنا الحنابلة والمعتزلة على حد سواء ، وقد كان الحنابلة يعترفون أيام امتحان المعتزلة لهم بأن هذه

المسألة لم يبحثها رسول الله ﷺ ، ولم يبحثها الخلفاء الراشدون ، وكانوا يطالبون بأن يسعنا ما وسعهم !! فلما كانت لهم الدولة نسوا ما كانوا يذكِّرون به وعادوا لما كانوا ينهون عنه قبل ذلك ، وسوَّل لهم الشيطان كما سوَّل للمعتزلة فأشغلوا الأمة في خلافات ونزاعات لم تخرج منها إلى يومنا هذا .

٨ـ معظم ما سطَّرته كتب العقائد مما ليس في القرآن وصحيح السنة مستحدث ، ما أنزل الله به من سلطان ولا بعث به النبي ﷺ ، وعلى هذا فلا يجوز امتحان الناس به ولا إعلانه على أنه دين الإسلام ، وإنما يجب أن يبقى في مستوى البحث العلمي فقط ، ولا يجوز الإنكار على من أدَّاه اجتهاده للقول بهذا القول أو ذاك غير الأمور المعلومة من الدين بالضرورة من واجبات ومنهيات معروفة في دين الإسلام ومعروفة عند المسلمين مما سبق بيانه وتكراره .

٩ـ لا يظنن مغفَّل أن المبالغة في صغائر المعتقدات المرتكزة على نصوص ظنية الثبوت أو الدلالة كان نتيجة لأهمية تلك العقائد المتنازع فيها وإنما كانت المبالغة في تلك المعتقدات نتيجة من نتائج الصراعات السياسية بالدرجة الأولى ، ثم الصراعات المذهبية أو حب العلو في الأرض والتفرد بالزعامة نتيجة التحاسد والتنافس بين العلماء ، وبعض هذا نتيجة غفلة الصالحين مع استغلال سلطوي حتى ينشغل الصالحون في خصومات ثانوية لا أهمية لها .

١٠ـ تحولت العقائد إلى عمل فكري محض ليس له أثر على السلوك ، وهذا التحول كان له أبلغ الأثر في تنازع المسلمين وتفرُّقهم عندما اشتغلوا بالأقوال عن الأفعال ، وتلك الأقوال جرَّتهم إلى التنازُع والتدابرُ والتخاصم .

١١ـ إذا كان المسلمون في الماضي معذورين إلى حدٍّ ما في التنازع لقوة الخلافة وضعف الكفار ، وظنهم أن تنازعهم لن يكون له الخطر المستقبلي على الإسلام وأهله ، فليس لهم اليوم مبرِّر لهذا التنازع مع ضعف المسلمين السياسي والاقتصادي والعسكري ، وعلى هذا فالاعتصام بحبل الله والالتقاء على الخطوط العريضة أمر واجب لا يصدُّ عنه إلا مشارك في الجرائم التي تنفَّذ ضد المسلمين في أقطار الأرض من فلسطين إلى البوسنة إلى الشيشان .

١٢ـ أصبحت العقائد في الأزمنة المتأخرة لا تعني إلا الانتصار لما شذَّت به الطائفة عن سائر المسلمين مع التقوقع على هذا ، وكأنه الإسلام ذاته !! مع الضيق في ذلك والتفصيل

المبالغ فيه والولاء والبراء في ذلك ! مع إقناع النفس بجهل وتعصب بمساعدة الشيطان بأن زمننا هذا زمن فتنة وبلاء !! وأننا نحن غرباء !! الذين أخبر النبي ﷺ بأنهم يصلحون إذا فسد الناس !! وأن الله قد أمر بالصبر على الحق ! ولكننا في الوقت نفسه ننسى أن الله أمر بالتواصي بالحق ، ونحن لا نتواصى بالحق بل نتآمر ونمكر المكر السيء ، وننسى أن الواجب أن نعرف قبل أن نعلن الاختلاف أن ما نفعله حق أولاً بعد ذلك نتواصى بالصبر ، أما أن نتواصى بالصبر على انتقاص علي بن أبي طالب وأهل بيته وحب ظلمة بني أمية وتكفير أبي حنيفة وسائر المسلمين إلا نحن ؛ ونتواصى بالصبر على الكذب على رسول الله ﷺ وتبرير هذا الكذب بأنه مندرج تحت أصل !! ونتواصى بالتشبيه الصريح لله جل جلاله بخلقه بناء على الإسرائيليات والأساطير . . . فهذا كله ليس من الحق الذي نؤجر على الصبر عليه !! إنما نؤجرَ على الصبر على الحق الواضح المبني على قطعي الثبوت والدلالة من أدلة الكتاب والسنة ، فالحق الذي ذكره الله في كتابه وأخبر به رسوله ﷺ ليس بهذا الخفاء بحيث لا يهتدي إليه إلا الغلاة !! لهذا علينا أن ننصح أوضاعنا العلمية والعملية وفق النصوص الشرعية لا ما تسوَّله لنا أنفسنا وغفلتنا وقناعتنا الخادعة بأننا أحسن الناس إيماناً ، لأن الإيمان ليس بالتحلِّي ولا بالتمني وإنما هو قول وعمل ومنهج عدل وعلم وصدق وتثبُّت .

١٣ـ أسرف غلاة العقائديين في التكفير والتبديع والتضليل مع الاستعداء السياسي والاجتماعي ضد المخالفين لهم في اختياراتهم الدقيقة التي تكون خاطئة أيضاً ؛ وهم مع هذا يسرفون أيضاً في الكذب على الخصوم والافتراء عليهم .

١٤ـ غلاة العقائديين من أقل الناس فهماً لحجج المخالفين نتيجة قيام العقائد عندهم على التقليد والتسليم دون اعتراض على ظلم ولا حديث موضوع ولا إساءة في حق الله ، وبالتالي هم من أكره الناس للبحث العلمي لأنه يشكل الخطر الأول على الأخطاء المتوسدة بطون تلك الكتب التي اتخذوها مصاحف يتحاكمون إليها .

١٥ـ غلاة العقائديين من أجهل الناس في طرق الاستدلال ومع هذا الجهل يأتي التعصُّب ومهاجمة المخالفين أدنى مخالفة لأنهم أحرص على حماية المذهب والدفاع عنه أكثر من حرصهم على الإسلام نفسه ، ولذلك تكثر المؤلَّفات والرسائل في تدعيم أخطاء المذهب ويتركون الدفاع عن الإسلام بل يهاجمون من يدافع عن الإسلام ، إذ أصبح به سمعة وشهرة ، لأنهم يعلمون بأن مثل هذا لا يمكن أن يقرَّ أخطاء المذهب ! ويخشون من

أن يتأثَّر به الشباب ! فلذلك يسارعون في مهاجمة الناجحين من علماء المسلمين لينفِّروا الناس عنه من البداية ، وما مهاجمتهم للقرضاوي ، والكبيسي ، والزرقاء عنا ببعيد .

١٦ـ لكل أصحاب عقيدة مغالية سلفٌ يعتصمون بهم أكثر من اعتصامهم بالنصوص الشرعية الصحيحة من كتاب أو سنة ؛ ويغالون في أئمتهم ، ويجعلون حبَّهم علامة الإسلام والسنة وبغضَهم علامة الكفر أو البدعة في أقل الأحوال بينما يذمون أئمةً آخرين لمذاهب أخرى متعصبة يرَون في أئمتهم الرأي نفسه فيصبح الناس أحزاباً بهذه الجهالات التي ما أنزل الله بها من سلطان وليس لهم فيها من حجة إلا كما لخصومهم في أئمتهم ، وما دام الاعتصام والتمحور هو حول الأشخاص لا حول الإسلام ؛ فلينتظر المسلمون اتفاقاً قريباً وتعاوناً على البر والتقوى وتوحيداً للصفوف !! .

١٧ـ غلاة العقائديين لا يتحاكمون للكتاب والسنة وإنما يتحاكمون لاختيارات منسوبة لبعض العلماء أو ردود أفعال لخصومات سلفهم ويرَون من الناحية النظرية أنه يجب ردَّ التنازع فيه لله ورسوله لكن من حيث التطبيق لا يردُّون المتنازع فيه إلا لما يختاره علماؤهم وهذا نتيجةٌ من نتائج التقليد التي سبق أن تكلمنا عليها فيما سبق .

١٨ـ يقوم أصحاب كل عقيدة مغالية وأغلب العقائد اليوم مغالية بإضفاء الممادح الكبيرة على سلفهم ذلك المدح الذي يقنعون به العوام على أنهم على شيء !! والغريب أن هذا يتمُّ مع نهيهم عن الغلو في الصالحين ! وأن الشرك بالله كان بسبب الغلو في الصالحين !!

١٩ـ مصطلح « السلف الصالح » أصبح عائماً يدور مع المذهبية حيث دارت ، ولكل فرقة سلفها الصالح !! ويتم احترامهم لشخصيات السلف أكثر من احترامهم للنبي ﷺ بلسان الحال ؛ بل أصبحت الخشية من مخالفة بعض رموز السلف أكبر من خشية مخالفة نصوص القرآن الكريم ، لأن مخالف أحد العلماء من السلف سيجرُّ المخالفَ للمعارضة والاتهامات في دينه وعرضه بينما مخالفة نصوص القرآن الكريم لا يجد فيه هذا الصخب ، خاصة إذا كانت هذه المعارضة تخدم المذهبَ وتنصره على المذاهب الأخرى للسبب نفسه الذي ذكرناه سابقاً من تمحور المذاهب حول الأشخاص لا حول النصوص الشرعية ، ويقصد غلاة العقائديين بالسلف الصالح مَن وجدوا في كلامه ما يؤيِّد اختياراتهم العقدية ، بل بعضهم يستبعد الصحابة من المهاجرين والأنصار من السلف الصالح ، ولا يعتبرون سلفية كبار التابعين إلا إذا وجد في كلام أحدهم ما يؤيد سلفهم من القرون اللاحقة فإن

وجدوا في كلامه ما يؤيد هذا فإنهم يعتبرونه من السلف في هذه القضية خاصة .

٢٠ـ يجمع غلاة العقائديين عقائدهم من متناثر أقوال علماء سابقين ، فيجمعون هذا إلى هذا لتخرج لهم (منظومة عقدية) !! يعادون فيها ويوالون فيها ، ولا يتركون لغيرهم أن يجمع كما جمعوا ، ولا أن يعود للنصوص الشرعية بحجة (زيغ) من اعتمد على نفسه في معرفة النصوص الشرعية !

٢١ـ **السلف الصالح** أصبح صلاحه يضبط بالالتزام المذهبي وليس بالنصوص الشرعية ، فكلما كان الرجل متعصباً ملتزماً بحرفيات المذهب فاحش القول عبوساً يهجر إخوانه المسلمين كلما انسالت عليه المدائح والتزكيات والوصف بالصلابة في السنة والإمامة في الدين !! والشدة على المخالفين ! وربما أتاه الشيطان مزيّناً له سوء عمله ليراه حسناً ويقول له : جُزيت خيراً عن أمة محمد !! فلولاك لضاعت العقيدة وتغلَّب أهل الشر !! وانخدع العوام بهؤلاء الذين أضلَّهم الشيطان على علم !! أنت في الشدة على هؤلاء كعمر بن الخطاب في شدته على المنافقين !! انظر للقبول الذي كتبه الله لك !! يكاد أتباعك يقتلون كل من خالفك !! الله أكبر . . . وهكذا يستمرُّ المسكين في تسليط لسانه وما أوتي من قوة إن وجدت في محاربة الصالحين ظناً منه أنهم يريدون إضلال الناس وأن الله بعثه لجهاد هؤلاء ! فيكون ممن قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٤] .

٢٢ـ معظم الكتب المؤلَّفة في العقائد عند غلاة العقائديين فيها أكثر من الحق لاحتوائها على البدع والأحاديث الموضوعة والتكفير ، والظلم والجهل . . . الخ .

٢٣ـ يجب أن تقوم الجماعات الإسلامية عندنا في المملكة خاصة بالمبادرة بنقد كتب العقائد بل قبل أن يفقد الناس ثقتهم فيها ، وأن يتيحوا لطلابهم حرية نقد كلام البشر من غير الأنبياء صلوات الله عليهم نقداً نزيهاً مدلَّلاً بالأدلة الشرعية .

٢٤ـ يجب رحمة المسلمين جميعاً ، فالإسلام رحمة ، والنبي ﷺ بعثه الله رحمة للعالمين ، فحوَّله بعض الناس بضيق تصوراتهم إلى عذاب إذ أصبح كل المسلمين عند هؤلاء ذوي الأفق الضيق مبتدعين ضالين لا تنالهم الشفاعة وأصبحت الجنة في نظر بعض طلابنا مقصورة على الحنابلة ومحبيهم !! مثلما يظن غلاة الشيعة أن الجنة مقصورة على من كان على اعتقادهم وكذلك غلاة الخوارج وكل الغلاة من جميع الطوائف .

بعد هذا كله يجب أن يعرفَ الإخوة الذي يقرؤون هذا الكتاب أنني أتحدث معهم بكل

بساطة بلا تنطُّع ولا رياء ولا نفاق ، فما أراه حقاً أكتبه ، وكأنني مع إخواني في بيتي وأترحم على الجميع من السابقين والمعاصرين ، فكل مسلم أرجو لي وله الجنة ، وأخشى عليه وعلى نفسي من النار ، سواءً كان هذا المسلم سنياً أو غير سني ، فالمقاييس عندي ليست في مضائق الاعتقادات إنما المقاييس هي أركان الإيمان الكبرى ، وأوامر الله عز وجل الظاهرة ونواهيه الظاهرة ، تلك الأوامر والنواهي التي لا يختلف فيها المسلمون ، فمن قام بها فقد قام بحظ وافر ونرجو له النجاة والجنة .

صراحتي معكم أيها الإخوة القرَّاء ربما كانت نتيجة ردة فعل لوضعِنا العلمي المغلَّف بالاحتياطات المبالَغ فيها !! التي أصبحت تَحُول دون الوصول للفكرة نفسها ، فنجد الواحد منا في المجلس أو الدرس أو الكتاب يتحدث حديثاً غير مفهوم ، يحوم حول الحمى حمى التقليد والتعصب دون نقد واضح ولا موافقة واضحة ، وأصبح التوصل إلى رأيه يحتاج لتحليل المفردات والأساليب وكأننا في محكمة استئناف !! .

لماذا كل هذا ؟! ألسنا مسلمين ؟! ألسنا نردِّد بأنه كلٌّ يؤخَذ من قوله ويُردُّ إلا صاحب هذا القبر ؟! .

إذن لماذا الحساسية من نقد الكتب التي ألَّفناها وألَّفها خصومنا على حد سواء ، لماذا الشدة المبالَغ فيها على كتب الآخرين واللين المبالَغ فيه عند تناولنا لكتبنا أو كتب علماء مذهبنا ؟! ألم نقرر بأن من أنواع الشرك شرك الخوف وشرك المحبة . . . الخ .

إذن لماذا نحبُّ بعض الناس كحبنا لله ونخشى آخرين كخشيتنا لله أو أشد خشية ؟!

لماذا نخشى أن يتكلم فينا فلان أو فلان ؟! وكأن فلاناً هذا يمتلك أن يدخلك ناراً تلظَّى أو يوصلك الفردوس الأعلى ؟! .

فلان هذا الذي تخشى أن يبدِّعك ويضلِّلك بشر مثلك ليس بيده شيء ؟ هو مسكين فقير إلى الله مثلك ، وإذا تكلَّم فيك فليس معناه أن يحكم على الله ، فالتكفير والتبديع الحقيقي إنما هو بيد الله ثم بيد رسوله ﷺ أما البشر فلا عليك من تقييمهم وتعصبهم إذا علمت أنهم مقلِّدون في الجملة ، وهم يحكمون عليك دون قراءة لما تكتب ولا فهم له ؛ ولو عرف هؤلاء وظيفتهم وحدودها لانشغلوا بأنفسهم وإصلاحها فكراً وعملاً .

نحن لا نقول ولا نستطيع أن نقول أن ما نكتبه سليم من الأخطاء ويستطيع القارىء المبرمج ببرنامج البربهاري أن يلزمك بأمور لا تلزم ، ويربط بين قول لك هنا وقول لك

هناك لتخرج (زنديقاً لا تدين لله بدين) !! ؛ لكن المؤمن لا يهتزُّ لمثل هذا لعلمه بنفسه وبنيته أما الخائف الشاكُّ في نفسه الحريص على الدنيا والمصالح والسمعة وتقبيل الرؤوس فلا يظهر للناس إلا ما يمدحونه به !! ويثنون على (عقيدته) وحسن نصرته للسنة والدعوة إلى الله إلى آخر المصطلحات البرَّاقة التي لا يردِّدها في هذا المقام إلا جاهل بها أو مخالف لها .

زمننا هذا أيها الإخوة لا يحتمل تقوقعنا على مخلَّفات الخصومات الظالمة مع إهمالنا لكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ .

أدري أن هذا الكلام هنا قد يكون عاماً لكن هذا الكلام العام قد تم تفسير بعضه في هذا الكتاب .

وقبل الختام ، أقول إن السلفية سلفيتان :

١ـ سلفية قريبة من منهج السلف الحقيقيين ، وهي تعمُّ كلَّ الذي ينطلقون من الكتاب والسنة ولا يأنفون من محاكمة الأقوال والمعتقدات إلى هذين الأصلين .

٢ـ وسلفية زائفة لا دخل للسلف بها ؛ وهذه السلفية الزائفة تقوم على أصلين عظيمين وهما الكذب والظلم ، ولهذا القسم نماذج بيننا لها سطوتها ووسائلها وكذبها الذي تبرره وظلمها الذي تظنه عدلاً ، وهذه السلفية المزيَّفة قد يغترُّ بهم العاميُّ البليد ، ولكنهم من أضرِّ الناس على العلم وطلبة العلم بل وعلى العلم نفسه والعقل نفسه ، وقد ابتلي بهم الإسلام عبر القرون ، وكانوا من الأسباب الرئيسة لهوان المسلمين وذلَّتهم وضعفهم وتمزقهم ولا زالوا إلى اليوم يفتكون في الجسد الإسلامي .

وهناك سلفيات تقترب من هذا الطرف أو ذاك بحسب ما تستطيع من البحث والتعقُّل ، فكلما ازداد بحثها وعلمها ازداد اقترابها من السلفية المعتدلة سلفية النصوص الشرعية وسلفية الصحابة من المهاجرين والأنصار والعكس صحيح ، كلما ابتعدت الفرقة السلفية عن العلم والبحث العلمي بمعناه الصحيح لا المدَّعى كلما اقتربت من السلفية المزيَّفة القائمة على الأصلين العظيمين اللذين سبق الإشارة إليهما وهما الكذب والظلم ، وبهذا نستطيع معرفة السلفي الصادق العادل الصالح ومعرفة السلفي الكاذب الظالم الفاسد ؛ وإذا لم نفرِّق بين هذه السلفيات فإننا بهذا نكون قد جمعنا بين المتناقضات وأصبحنا محل سخرية العالم .

أخيراً أقول : لا يظنَّنَّ ظانٌّ أنني تعمَّدت استقصاء أخطاء غلاة الحنابلة في العقائد ، فإني لم أذكر إلا نماذج فقط ، ولم أذكر معظم ما أعرفه ، فضلاً عن البحث عما لا أعرفه في هذا الجانب ، ولو حاولتُ الاستقصاءَ في هذا الجانب لخرج البحث عن هذا الاختصار الذي ترون .

وهذا لا يعني خلوَّ المذهب الحنبلي من محاسنَ ومعتدلين ، وقد نجد الرجل غالياً في جانب ، معتدلاً في جانب آخر ، وإن شئتم راجعوا كتب العقائد وأبوابها وستجدون التعصب والأخطاء العقدية تحت معظم الأبواب ، فمثلاً ليس هناك أصح من أن تجد باباً بعنوان الحث على اتباع السنة وترك البدعة ، لكن يا ترى ماذا يريد واضع هذا الباب بالسنة والبدعة ؟!!

أظن أنه قد سبق شرح ذلك فلا تغترُّوا بالأبواب التي يضعها العقائديون الغلاة ، فهي كالنار البيضاء لطبخ لحم الميتة .

أسأل الله عز وجل لي ولكم أن يرينَا الحقَ حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل »[1] .

* * *

(١) قراءة في كتب العقائد : حسن المالكي . ص ١٨٦ـ ١٩٥ .

المبحث السادس
السلفية والوهَّابية

* * *

المطلب الأول : نسبة الوهَّابية[1]

إن مصطلح السلفية كان مستعملاً في القديم ولكن تخصَّصت به الوهابية في العصر الحديث ، (وكان مفهوم السلفية نفسه مختلطاً في الفكر الإسلامي الحديث ، ويختلط فيه المنهج والنموذجُ بالمذهب الذي يتبنَّى آراء فقهية بعينها ، وبجماعات تنسب إلى السلفية كما كانت السلفية في الوعي الثقافي قرينة الرجعية ، وضد التقدُّم ، وذلك بتأثير الرؤية الغربية التي أصّلت مبدأ النظر إلى السلفية كمرادف للتأخُّر والرجعية والعداء للتحضر والعقلانية . . .)[2] .

وتبلورت هذه المفاهيم عن السلفية منتصف القرن العشرين ، وبالأصل فإن كلمة السلف الصالح مأخوذة من قول الرسول ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها : « فإنه نعم السلف أنا لك »[3] .

فالسلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم ، المهتدون بهدي النبي ﷺ

---

(١) الموسوعة الميسرة : الرياض ، ص ٢٧٣ .

(٢) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د . أحمد الطحان ، ص ٤٧٧ـ٤٨٨ .

(٣) جزء من حديث ، رواه البخاري في كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدي الناس برقم ٥٩٢٨ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل سيدتنا فاطمة برقم ٦٤٦٧ ، وكليهما عن السيدة عائشة .

المحافظون على سنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه ، ورضيهم أئمة للأمة ، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وأوفوا في نصح الأمة ونفعهم ، وبذلوا في رضاء الله أنفسهم ، فالسلفيون نسبة إلى السلف ، وأهل السنة والجماعة ، وأهل الأثر ، وأهل الحديث ، وأهل التفسير والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل الاتباع ، كلهم سلف .

ومن الخطأ أن تقتصر كلمة سلف على جماعة خاصة ، وينفونها عن الآخرين الصالحين المصلحين الراشدين المرشدين .

والوهابية نسبة إلى « محمد بن عبد الوهاب » (١٧٠٣ـ ١٧٩١م) ، والذي شغلته مسألة التوحيد ، (التي تلحُّ على تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك) ، واعتبر العالم الإسلامي يشرك مع الله كثيراً .

لقد انتشرت الوهَّابية بفضل التحالُف الذي قام بين أسرة آل سعود وعائلة الشيخ ابن عبد الوهاب ، بدءاً من الأمير « محمد بن سعود »[1] الذي حكم خلال الفترة (١١٣٩ـ ١١٧٩هـ) ، ثم ابنه « عبد العزيز بن محمد »[2] (١١١١ـ ١٢١٨هـ) ، وخاصة بعد إعلان الدولة والمملكة العربية السعودية رسمياً عام ١٩٣٢م .

وخاضت الوهابية والأسرة السعودية حروباً ضدَّ مخالفيها من سنة وشيعة لا سيما بعد استيلائهم على الطائف ومكة سنة ١٩٢٥م ، وجعلت الوهابية المذهبَ الحنبلي المذهب المعتمد دون سواه ، وألغت ما سواه حيث كانت تدرِّس المذاهبَ الأربعة في الحرمين الشريفين وفي كل أنحاء السعودية (ومع توفُّر الإمكانيات المالية الهائلة ، واشتداد الصراع السياسي بين النظام في المملكة العربية السعودية وخصومه من الأنظمة العربية

---

(١) محمد بن سعود بن محمد بن مقرن نسبة إلى مرة بن ذهل بن شيبان من عدنان : أول من لقِّب بالإمامة من آل سعود في نجد ، وكان مقامه بالدرعية ، ولي الإمارة بعد وفاة أبيه فحسنت سيرته وقويت شوكته . توفي (١١٧٩ هـ) . انظر : الأعلام : الزركلي . ١٣٨/٦ .

(٢) عبد العزيز بن محمد : هو ابن محمد بن سعود إمام من أمراء آل سعود في دولتهم الأولى ، كانت عاصمته الدرعية بنجد ولي بعد وفاة أبيه واتسع نطاق الدولة في أيامه فسحق خصومه حيث وصلت غزواته إلى عسير غرباً وامتد ملكه من شواطىء الفرات إلى رأس الخيمة وكان مغواراً شديد البأس لا يمل الحروب ، توفي مقتولاً بالدرعية سنة (١٢١٨ هـ) . انظر : الأعلام : الزركلي . (٢٧/٤) .

والإسلامية ، فقد سعت المملكة إلى مواجهة الدعوات القومية أو الإسلامية الثورية)[1] .

وقام الحلف بين آل سعود وأسرة ابن عبد الوهاب ، على أن يكون لآل سعود السلطة الزمنية ، وللوهابية السلطة الدينية ، وأعلن ابن سعود المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٢م ، وأصبحت الوهابية مؤسسة تبريرية للحكم ودعماً له ، وشريكاً في السلطة .

المطلب الثاني : مناهج السلفيين والوهابيين

(فالسلفيون يقيمون سلفيتهم على ثلاثة أصول علمية أساسية : هي التوحيد ، والاتباع ، والتزكية ، ويطالبون بتوحيد المسلمين حسب عقيدتهم ورأيهم ، ونفي الشرك والتعصب والخرافة والجهل عن المسلم ، وتنقية المجتمع الإسلامي من الشرك والبدع والخرافات والخلاعة والمجون بإيجاد بيئة نظيفة لتربية المجتمع ، ومحاربة الانحلال والأفكار الدخيلة وفيها الملاحدة والشيوعيون والزنادقة ، وتخليص العالم الإسلامي من أعداء الإسلام . . .)[2] .

وسنناقش آراءهم وسلوكهم فهل استطاعوا تحقيق ذلك أو زادوا الطين بلة في فرقة المسلمين وتناصرهم .

ويمكن البحث عن أمور الوهابية في ناحيتين ، في العقيدة ثم في السلوك الإسلامي .

أما في العقيدة : فطالبت بتوحيد الأسماء والصفات ، ونفي التأويل والمجاز في صفات الله .

أما في السلوك : فقد اعتبرت أخطاء المسلمين أو تقصيرهم واجتهاداتهم التي تخالف اجتهادات الوهابية كل ذلك بدعة وفسق وشرك ، كزيارة القبور وبنائها والتوسل ، ومولد النبي ﷺ .

وخصّوا بالتكفير الأشاعرة لا سيما المتصوفة خاصة ثم من خالف اجتهاداتهم الذين يرتكبون البدع في نظرهم ، واعتبروا أنفسهم أنهم الفئة الناجية من النار وما سواهم هلكى ، معتمدين على حديث رسول الله ﷺ : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

---

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ص٥٧١ .

(٢) الحركات الإسلامية بين الفتن والجهاد : د . الطحان ، ص ٢٨٦ وما بعدها .

النار »[1] ، وحديث رسول الله ﷺ : « إنَّ أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها »[2] .

والبدعة هي كل ما أُحدث واختُرع على غير مثال سابق فلذلك تنقسم البدعة إلى بدعة حسنة وإلى سيئة ، وهذه البدع تُعرَض على الشريعة فإذا كانت مناسبة لها فنعم البدعة ، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح ، وقد أضاف النبي ﷺ للصحابة الكرام بقوله : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين »[3] .

فليس كل جديد بدعة . . . فاستنبط العلماء من ذلك أن العرف بقيود معينة من مصادر الشريعة[4] .

وللبدعة تعريفان : (**الأول** : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل .

الثاني : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية .

. . . والمقصود من قوله « في أمرنا هذا » الدين الذي لا مجال لأحد أن يزيد فيه أو يغيِّر سوى المشروع الحكيم ، وأما سائر الأفعال والتصرفات الأخرى التي تصدر عن الإنسان دون أن يتصوَّر أنها من بنية الدين وجوهره ، وإنما يأتيها ابتغاء تحقيق هدف أو مصلحة له دينية كانت أو دنيوية ، فهي أبعد ما تكون عن احتمال تسميتها بدعة بل سنة حسنة ، . . . ومن أمثلة السنّة الحسنة الاحتفالات التي يقوم بها المسلمون عند مناسبات معينة كبدء العام الهجري ، ومولد المصطفى ﷺ ، والإسراء والمعراج ، وفتح مكة ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم ١٤٣٥ . وابن ماجه في سننه افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم ٤٢ . وأبو داود في سننه كتاب السنة ، باب في لزوم السنة برقم ٣٩٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب الهدي الصالح برقم ٥٦٣٣ . وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله برقم ٦٧٣٥ . والنسائي برقم ١٥٦٠ . والإمام أحمد في مسنده برقم ١٣٨١٥ ١٣٩٠٩ ١٤٤٥٥ .

(٣) الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد : د . أحمد الطحان ، ص ٤٧٧ـ٤٨٨ .

(٤) بحر الحقائق ولب الرقائق : د . عبد الحميد الكندح الصيّادي الرفاعي ، ص ١٩٠ وما بعدها ، دار الألباب ، دمشق ، حلبوني ، ط٢٠٠٦م .

وغزوة بدر ونحوه ، مما يتوخّى منه تحقيق خير يعود إلى مصلحة الدين ، فهذه الأحداث لا يعتقد أنها جزء من الدين ، ولكنها داخلة في قوامه وصلبه ، فلا يظن أن الذي أهمل الاحتفالات ارتكب وزراً ، إنما هي نشاطات اجتماعية يتوخّى منها تحقيق خير ديني . . .)[1] .

فالحياة تتطور بشكل دائم وليس هذا الجديد إلا بدعة .

لقد اختلف علماء الإسلام في المسائل الفقهية الفرعية ، والتي لم يرد فيها نص صريح ، فذهب اجتهاد كل منهم إلى ما اطمأنت إليه نفسه ، وإلى ما وصل به اجتهادهم وتفكيرهم ، وكلهم كانوا يطلبون الحق ، ولكن أحداً منهم لم يعِبْ على غيره ولا أنكر ما أدَّاه إليه اجتهاده . . . وكان المجتهدون كلهم مأجورين ، ولكن الوهابية أعادت الصراع الذي حصل في القرن الثالث ، والاختلافات في المتشابه والحقيقة والمجاز وفي التأويل ، حيث ظهرت جماعة أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة .

أما أهل السنة والجماعة[2] فكانوا يتألَّفون من جماعة الأشاعرة ، وهم أصحاب « أبي الحسن الأشعري » ، والماتوريدية وهم أتباع « أبي منصور الماتوريدي » ، وجماعة

---

(١) السلفية ، د . البوطي ، ص٣ وما بعدها .

(٢) (مذهب أهل السنة والجماعة) هو المذهب المعتدل بين مذهب أهل الجبر ، ومذهب حرية الإرادة ، وهو مذهب ضمَّ الأشاعرة والماتوريدية ومذاهب رجال الحديث المعتدلين ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة وطوائف الزهَّاد والعبَّاد الذين انطلقوا من مدرسة الحسن البصري وساروا على خطاه ومنهم المتصوفة ، و(مذهب الأشاعرة) أتباع أبي الحسن الأشعريّ ، لا يمكن للعقل أن يعرف حكم الله في أفعال المكلَّفين إلا بواسطة رسله وكتبه ، لأنَّ العقول تختلف اختلافاً بيِّناً في الأفعال ، فبعض العقول تستحسن بعض الأفعال ، وبعضها تستقبحها . فمقياس الحسن والقبح في هذا المذهب هو الشَّرع لا العقل . وعلى هذا المذهب لا يكون الإنسان مكلَّفاً من الله بفعل شيءٍ ، أو ترك شيءٍ إلا إذا بلغته دعوة الرَّسول وما شرَّعَه الله ، ولا يثاب أحد على فعل شيءٍ ولا يعاقب على ترك أو فعل شيء ، إلا إذا علم من طريق رسل الله ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه . . . ،﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، (مذهب الماتوريدية) أتباع أبي منصور الماتوريدي ، وهذا مذهب وسط معتدل . . . فهؤلاء وافقوا المعتزلة في أنَّ حسن الأفعال وقبحها مما تدركه العقول بناءً على ما تدركه من نفعها وضررها ، وخالفوهم في أنَّ حكم الله لا بد أن يكون بما يوافق حكم العقل ، وفي أنَّ ما أدرك العقلُ حسنَه فهو مطلوبٌ منه فعله ، وما أدرك العقل قبحه فهو مطلوب منه تركه ، ووافقوا الأشاعرة في أنَّه لا يعرف حكم الله إلا بواسطة رسله وكتبه ، وخالفوهم في أنَّ الحسن والقبح للأفعال شرعيٌّ لا عقليٌّ .

السلف ، . . . ولقد كان أهم اختلاف بينهم هو الاختلاف في مدلول اللفظ ، وتأويل المتشابه ، وخاصة في موضوع صفات الله . ولم يكفِّر أحدهم الآخر ، وكان الاختلاف :

أولاً : الاختلاف في تأويل المتشابه :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران :٧] . لقد وقع الاختلاف في تفسير بعض أمور في العقيدة ، وحيث أن العقل البشري عاجز عن إدراك الغيب إلا عن طريق السماع الصحيح المتواتر عن رسول الله ﷺ ، ومن الغيب صفات الله ، كنور الله ، ويد الله ، ومعية الله ، وعرش الله ، واستواء الله ، وكان الاختلاف في :

١ـ ما يُعزى إلى السلف [وهو اعتقاد اللفظ مع التنزيه ونفي التشبيه] : فمثلاً (يد الله) هي يد ولكن ليست كيدنا . ونفي صفات المعاني كالمعتزلة .

٢ـ التأويل بما تحتمله اللغة العربية وطرق المجاز : وهو المذهب « الأشعري » ويثبتون صفات المعاني : كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والكلام والبصر . وهو أن هذه المتشابهات صفات لله عز وجل لا نعرف كنهها ولكننا نؤمن بها كما جاءت ونؤولها ، فمثلاً (يد الله) ، نفسرها (بقوة الله) ، والمؤوِّلون إنما أرادوا خدمة الإسلام حيث أرادوا إنقاذ العامة من شبهة المتشابهات .

٣ـ التفويض : فلانخوض في هذه العبارات لأنه لم يصل إلينا شرح النبي ﷺ وتفسيره لها ، ونفوضها لله ، وكان كثير منهم يقول : اللهم إيماناً كإيمان العجائز .

واعتمد الوهابيون الرأي الذي يعتمد مدلول اللفظ الظاهر مع التنزيه ونفي التشبيه والتصُّور ، فأيضاً وقعوا في المحذور نفسه حيث قالوا مثلاً : لله يد ، ولكن ليست كيدنا ، فوقف العقل عاجزاً عن تفسير هذه اليد ، بينما رأي الأشعريين بالتأويل والمجاز أقرب للعقول ، حيث قالوا : يد الله ، تعني قوة الله ، . . . و ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ، الرحمن بمعنى الرحمة على العرش استوت ، أو فسَّروا الاستواء بمعنى القهر والغَلَبة ، وهذا يوافق الأساليب العربية المعتمدة .

كل التأويلات التي قام بها العلماء على اختلاف مذاهبهم هي لنفي التجسيم والتحديد والتشبيه لله عز وجل ، ولكن الوهابيون كفّروا وبدّعوا من خالفهم ومن أخذ بالتأويل ،

وكان الأحرى بهم أن يقولوا : إنَّ الذين أوّلوا الصفات اجتهدوا فأخطؤوا ، وكان الأولى أن يسلكوا هذا المسلك بدل أن نرميَهم بالزيغ والضلال .

ولعل عذرهم بالماضي عندما رأوا النصارى يجعلون المسيح ابن الله ، وحين ظهرت فرق تجسِّم الله وتجعله يحلّ بالبشر ، أو يأخذ البشر صفة من الألوهية ، قام المجتهد « ابن تيمية » وينفي كل تأويل .

فلا يجوز التكفير والتفسيق والتبديع لمجرد المخالفة ، ولا سيما في أمر اجتهادي ، ولا يجوز التكفير لمن شهد الشهادتين إلا أن يُنكر ما عُلم من الدين بالضرورة أو إنكار للمتواتر أو المُجمَع عليه أنه ضرورة من الدين ، أو أنكر النبوة ، أو أنكر وجود الله .

ثانيا : الاختلاف في النية :

والنية أساس الأعمال في الإسلام « إنما الأعمال بالنيات »(١) ، فلا يجوز أن نتَّهم مسلماً في نيته حتى نسأله عن قصده ، ونتأكد من علمه أو جهله ، ويجب التأكيد على أنَّ الكلام يقسم إلى حقيقة ومجاز ، ويجب التفريق بينهما ، فمثلاً في موضوع :

أـ التعظيم : قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . . ﴾ [الحج :٣٠] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج :٣٢] فالمسلمون يعظِّمون الكعبةَ المعظَّمة والحجر الأسودَ ومَقَامَ إبراهيم عليه السلام ، مع أنها أحجارٌ ، وكذلكَ مَسَّ الركن اليماني وتقبيلَ الحجر الأسود ، والصلاةَ خلفَ المقام ، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وبابِ الكعبة والملتزمِ وهي أماكن وأحجار ، وفي كل ذلك لا يعبدون إلا الله تعالى ، ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضراً ، فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى ، ومن هنا إذا كان التعظيم نيته الله تعالى فليس فيه شرك .

ومن أكبر أخطاء الوهَّابيين أنهم لم يفهموا قواعد البلاغة العربية والأسلوب العربي ، فكل الكلمات والجمل قد يكون لها معنى حقيقي ، ومعنى مجازي ، كما ذكرت ، والأمثلة كثيرة على ذلك .

ب ـ فاعل الفعل : قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص :٥٦] قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١) مسلم في كتاب الإمارة ، باب قوله : « إنَّما الأعمال بالنيات » برقم ١٩٠٧ .

﴿ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ففي هاتين الآيتين يشير فعل الهداية أنَّ الفاعل بالأولى الله عز وجل ، وفي الثانية البشر ، فهل هناك تعارض فيهما ، لا ، فكل من يعلم أسلوب اللغة العربية يعلم أنَّ فعل البشر ، غير فعل الله تعالى ، فكل هداية لها خصوصيات .

ومثل ذلك ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٧] ، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٠] ؛ فلا تعارض بين الآيتين ، فالأولى تشير أن الفاعل هو رسول الله ﷺ ، وفي الآية الثانية الفاعل هو الله ، وهذا يعرف من سياق الآية ودلالة اللغة العربية ، ومن أهم دلالة اللغة العربية المجاز العقلي واستعمالاته :

مثال المجاز العقلي واستعمالاته : قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢] .

فهل الفاعل هو التلاوة ، أو الفاعل هو الله ، فلا تعارض بينهما .

فإن إسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب الزيادة ، فالآيات هي سبب والله هو المسبب ، والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده .

والأمثلة في القرآن كثيرة ، مثل قوله : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل : ١٧] ، فهل الفاعل هو اليوم أم الله ؟

وكذلك قوله : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح : ٢٣-٢٤] ، فالفاعل الحقيقي هو الله لا الأصنام ، ولكن الأصنام هي السبب . وكذلك قوله : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر : ٣٦] والفاعل الحقيقي هم العمال لا هامان لأنهم هم السبب .

وكذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ١١-١٢] ، فالفاعل هنا ملك الموت . ولكن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر :٤٢] ، والفاعل هنا الله .

وكذلك كقوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ [الواقعة :٦٣] .

وكقوله : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ [عبس :٢٥-٢٧] ، **فهنا** فاعلان ، فاعل الإنسان ، وفاعل هو الله .

كذلك قوله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال :١٧] ، وتشير الآية إلى فاعلين ، فاعل مسبب وفاعل هو الله الخالق .

والأمثلة في القرآن لا حصر لها .

ومن هنا نعلم : أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده ، فهو الفاعل والمخترع والموجد ، والمقدر لها ، والمريد لها ، ونسبة الأفعال لغير الله من نسبة المسبب إلى السبب أو الواسطة وارتباط المخترَع بالمخترِع ، والمصنوع بالصانع ، والسبب بالمسبِّب ، وهذا لا منافاة فيه ، لأن مسبِّب الأسباب هو الذي خلق الواسطة ، فيكون لكل فعل فاعلان .

١ـ فاعل بمعنى المخترِع الموجد وهو الله .

٢ـ وفاعل في الدنيا إن كان عاقلاً ، فهو ارتباط المعلول بالعلة ، وارتباط المخترَع بالمخترِع ، وإن كان غير عاقل ، فهو من ترتيب المسببات على أسبابها .

ج ـ الأحرف والكلمات بين الحقيقة والمجاز : والكلمات في اللغة العربية في أصل وضعها توضع على الحقيقة ، ثم تنقل إلى المجاز ، وسياقها في التركيب يدل على ذلك ؛ فمثلاً كلمة (على ، وفوق ، وتحت) قد تكون مكانية حقيقة ، وقد تكون معنوية مثل : (انتصر فلان على فلان) .

وكذلك الصفات الجسدية قد تكون على الحقيقة أو معنوية غير حقيقية على المجاز ومثال ذلك : أطرش ، أصم ، أبكم ؛ قال تعالى : ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة :١٨] ، فلا يقصد حقيقة تلك الصفات الجسدية .

وكذلك أعضاء الجسد يد : كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . . . ﴾ [الفتح : ١٠] ، بمعنى الخير والقوة ، أي قوة الله وخيريته .

ولقد دار نقاش حول كلمة أعمى في ورودها في القرآن ، فقال أحدهم وهو أعمى : إنها على الحقيقة ولا مجاز في القرآن الكريم ، فأجابه أحدهم : ماذا تقول في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] ، هل الأعمى في الدنيا هالك في الآخرة ، أو يُقصد بالعمى في الدنيا جحدان الحق والعمي عنه والبعد عنه . . .

وقد يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه مثل قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، والتقدير فاسأل أهل القرية ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، بمعنى وجاء أمر ربك . . .

فالألفاظ تكون على الحقيقة وتكون مجازية بالنسبة للقرائن والمقاصد ، وكثير من ألفاظ القرآن إن اعتبرت على حقيقتها يقع صاحبها في الشرك والكفر ، فمثلاً قوله تعالى : قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] ففعل (جعل) هنا لا يقصد به الجعل والخلق وإنما يقصد به الإظهار ، وقد حدثت فتنة خلق القرآن عندما جعلوا كلمة جعل على حقيقتها ؛ ومثلها قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] . وكقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، فهنا خلق الله للعمل بسابق علمه أما الاختيار فهو للعباد ، ومن الفهم الخاطىء في كلمة (خلقكم) ظهرت فرقة الجبرية التي قالت : إن الإنسان مجبر في أعماله ليس له اختيار ؛ وكقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] .

وقوله : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١] ، فهنا الروح لا يعلم كنهها إلا الله ، ولكن إضافة (نا) المضاف إليه للمضاف جعل إشكالية عند من يقفون على النص ، واعتبار اللفظ على حقيقته ، ولو أوّلوا روحنا ، بقوتنا ، أو روح من عندنا ، لما وقع كثير من الناس بتأليه عيسى حيث اعتبروا روح الله حلّت بعيسى .

المطلب الثالث : السلفية والتصوف

أولاً : السلفية بين الحاضر والماضي :

السلفية لم تكن مذهباً مقصوراً على فئة محدَّدة ، بل كانت تعني العصور الإسلامية الأولى ، والأَولى بالاقتداء والاتباع ، أخذاً بحديث رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينه شهادته »[1] ، وجاء في الحديث الصحيح : « . . . وإن بني إسرائيل تفرَّقت على اثنتين وسبعين مِلَّة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي »[2] .

فالالتزام بالمنهج الذي تمسَّك به السلف الصالح في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو سلفية ، لأنهم أولى الناس بفهم معاني كلام الله العربي المبين ومراميه ولنقاء فطرتهم الإسلامية ، وقد وضعوا قواعد لتفسير النصوص وتأويلها وأصول الاجتهاد والنظر في المبادىء والأحكام .

إنَّ أعداء الإسلام يهدمون الإسلام من الداخل والخارج ، بالحروب المعلنة وبالكيد للإسلام بالدخول فيه وتشويه صورته باسم الإسلام ، ومنذ القديم وإلى اليوم ظهرت فرق كثيرة تتسمى باسم الإسلام كذباً وزوراً وتأتي بكفر صريح وباطل محض ، ومثال على ذلك القاديانية ، (ومع أن علماء الأمة الإسلامية والحمد لله آمنوا بالإجماع بكفرهم الصريح وخروجهم من ملة الإسلام ، ولكنهم مع ذلك ينشرون مراكزهم في مختلف بلدان العالم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم ٢٤٥٨ . وكتاب المناقب ، باب فضائل أصحاب النبي برقم ٣٣٧٨ . ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم٤٦٠٠ـ٤٦٠١ـ ٤٦٠٣ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة ، باب شرح السنة برقم ٣٩٨٠ ٣٩٨١ . والترمذي في سننه كتاب الإيمان عن رسول الله ، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة برقم ٢٥٦٤ ٢٥٦٥ . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب مفسَّر لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه . وقال أيضاً : حديث حسن صحيح . والإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٣٢٩ . وابن ماجه في سننه كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم برقم ٣٩٨١ .

لا سيما بلاد إفريقية وأوروبة وأمريكة البعيدة عن مركز الإسلام)[1] .

ولا بد أن نذكر هذه الحقيقة : (وهذا الظلم والبهتان لم يُبتلَ به الإسلام فقط ، بل قد ابتُليت به السلفية أيضاً ، فنرى كذلك كل صاحب هوى وغرض يأتي بآراء شاذة وفاسدة ويسميها بالسلفية ، ويخدع بها البسطاء والسذَّج من المحبين للدين والسلف الصالح رحمهم الله ، وينشر فيهم الأفكار الخبيثة والآراء الباطلة المخالفة لأصول الدين ومذهب السلف الصالح وآرائهم ، ويتأثَّر الناس « المساكين » لدعاياتهم المكثفة ويغترُّون بها فيضلون ويهلكون ، وليس ببعيد ما جاءتنا به شرذمة « جهيمان العتيبي » في معقل الإسلام ومنبع الهدى بأم القرى ، . . ثم هم معتقدون بآراء وعقائد الخوارج الفاسدة ، . . . ونشروا الفساد وكل ذلك باسم « السلفية »)[2] .

إن جميع أئمة السلف السابقين لم يَقُلْ أحد منهم حاربوا المذاهب الأخرى واجعلوا مذهبي الوحيد المعتمد ، ونجد اليوم بعض المتزمِّتين المتفيهقين يقذفون بالطعن والتشنيع فيمن قلَّد إماماً معيَّناً في الأمور الفقهية ، معتبرين ذلك بدعة وضلالة ، بل ضلالاً وشركاً ، وكل ذلك باسم السلفية المظلومة .

(لقد قال هؤلاء أنفسهم عن المذاهب الأربعة إنها بدعة طارئة على الدين ، وإنها ليست من الدين في شيء ، ووصف بعضهم كتب هؤلاء الأئمة بأنها كتب « مصدِّية » ، ولكن ذلك كله لم يغيِّر حقيقة عرفتها العصور كلها وأجمع عليها المسلمون جيلاً وراء جيل ، وهي أن هذه المذاهب هي لبُّ الإسلام وجوهره ، وأنها هي التي بصَّرت المسلمين في كل زمن بأحكام دينهم ، ويسَّرت لهم سبيل التمسُّك بكتاب ربهم وسنة نبيهم . . . فأنا الآن أشد يقيناً بأن اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية . . .)[3] .

لم يقف دعاة السلفية عند تكفير المتصوفة والأشاعرة بل تكفير من التزم مذهباً معيناً من المذاهب الأربعة ، وعلى ذلك فلم يصحَّ في جميع التاريخ الإسلامي مسلم واحد حسب ادعائهم ، لقد نشر كراساً المدعو (« محمد سلطان المعصومي الخجندي » المكي

---

(١) موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية : عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي . ص ٥ ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص٦ وما بعدها .

(٣) اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية : د .محمد سعيد رمضان البوطي . ص ٧ وما بعدها ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

المدرِّس بالمسجد الحرام ، وقد تضمَّنت خلاصة الكرَّاس ما أوضحته آنفاً من تكفير من التزم مذهباً معيناً من المذاهب الأربعة ونعت المقلِّدين للأئمة المجتهدين ، بالحمق والجهل والضلال ، وبأنهم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، وبأنهم ممن قال الله عنهم : ﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٤] ، وراح يعيد (متعمِّداً) بجرأة وحماس تلك الأكذوبة الاستشراقية الكبرى التي ابتدعها المستشرق الألماني الحاقد « شاخت » من أن الفقه الإسلامي ليس إلا فقهاً قانونياً أنتجته أدمغة قانونية ممتازة طاب لها أن تعزوه إلى الكتاب والسنة . . .)[(١)] ، ولا بد من التحذير من مجادلة هؤلاء (حاذر أن يستنزلك هؤلاء إلى مستواهم المعروف في الجدل ، فإن في أفئدتهم من الحقد على جهود المسلمين سلفهم وخلفهم ما يجعلهم ينهشون في عرض كل من يخالفهم . . .)[(٢)] .

أما صياغة (السلفية) في العصر الحالي المقصور على فئة محددة (تتخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوماً معيناً ، وتعتمد فيه على فلسفة متميزة ، بحيث تغدو هذه الفئة بموجب ذلك جماعة إسلامية جديدة ، في قائمة جماعات المسلمين المتكاثرة والمتعارضة بشكل مؤسف في هذا العصر ، تمتاز عن بقية المسلمين بأفكارها وميولاتها ، بل تختلف عنهم حتى بمزاجها النفسي ومقاييسها الأخلاقية ، كما هو الواقع اليوم فعلاً ، بل إنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا : إن اختراع هذا المصطلح بمضامينه الجديدة التي أشرنا إليها ، بدعة طارئة في الدين ، لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأمة ولا الخلف الملتزم بنهجه)[(٣)] .

ثانياً : أئمة السلفية يمدحون التصوف والصوفية :

إن أئمة الحركة السلفية يمدحون التصوف والصوفية بل إن كثيراً منهم ينتسب إليها ويدافع عنها ، ومن أولئك الذين يمدحون التصوف وأهله : الإمام « أحمد بن حنبل » ، والإمام « ابن تيمية الحراني » ، و« الحافظ الذهبي » ، والإمام « ابن قيم الجوزية » ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣-٢٤-٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ .
(٣) السلفية : د . البوطي . ص ٣ .

و« الحافظ ابن كثير » ، و« الحافظ ابن رجب الحنبلي »[1] ، والإمام « محمد بن عبد الوهاب » ، والصوفية عند هؤلاء هم (طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالمحدِّثين والفقهاء والمتكلِّمين والمؤرخين والمجاهدين وغيرهم ، فيهم المصيب والمخطىء ، والصالح والطالح ، والأصلي والمزيَّف ، ولكن إذا أطلق اللفظ فإنه يراد به دائماً الصالح والمصيب والصحيح منهم ، فمثلاً لو قلنا : « المحدِّثون » فالمراد بهم عند الجميع : المحدثون الصالحون الذين حفظوا على الأمة أحاديث رسول الله ﷺ وخدموها وبلَّغوها ونشروها بالطريقة المرضية كالأئمة : « البخاري ومسلم والترمذي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والكاندهلوي »[2] وغيرهم . ولا يراد بكلمة « المحدثون » مطلقاً ، عند أي أحد ، أولئك « الدجَّالون الكذَّابون الوضَّاعون » المنتسبون إلى هذه الطائفة الكريمة. . . فعندما يقال : « الصوفية » أي فحتماً يكون المراد منهم : « الفضيل بن عياض[3] ومعروف الكرخي وأبو سليمان الداراني[4] ، وبشر الحافي وعبد القادر الجيلاني والجنيد البغدادي » وغيرهم ممن سار على نهجهم القويم ، ولا يراد « بالصوفية » البتة أولئك « الدَّجالون » المحرِّفون المخالفون لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الدخلاء على التصوف وقطَّاع الطريق إلى الله والدار الآخرة)[5] .

---

(١) ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) : هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبو الفرج زين الدين ، حافظ للحديث ، من العلماء ، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق ، من مصنفاته جامع العلوم والحكم . انظر : شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي . ٦/ ٣٣٩ .

(٢) محمد يوسف الكاندهلوي (ت ٨٢٥ هـ) : هو محمد بن يوسف بن علي الدهلوي الحسيني أبو الفتح صدر الدين زاهد من العلماء ، ولد وتعلَّم في دلهي بالهند ، له مصنفات بلغت نحو مائة وخمسةٍ وعشرين مصنفاً بالعربية والفارسية . انظر : الأعلام : الزركلي . ٧/ ١٥٤ .

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود (١٠٥ ١٨٧ هـ) : التميمي اليربوعي ، شيخ الحرم المكي من أكابر العبَّاد الصلحاء كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي وولد في سمرقند . انظر : الأعلام : الزركلي . ٥/ ١٥٣ .

(٤) أبو سليمان الداراني : هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني ، نسبة إلى دارية من قرى دمشق ، ذكره ذو النون المصري بأنه كثير المناجاة في الليل . انظر : الحلية : أبو نعيم . ٩/ ٢٦٧ برقم (٤٤٦) .

(٥) موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية : المكي . ص٨ وما بعدها .

فمن أئمة السلفية الذين يمدحون التصوف :

١ـ **الإمام « أحمد بن حنبل الشيباني »** فقد كان يمدح التصوف ويعظم أهله ، وقد سئل مرة (عن المريد ؟ فقال : أن يكون مع الله كما يريد ، وأن يترك كل ما يريد لما يريد. . . وكان أي الإمام أحمد يعظِّم الصوفية ويكرمهم. . .)(١) ، ويعدد طبقات الحنابلة في الجزء الأول المخصص لتلامذة « ابن حنبل » ومن أخذ عنه واستفاد منه كما يعدد من مدحهم « أحمد بن حنبل » وأثنى عليهم من رجال التصوف. . . فعندما سئل عن بشر الحافي قال : (سألتني عن رابع سبعة من الأبدال)(٢). . . وقد وردت كثير من الأخبار في ثناء « أحمد بن حنبل » على بشر وإخوانه وورعهم وتقواهم ، وقال أبو حمزة الصوفي : (كان الإمام « أحمد بن حنبل » يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول : ما تقول فيها يا صوفي ؟)(٣). . . وكان يقول عن « معروف الكرخي » : (« معروف الكرخي » من الأبدال وهو مجاب الدعوة. . . وذُكِرَ في مجلس « أحمد » « معروف الكرخي » فقال بعض من حضره : هو قصير العلم ، قال « أحمد » ، أمسك عافاك الله ؛ وهل يُراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف. . . كان معه رأس العلم ، خشية الله تعالى. . .)(٤). . . ولو أردنا أن نذكر ما جاء في طبقات الحنابلة في مدح الإمام « أحمد بن حنبل » للتصوف وأهله لتطلَّب منا ذلك عشرات الصفحات ، وقد أكَّد ذلك « الحافظ أبو نعيم »(٥) في حلية الأولياء(٦) ، وكذلك الإمام « الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني » في « تهذيب التهذيب »(٧) ، وكذلك « الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي » في (مناقب

---

(١) طبقات الحنابلة : القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى . ج٢ . وانظر : موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية : المكي . ص٢٥٥ .

(٢) طبقات الحنابلة : أبو يعلى . ١/ ١٣٨ ، و ١/ ٢٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ١/ ٢٦٨ .

(٤) المرجع السابق ، ١/ ٣٨١ .

(٥) أبو نعيم : هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم فارسي الأصل ولد في رجب ٣٣٦هـ ببلدة أصبهان ، نشأ أبو نعيم في جوٍّ من العلم والعلماء حيث نشأ على والده الذي يُعدُّ من علماء أصبهان ومحدِّثيها ، رحل في طلب العلم إلى كلٍّ من بغداد ومكة والبصرة وغير ذلك من البلدان ، أجمع العلماء على فضله وإمامته وهو مؤرخ ومفسر . ينظر : طبقات الشافعية ١/ ١٨ .

(٦) انظر : حلية الأولياء : أبو نعيم . ٨/ ٣٣٧ .

(٧) انظر : تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني . ١/ ٤٤٥ .

معروف الكرخي وأخباره) في الباب السادس « في ذكر ثناء العلماء عليه ». . . وكذلك كتاب الإمام الحافظ شيخ الإسلام « أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي » في كتابه « الجرح والتعديل »[١] ، وكذلك كتاب الإمام الحافظ « أبو القاسم علي بن عساكر »[٢] في « تاريخ دمشق الكبير » .

٢ـ **الإمام « ابن تيمية الحراني »** ، فقد كان يُعتبر من رجال التصوف في زمانه ، وعدد كبير من المؤلفين المعاصرين المحققين الذين صرَّحوا بعلاقة شيخ الإسلام « ابن تيمية » الوثيقة بالتصوف وبالسادة الصوفية رحمهم الله .

فقد أوصى الشيخ « عماد الدين الواسطي » الصوفي أتباعه بالالتزام مع « ابن تيمية » لأنه من رجال الطريق والتصوف برسالة أوردها الإمام السلفي الحافظ « محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي » في تأليفه « العقود الدُّرِّية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية »[٣] . . . بعنوان : كتاب نفيس جداً للشيخ « عماد الدين » في الثناء على الشيخ « ابن تيمية » والوصاية به .

٣ـ ومن الشخصيات المعتمدة عند السلفيين « **الحافظ ابن كثير** » ، « أبو الفداء عماد الدين » ، « إسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي » صاحب كتاب « البداية والنهاية »[٤] ، حيث ذكر فيه أهل التصوف والصوفية بالمدح والثناء ، ولو أردنا تسجيل ما ذكره في كتابه بذلك لاحتجنا إلى مجلدات ، فقد مدح « محمد بن أحمد أبي القاسم أبو علي الروذوباري » فيمدح علمه وورعِه ، وقد صحب « الجنيد » شيخ الصوفية وسيد الطائفة ، ومدح « محمد بن إسماعيل المعروف بأبي الحسين الصوفي »[٥] ، ويذكر حكايات عجيبة

---

(١) انظر : الجرح والتعديل : الرازي . ص٣٠٤ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، د .ت .

(٢) ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر ولد في دمشق ٤٩٩هـ ، وأخذ العلم والفقه منذ الحداثة ، عاش في بيت جليل ، وكان أبوه شيخاً صالحاً محباً للعلم ، رحل إلى بغداد في طلب العلم وقد نال بقسط وافرٍ من العلم . انظر : طبقات الشافعية : السبكي . ٧/ ٧٠ . وانظر : طبقات الشافعية : ابن قاضي شهبة . ١/ ٣٤٥ (٣١١) .

(٣) انظر : العقود الدُّرية ومناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي . ص ١٩٢ وما بعدها ، طبعة المدني ، القاهرة ، د .ت .

(٤) انظر طبعة الرياض الحديثة ، الرياض ، السعودية .

(٥) انظر : البداية والنهاية : ابن كثير . ١١/ ١٨٠ .

عن « قارئين[1] ، ومدح وأثنى على « أبي بكر عاصم » صاحب السنة والمصنفات ، قائلاً عنه : له مصنفات في الحديث منها كتاب « السنة في أحاديث الصفات على طريق السلف »[2] ، ويثني أيضاً على « محمد بن عبد الله أبو بكر الدقاق »[3] أحد أئمة الصوفية وعبّادهم ، و« أبي الحسن النوري » و« أبي حمزة بن علي الجرجاني »[4] ، ويثني كثيراً على « الجنيد »[5] وخاله « السرِّي »[6] ويتحدث عن كراماته[7] ، ويثني على « أبي محمد جعفر المرتعش »[8] أحد مشايخ الصوفية[9] وعلى « علي بن محمد » أحد مشايخ الصوفية ، و« أبي جعفر المزين الكبير »[10] ، والشيخ « عبد الله اليونيني »[11] ، و« شهاب الدين السهروردي » صاحب الطريقة السهروردية ، شيخ الصوفية ببغداد[12] ، والشيخ « عبد الله الأرمني » ، والشيخ « محمد الفقيه اليونيني البعلبكي » ، و« الفاروقي

---

(١) المرجع السابق ، ١١/ ٣٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ١١/ ٨٤ .

(٣) الدقاق (ت ٣٩٠ هـ) : هو محمد بن عبد الله بن الحسين الدقاق ، محدث ثقة ، بغدادي ، له مؤلفات منها الفوائد المنتقاة توفي رحمه الله تعالى . انظر : شذرات الذهب : العمادي ـ ٣/ ١٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ١١/ ٩٧ .

(٥) الجنيد : هو الحبر المزيد بفنون العلم التقي الحليم ، وهو نهاوندي الأصل ونشأ ببغداد ، كان من الفقهاء المتعبدين ، كان كلامه مربوطاً بالنصوص وهو شيخ أهل التصوف . انظر : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية : عبد الرؤوف المناوي . ص ١٨٤ ، د . ن ، مصر ، ١٩٣٨م .

(٦) السرِّي السقطي ،خال الجنيد وأستاذه اشتهرت أخبار تربيته وسياسته ، انتهت إليه مشيخة الصوفية أخذ عن الكرخي وروى عن الجنيد وأبي العباس بن مسروق لـه أحوال ومقامات . انظر : الكواكب الدرية : المناوي . ص ١٤٨ .

(٧) البداية والنهاية : ابن كثير . ١١/ ١١٣ .

(٨) المرتعش : هو عبد الله بن محمد أبو محمد المعروف بالمرتعش ، كانت له مشاهدة باطنة ومثابرة سابقة وله لسان ناطق وخاطر فائق ، وكان يقول أصول التوحيد ثلاثة معرفة الله بالربوبية ، والإقرار لـه بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة . انظر : حلية الأولياء : أبو نعيم . ١٠/ ٢٨٠ (٦٢٧) .

(٩) البداية والنهاية : ابن كثير . ١١/ ١٩٢ .

(١٠) المرجع السابق ، ١١/ ١٩٣ .

(١١) المرجع السابق ، ١٣/ ٩٣ .

(١٢) المرجع السابق ، ١٣/ ١٣٨ .

الواسطي »[1] ، والشيخ « علي المغربي » أحد أصحاب « ابن تيمية »[2] .

فهذه أسماء كثيرة تحدَّث عنها « الحافظ ابن كثير » ، ومدحهم ومدح التصوف ، فإذا كان أحد أعلام السلفية يمدحهم ويثني عليهم ، فكيف يذمُّهم بعض الناس اليوم . . . ؟

٤ـ ومن الشخصيات المعتمدة عند السلفيين الإمام الحافظ « **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي** » ، وله كتاب « تذكرة الحفاظ » ، ففي الكثير من المواضع يمدح التصوف وأهله ، ويعدد العشرات منهم بالمدح والثناء ، وقد نقل الإمام الحافظ « ابن رجب الحنبلي » في ذيله على طبقات الحنابلة الجزء الثاني في ترجمة لبعض الفقهاء نقلاً عن « الذهبي » ، وهم متصوِّفة ويثني بالغ الثناء عليهم ، مثل « أبي جعفر النيسابوري » المجاب الدعوة ، وأولاده الزاهدين و« الشاه بن شجاع »[3] ، و« الجنيد »[4] ، و« ابن الأعرابي شيخ الحرم أبو سعيد بن درهم البصري الصوفي » القائل : المعرفة كلها الاعتراف بالجهل ، والتصوف كله ترك الفضول ، والزهد كله أخذ ما لا بد منه . . . .

وقد صحب « الجنيد » و« أبا أحمد القلانسي »[5] .[6] ومن الذين ذكرهم « محمد بن داوود بن سليمان » شيخ الصوفية وذكر كراماته ومشايخه المتصوفة ويثني عليه[7] ، و« غندر » و« الفضيل بن عياض »[8] و« ابن المبارك »[9] ، و« شقيق

---

(١) المرجع السابق ، ١٣/ ٢٢٧ـ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ١٤/ ٢٢٧ .

(٣) الشاه بن شجاع : هو أ بو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني كان من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشي من أقواله : علامة التقوى الورع وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات، وكان يقول : اجتنبوا الشبهات، توفي قبل ٣٠٠ هـ . انظر : الرسالة القشيرية في علم التصوف : عبد الكريم القشيري . تحقيق : معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي . ص ٤٢٨ ، دار الجيل ، بيروت ، د .ت .

(٤) تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٢/ ٧٦١ .

(٥) القلانسي : هو أبو أحمد عمرو بن سعيد القلانسي المشهور بالتواضع والفتوة والاحتمال وطيبة القلب ، صحب أبا حمزة وتخرج عليه ، من مناقبه إيثاره لغيره في طعامه . انظر : حلية الأولياء : أبو نعيم . ١٠/ ٣٢٥ برقم (٥٧٧)

(٦) تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٣/ ٨٥٢ .

(٧) المرجع السابق ، ٣/ ٩٠١ .

(٨) المرجع السابق ، ١/ ٢٤٥ .

(٩) عبد الله بن المبارك الحنظلي التميمي أبو عبد الرحمن المَرْوَزِيُّ : أحد الأئمة ، روى عن سليمان=

البلخي »[1] و« ابن أبي عاصم »[2] و« الطوسي أبو الفضل العطار »... و« الشبلي »[3] ، و« الماليني أبو سعيد بن حفص الأنصاري الصوفي »[4] ، و« عطية بن سعيد » و« أبو نعيم أحمد بن إسحاق الأصبهاني الصوفي » مؤلف كتاب « حلية الأولياء »[5] ، ومن الذين أثنى عليهم ومدحهم « الذهبي » « المؤذن أبو صالح » ، و« الكتاني »[6] وشيخ الإسلام « أبو إسماعيل الأنصاري الهروي » و« اليونيني تقي الدين »... و« البعلبكي الحنبلي » و« الشيرازي أبو يعقوب »... و« ابن إبراهيم الصوفي »... ويذكر العشرات من أهل التصوف ويثني عليهم ويمدح علمهم ، كما يذكر مشايخه المتصوفين كالشيخ « أبي الحسن علي بن أبي مسعود بن نفيس الموصلي » ، ويقول : « سمعت منه جملة ، وكان ديِّناً خيراً متصوفاً متعففاً ، والشيخ « صفي الدين محمود بن أبي بكر الأرموي الصوفي »[7] ، وفخر الإسلام « صدر الدين إبراهيم »... و« الجويني »[8] شيخ الصوفية[9]....

= التيمي وحميد الطويل ، حريص في طلب العلم قال ابن مهدي : الأئمة أربعة مالك والثوري وحماد بن زيد وابن المبارك ، اشتهر بالورع والتصوف والسخاء وحب القرآن والحج . انظر : تهذيب التهذيب : ابن حجر . ٥/ ٣٣٨ .

(١) شقيق البلخي : هو أبو علي البلخي شقيق بن إبراهيم أحد الزهَّاد من المشرق كان يقول سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهَّاد، الصبر على الجوع والصيام، والصبر على العري ، وقال عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا عن الآخرة. انظر: حلية الأولياء : أبو نعيم . ٨/ ٦٢ برقم (٣٩٠).

(٢) تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٢/ ٦٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ٣/ ١٠١٦ .

(٤) المرجع السابق ، ٣/ ١٠٧٠ .

(٥) المرجع السابق ، ٣/ ١٠٩٢ .

(٦) أبو بكر الكتاني : وهو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني بغدادي ، سكن مكة ، يعرف بسراج الحرم ، صحب الجنيد والخزاز والنووي . انظر حلية الأولياء : أبي نعيم . ١٠/ ٣٨٣ برقم (٦٣) .

(٧) تذكرة الحفاظ : الذهبي . آخر الجزء الرابع .

(٨) إمام الحرمين (٤١٩ـ ٤٧٨ هـ) : هو ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني ، إمام الأئمة في زمانه ، وأعجوبة الدهر في أقرانه ، قرأ الفقه على والده والأصول على أبي القاسم الإسكاف ، استلم مكان والده في التدريس وكان لـه من العمر ٢٠ سنة ،له : غياث الأمم في التياث الظلم . انظر : طبقات الشافعية : الإسنوي . ١/ ١٩٧ ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، د .ن ، بغداد ، ١٣٩١هـ .

(٩) تذكرة الحفاظ : الذهبي . ٤/ ٢٤ .

وأخيراً : ليعلم من يريد الحقيقة (أن كبار حفاظ الحديث الشريف كان منهم كثير من مشايخ التصوف أيضاً ، ثم وعلى كل حال لهم مشايخ وتلاميذ ، فإن الطعن فيهم يتعدى به الطعن في مشايخهم وتلاميذهم من حفاظ الحديث وأساطين السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، ولقد لاحظت أن أمثال « الذهبي » أيضاً له عدة مشايخ من الصوفية بل إنه ما ذكر في أحد منهم أنه لزمه إلا الذي وصفه منهم أنه كان « ديناً خيراً متصوفاً متعففاً »[1] .

٥ـ ومن أئمة الحركة السلفية « **الحافظ ابن رجب الحنبلي** » ، مؤلف كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » ، فأكثر في كتبه من ذكر السادة الصوفية وكلامهم وأحوالهم وجميع هؤلاء الحنابلة السلفيين الذين يذكرهم صوفيون ، فذكر الإمام « أبا محمد عبد الله بن علي البغدادي »[2] ، و« عثمان بن مرزوق »[3] و« عبد القادر بن أبي صالح » ، ويتحدث عن مقاماته وكراماته وعلومه ومعارفه وأحواله ، وأنه إمام الحنابلة وشيخهم ويذكر « ثناء بن الجوزي » و« ابن السمعاني » و« موفق الدين » صاحب المغني والشيخ « عز الدين بن عبد السلام »[4] ، وينقل « ابن رجب » أن الشيخ « عبد القادر » (كان متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة بالغاً في الرد على من خالفها . . .[5] ، وتحدث « ابن رجب » في ذيله على « سعد بن عثمان بن مرزوق »[6] ، والشيخ « عبد الله الجبائي »[7] ، و« محمد بن أحمد اليونيني البعلبكي »[8] ، والشيخ « أحمد بن إبراهيم » وقد كان أبوه شيخ الطائفة « الأحمدية » . . . وكان الشيخ « ابن تيمية » يعظِّمه ويجلُّه ويقول عنه : هو

---

(١) موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية : المكي . ص١٠٨ .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ١/ ٢١١ .
(٣) المرجع السابق ، ١/ ٣٠٦ .
(٤) عز الدين بن عبد السلام : هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد وعمل بالتدريس والخطابة والقضاء ، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ ، له مؤلفات منها : التفسير الكبير ، وقواعد الأحكام . انظر : طبقات الشافعية : السبكي . ٥/ ٨٠ .
(٥) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ١/ ٢٩٠ .
(٦) المرجع السابق ، ١/ ٣٨٤ .
(٧) المرجع السابق ، ٢/ ٣٦ .
(٨) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ٢/ ٢٦٩ .

« جنيد وقته » . . . وقال عنه « الذهبي » : كان سيداً عارفاً كبير الشأن . . . وكان داعية إلى السنة ومذهبه مذهب السلف الصالح في الصفات . . .[1] ، وممن أثنى عليهم وذكرهم « ابن رجب » « محمد بن أحمد » . . . أجاز له « التستري » مدحه وأثنى عليه الكثيرون . . . وقال عنه « الذهبي » : كان إماماً فقيه النفس عارفاً بمعاملات القلوب . . . كان حسن المجالسة متَّبعاً للسنة محذِّراً من البدعة . . .[2] ، كما ذكر وأثنى على « عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي »[3] صاحب كتاب « المغني » وكان إمام الحنابلة بالجامع . . . هو إمام الأئمة ومفتي الأمة . . . قال عنه « ابن تيمية » : ما دخل الشام بعد « الأوزاعي »[4] أفقه من الشيخ « الموفق » . . .

وينقل « ابن تيمية » . . . ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى والمجلى وكتاب « المغني » للشيخ « موفق الدين بن قدامة » . . .[5] ، وكذلك تحدث « ابن رجب » عن أخي « عبد الله الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي » وعن والده وأبنائه . . . وقال عنه كان على مذهب السلف الصالح حسن العقيدة متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المروية وغيرها . . . ، وتحدث « ابن رجب » عن « عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي »[6] وإنَّ « ابن تيمية » أخذ عنه العلم ، وكان يقول

---

(١) المرجع السابق ، ٢/ ٣٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ٢/ ٣٦١ .

(٣) ابن قدامة المقدسي (٥٤١ـ ٦٢٠ هـ) : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الفقيه الزاهد ولد بجماعيل ثم رحل إلى بغداد ولازم أبا الفتح المثنى كان فارس زمانه في الفقه ، من مصنفاته المغني والمقنع وغيرهما . انظر : مختصر طبقات الحنابلة : ابن أبي يعلى . ص ٥٢ .

(٤) الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) : هو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع ؛ أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد أحد الكتاب المترسلين ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها ، كان عظيم الشأن . انظر : تهذيب الأسماء واللغات : النووي . ١/ ٢٩٨ .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ٢/ ١٣٣ .

(٦) عبد الرحمن بن قدامه (٥٩٧ـ ٦٨٢ هـ) : هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي أبو الفرج شمس الدين ، فقيه من أعيان الحنابلة ولد وتوفي في دمشق وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها ، له : تصانيف منها الشافي ، وهو الشرح الكبير للمقنع في فقه الحنابلة . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي . ٧/ ٣٥٨ ؛ تحقيق : محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

فيه : ما رأيت بعيني مثله. . . وقال : « توفي شيخنا الإمام سيد أهل الإسلام في زمانه ، وقطب فلك الأنام في أوانه ، وحيد الزمان حقاً حقاً ، وفريد العصر صدقاً صدقاً. . . وبكت عليه العيون بأسرها ، وعمَّ مصابه جميع الطوائف وسائر الفرق ، فأي دمعٍ ما انسحم وأي أصلٍ ما جذم ،. . . يا له من خطب ما أعظمه وأجل ما أقدره ومصاب ما أقحمه ؟. . . »[1] ، وذكر « ابن رجب » أيضاً مدحاً وثناءً على « إبراهيم بن علي الواسطي »[2] و« علي بن مسعود الموصلي » الصوفي وسمع منه « الذهبي » وجماعته ، وشيعه « ابن تيمية » وجماعته. . .[3] ، كما تحدث « ابن رجب » عن « محمد بن عبد الله ». . . المحدث الصوفي. . . ولبس خرقة التصوف من « السهروردي ». . .[4] . كما تحدث « ابن رجب عن عبد الله بن عبد الحليم ». . . « ابن محمد بن تيمية الحراني ». . . أخي الشيخ « تقي الدين »[5]. . . وذكر أيضاً « إبراهيم بن أحمد ». . .[6] و« عبد العزيز بن أبي القاسم ». . .[7] ، و« علي بن محمد ». . .[8] ، و« علي بن عثمان »[9] ، و« يوسف بن علي » و« أبي القاسم بن يوسف » ، و« أبي الحسن علي بن سليمان » و« يحيى بن يوسف » و« محمد بن الخضر » و« عبد الغني بن عبد الواحد »[10] ، والشيخ « محمود بن عثمان » الذي صحب الشيخ « عبد القادر »[11] وتأدَّب به. . . وكان الرباط شعث الظاهر عامراً بالفقهاء والصالحين ، سكنه الشيخ « موفق الدين المقدسي » و« الحافظ عبد الغني » وأخوه الشيخ « العماد » والحافظ « عبد القادر الرهاوي » وغيرهم من أكابر الرحَّالين لطلب العلم. . .[12] ، وذكر « ابن رجب » أيضاً

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ٢/ ٣٠٤ .
(٢) المرجع السابق ، ٢/ ٣٢٩ .
(٣) المرجع السابق ، ٢/ ٣٥١ .
(٤) المرجع السابق ، ٢/ ٣٥٣ .
(٥) المرجع السابق ، ٢/ ٣٨٢ .
(٦) المرجع النسابق ، ٢/ ٣٤٩ .
(٧) المرجع السابق ، ٢/ ٣٣٨ .
(٨) المرجع السابق ، ٢/ ٢٨٢ .
(٩) المرجع السابق ، ٢/ ٢٨٤ .
(١٠) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي : ٢/ ٥ .
(١١) عبد القادر الجيلاني سيد الصوفية وشيخ الطريقة القادرية .
(١٢) الذيل على طبقات الحنابلة : ابن رجب ، ٢/ ٦٣ .

« محمد بن معالي » و« إبراهيم بن عبد الواحد » . . .[١] .

هذه مقتطفات في ذكر بعض أعلام المتصوفة السلفيين الذين ورد ذكرهم في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، فهؤلاء أئمة السلفيين ، وكانوا متصوفة ، فيأتي قوم اليوم لم يحصِّلوا ما حصَّل هؤلاء ، ولم يعطوا مثلما أعطى هؤلاء ، فيكفِّرونهم وهم أساتذتهم فكيف هذا ؟ .

٦ـ الإمام « **ابن قيم الجوزية** » تلميذ « ابن تيمية » عُرف عنه بتعمُّقه في أمور التصوف ودقائقه ، ويشهد على ذلك كتابه العظيم « مدارج السالكين » وقد أجمع المتقدمون والمتأخرون على تصوفه ، فقد (كان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم ، له في كلٍّ من هذه الفنون اليد الطوبى. . .)[٢] ، ألَّف في التصوف : « مدارج السالكين »شرح منازل السائرين ، و« عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » ، و« حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » . وكتاب « مدارج السالكين » هو شرح لكتاب صوفي مشهور وهو منازل السائرين لمؤلفة الصوفي الإمام « أبي إسماعيل الهروي الصوفي » ، وقد أثنى عليه كثيراً « ابن رجب » في « الذيل على طبقات الحنابلة »[٣] ، ونعته (الفقيه المفسر الحافظ الصوفي الواعظ شيخ الإسلام. . . وكان سيداً عظيماً وإماماً عالماً عارفاً وعابداً زاهداً ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات. . . وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام « أحمد ». . . مظهر السنة داعياً إليها محرِّضاً عليها. . .) ، وقد مدحه « ابن تيمية » في كتابه « الأجوبة المصرية » : (هو إمام في الحديث والتصوف والتفسير ، وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظِّم الشافعي وأحمد ، ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق الشافعي تارة ، وقول أحمد أخرى ، والغالب عليه اتّباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه). . . فكتاب « مدارج السالكين » كله تصوف ، يتحدث عن السلوك والمقامات والأحوال والرضا والتوبة والتوكل. . . والمريد والشيخ والرابطة والحب. . . والتصوف ، ويمدح التصوف كلما جاء على ذكره ، ويذكر الفناء عند الصوفية ، ويذكر أقسامه ومراتبه وممدوحه ومذمومه ومتوسطه. . . ثم يُدافع عن قضية هامة عند بعض رجال التصوف الذين غلبت عليهم حالات السكر فنطقوا بعبارات لو

---

(١) المرجع السابق ، ٢/ ٦٢ـ٩٣ .
(٢) المرجع السابق ، ٢/ ٤٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، ١/ ٥٠ .

صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً ، ولكن غلبت عليهم حالات السكر فيقول : (ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التمييز ، وفي هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن « أبي يزيد » أنه قال : « سبحاني » أو « ما في الجبة إلا الله » ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافراً . .)[1] . . . وينقل كلام أهل التصوف ويمدحهم ويثني عليهم ، حتى أنه لما اختلف مع شيخ الإسلام « الهروي » الصوفي في بعض أقواله في منازل السائرين مدحه أشد المديح وقال : (لا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه وإساءة الظن به ، فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك ، المحل الذي لا يُجهل ، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه . . .)[2] . . . وأكثر من مدح « الجنيد » ، ونقل عنه بثناء ، وعن « أبي سليمان الداراني » و« سهل بن عبد الله » ، و« السرِّي » و« أبي يزيد البسطامي »[3] والعشرات العشرات من أئمة التصوف .

ويكفيه هذه المقالة (والتصوف : زاوية من زوايا السلوك الحقيقي ، وتزكية النفس وتهذيبها لتستعدَّ لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ، ومعية من تحبه ، فإن المرء مع من أحب كما قال « سمنون »[4] : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة ، فإن المرء مع من أحب ، والله أعلم)[5] ، وقال : (الدين كله خُلقَ فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين ، وكذلك التصوف ، قال الكتاني : التصوف : هو الخلق ، فمن زاد عليك في

---

(١) انظر : مدارج السالكين : ابن قيم الجوزية . ١/ ١٥٤ ، طبعة دار الكتاب العربي ، لبنان ، د . ت .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ١/ ١٩٨ .

(٣) أبو يزيد البسطامي : كان صوفياً نادرة زمانه حالاً وقالاً وورعاً وعلماً وتقى ، لقب بسلطان العارفين، قال الذهبي نقل عنه أشياء كبيرة الشأن في صحّتها نظر ، منها : سبحاني ، ما أعظم شاني. ينظر الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية : للشيخ عبد المجيد محمد بن محمد الخاني الشافعي ص ٣١٠ ، تحقيق : محمد خالد الخرسة ، دار البيروتي د .ت .

(٤) سمنون : هو سمنون بن حمزة أبو الحسن الخواص وقيل أبو بكر بصري سكن بغداد ، ومات قبل الجنيد ، سمى نفسه سمنون الكذاب ، كان شاعراً محباً ، وكان يقول أول وصل العبد هوانه لنفسه . انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ٣٢٩ (٥٨٠) .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ٢/ ٣٠٧ .

الخلق فقد زاد عليك في التصوف. . .)[1] ، (ومدار حسن الخُلُق مع الحق ومع الخَلْق على حرفين ، ذكرهما « عبد القادر الكيلاني » ، فقال : « كن مع الحق بلا خَلْق ومع الخَلْق بلا نفس. . . ويُذكر عن « سفيان الثوري »[2] رحمه الله أنه قال : « أعز الخَلْق خمسة أنفس : عالم زاهد ، وفقيه صوفي ، وغنيٌّ متواضع ، وفقير شاكر ، وشريف سُنِّي ». . .)[3] ، ويؤكد « ابن القيم » في مواضع كثيرة من كتابه : أن التصوف كما قال « الجنيد » : مذهبنا مقيَّد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقتدى به في طريقنا ، ويتحدث عن شطحات الصوفية وأنها أوجبت فتنة على طائفتين من الناس ، فالأولى : (حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم ، وصدق معاملتهم ، فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساؤوا الظن بهم مطلقاً ، وهذا عدوان وإسراف ، فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرِك جملةً ، وأُهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطَّلت معالمها ، والطائفة الثانية حُجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم ، عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها فسحبوا عليها ذيل المحاسن ، وأجرَوا عليها حكم القبول ، وهؤلاء أيضاً معتدون مفرِّطون ، والطائفة الثالثة : وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطَوا كل ذي حقٍّ حقه ، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح ، بل قبلوا ما يُقبل وردُّوا ما يُردُّ ، وهذه الشطحات ونحوها هي التي حذَّر منها سادة القوم. . .)[4] ، وتحدث عن كبار رجال التصوف الذين وقفوا في وجه الشطحات ولم يعتبروا الأحوال إلا إذا وافقت الكتاب والسنة. . . ويدافع عن تعابير المتصوفة فيقول : (فاعلم أن في لسان القوم [أي الصوفية] من الاستعارات وإطلاق العام وإرادة الخاص ، وإطلاق اللفظ وإرادة إشاراته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم ، ولهذا يقولون ، « نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة » و« الإشارة لنا والعبارة لغيرنا » ، وقد يطلقون العبارة التي يطلقها الملحد ويريدون

---

(١) المرجع السابق ، ٢/ ٣٠٧ .
(٢) سفيان الثوري : هو أبو عبد الله الإمام الورع سفيان بن سعيد الثوري مسلم له في الإمامة ، العلم حليفه والزهد أليفه ، قيل أنه أفقه الناس ويقول ابن المبارك ما أعلم أحداً في الأرض أعلم من سفيان الثوري . انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى : ابن سعد . ٦/ ٣٧١ .
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة : الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي . ١/ ٣٠٦ .
(٤) المرجع السابق ، ٢/ ٣٩ .

بها معنى لا فساد فيه ، وصار هذا سبباً لفتنة طائفتين : طائفة تعلقوا عليهم بظاهر عباراتهم فبدَّعوهم وضلَّلوهم ، وطائفة نظروا إلى مقاصدهم ومغزاهم فصوَّبوا تلك العبارات وصححوا تلك الإشارات ، فطالب الحق يقبله ممن كان ، ويردُّ ما خالفه على من كان. . .)[1] ، (والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها ، أرادوا بها معاني صحيحة في نفسها فغلط الغالطون في فهم ما أرادوه ، ونسبوهم إلى إلحادهم وكفرهم)[2] . . . لننظر إلى هذا الدفاع العقلاني الشرعي عمَّا يؤخذ عن بعض المتصوفة .

وأخيراً : فإن « ابن القيم » التلميذ الأول « لابن تيمية » مع غزارة علمه كان متصوفاً ، ودافع عن المتصوفة ومنهجهم ، وألَّف في التصوف ، وكتاب « مدارج السالكين » الذي هو شرح لكتاب التصوف « منازل السائرين » وكذلك في كتابه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » وكتابه « الفوائد » ، وفي كل ما ذكرنا لا نجد مطعناً واحداً على التصوف والمتصوفة ، بل نجد كل مدح وثناء ودعوة إلى الالتزام بهذا المنهج وهذا السلوك ، إلى جانب أنه أثنى على العشرات العشرات من رجال التصوف ، بل برَّر بعض تصرفاتهم دون أن يتهمهم في إيمانهم وعقيدتهم .

٧ـ ومن أئمة السلفية « **محمد بن عبد الوهاب الحنبلي** » وتنسب الوهابية إليه ، وهو ممن انتسب إلى الصوفية وأثنى عليها ، و(لقد اهتمت جامعة الإمام « محمد بن سعود » الإسلامية بالرياض بعقد أسبوع الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » نشرت فيه جميع مؤلفات الشيخ الإمام « محمد بن عبد الوهاب » ، فجاءت جميعها في اثني عشر مجلداً ، وقد طالعت بفضل الله كل هذه المجلدات صفحة صفحة ، فلم أجد فيها في أي مقام أي طعن أو رد إنكار من الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » على التصوف أو على أحد من مشايخ التصوف بسبب تصوفه ، وهذه المجلدات موجودة ميسرة تباع في الأسواق والمكتبات ويمكن لأي أحد أن يقتنيها ويطالعها ويتحقق فيما ذكرته ، بل إني قد وجدت قطعات مختلفة في مؤلفاته هذه من كلامه الذي يتبين منه بجلاء ووضوح موقفه الصريح من التصوف والسادة الصوفية رحمهم الله. . .)[3] .

يقسِّم « محمد بن عبد الوهاب » العلم إلى قسمين : العلم والفقه والعلم الأخروي

---

(١) المرجع السابق ، ٣/ ٣٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ٣/ ١٥١ .

(٣) موقف أئمة الحركة السلفية : عبد الحفيظ المكي . ص١٥ .

فيقول : (إذا كان من ينتسب إلى الدين : منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية ، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين)[1] ، وهذا هو شرح لحديث رسول الله ﷺ : « العلم علمان علم اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم وعلم القلب وذلك العلم النافع »[2] ، وعندما يتحدث مطولاً عن « هديه ﷺ في الاعتكاف » ، وكيفية إصلاح القلب ، وكان لا بد من الصيام والاعتكاف وحبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة والصلاة والقيام. . . فيذكر قدوة ذلك هم أهل التصوف فيقول : « ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك [ويقصد المتصوفة] على هذه الأركان الأربعة)[3] ، وعندما يتحدث عن تبليغ الدعوة من الصحابة والتابعين وجهاد الكفار والمنافقين وأخبر عنهم بكمال برِّ القلوب مع كمال عمق العلم ، قال « ابن عبد الوهاب » ، (وهذا قليل في المتأخرين ، كما يُقال : من العجائب : فقيه صوفي وعالم زاهد)[4] . وعندما يتحدث عن محبة الله يقول : (ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيراً بمتابعة العلم ، قال بعضهم : « ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكِبْر في نفسه ». . .) ، ويقول « محمد بن عبد الوهاب » : (فأخبرناهم بأن الذي نعتقد وندين لله هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة في أصول الدين ، وأما في الفروع فنحن على مذهب الإمام « أحمد بن حنبل » ، ولا ننكر من قلَّد الأئمة الأربعة ولا نستحقُّ مرتبة الاجتهاد ، ولا أحد منا يدَّعيه إلا أنَّ في بعض المسائل إذا صحَّ لنا نصٌّ جليٌّ من كتاب الله أو السنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد من الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب ، وقد سبق من أئمة المذاهب الأربعة اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه. . .) ، ثم يختم قوله : (ولا ننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلِّقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي والمنهج القويم المرعي ، إلا أننا لا نتكلف له تأويلاً في كلامه ولا في أفعاله ، ولا نعوِّل ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا

---

(١) فتاوى ومسائل محمد بن عبد الوهاب : تحقيق وجمع صالح بن عبد الرحمن الأخرم ومحمد بن عبد الرزاق الدباس ص٣١ ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المسألة الخامسة .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ، مقدمة الكتاب ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله برقم ٣٦٤ .

(٣) مختصر زاد المعاد : ابن قيم الجوزية . ص ٨٤ .

(٤) ملحق المصنفات « هذه مسائل » ، ص١٨٢ .

على الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)[١] .

وأخيراً : ليست الغاية حصر وجمع كل ما تحدَّث هؤلاء في مدح التصوف والصوفية ، بل الإشارة إلى نقاط قليلة حسب ما يتَّسع الوقت إلى أن أهل السلف كانوا يعتقدون بالتصوف ويدافعون عن أهله ، منذ « أحمد بن حنبل » وحتى « محمد بن عبد الوهاب » ، فمن أين جاءت هذه الدعوة الجديدة باسم السلفية والوهابية التي تحارب التصوف وأهله ؟ وهل استطاع الاستشراق المعادي للإسلام أن يمرِّر فريَّته التي نشرها بكل الوسائل وهي فكرة محاربة التصوف وأهله عندما عرف قوة التصوف وأنه سبب في انتشار الإسلام في بقاع كثيرة في العالم ، نشر فكرة محاربة التصوف وأهله وإذا وجد في التصوف ما لا يقبل فلماذا لانجد له مبرِّراً مثلما فعل ابن قيم الجوزية ؟

المطلب الرابع : مسألة الترك[٢]

إن جمهرة من المتشددين من الوهابيين أو السلفيين يستدلُّون بالترك من النبي ﷺ والسلف الصالح لأي شيء يقتضي تحريمه أو كراهته ، ويقولون لك : هذا لم يفعله النبيﷺ وكل أمر لم يفعله النبي ﷺ يجب تركه أو تحريمه أو كراهته وإن لم يأت حديث أو أثر بالنهي عن ذلك الشيء المتروك ، ونسجل بعض الملاحظات :

أولاً : الأدلة التي احتجَّ بها أئمة المسلمين جميعاً هي : الكتاب والسنة ولا خلاف بينهم في ذلك ، وإنما اختلفوا في الإجماع والقياس ، والراجح عند الجمهور الاحتجاج بهما ، واعتبروها أنها المصادر الأصلية ، ووجدوا مصادر فرعية متفرعة عنها ، وهي أدلة مختلف فيها بين الأئمة الأربعة ، مثل الحديث المرسل ، وقول الصحابي ، وشرع من قبلنا والاستصحاب والاستحسان ، وعمل أهل المدينة ، وسدّ الذرائع ، والعرف ، والمصلحة المرسلة .

ثانياً : والحكم الشرعي وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلفين أنواعه خمسة :

---

(١) الهدية السنية : محمد بن عبد الوهاب . ص٥٠ ، نشر رشيد رضا ، طبعة المنار ، مصر ، ط٢ ، ١٣٤٤ .

(٢) هذا ملخص من رسالة « حسن التفهم والدرك لمسألة الترك » ، تأليف أبي الفضل عبد الله محمد الصديقي العماري ، توزيع مديرية أوقاف دبي ، د . ت .

١ـ الواجب والفرض : وهو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه مثل الصلاة والزكاة وصوم رمضان .

٢ـ والحرام : وهو ما يعاقب فاعله ويثابُ تاركه مثل الربا والزنا والعقوق .

٣ـ المندوب : وهو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، مثل نوافل الصلاة. . .

٤ـ المكروه : وهو ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله مثل صلاة النافلة بعد الصبح والعصر. . .

٥ـ المباح أو الحلال : وهو ما ليس في فعله ولاتركه ثواب ولاعقاب مثل أكل الطيبات والتجارة. . .

ج ـ والنبي ﷺ ترك أشياء كثيرة غير التحريم لأسباب عديدة منها :

١ـ أن يكون تركه عادة : فقد قُدِّم إليه ﷺ ضبٌّ مشوي فمدَّ يده الشريفة ليأكل منه فقيل : إنه ضب ، فأمسك عنه ، فسئل : أحرام هو ؟ فقال : لا ، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه !. . . والحديث في الصحيحين. . . فتركه النبي ﷺ لذلك لايدلُّ على تحريمه ، واستقذاره أيضاً لا يدلُّ على تحريمه .

٢ـ أن يكون تركه نسياناً ، فقد سها ﷺ في الصلاة فترك منها شيئاً فسئل : هل حدث في الصلاة شيء ؟ فقال : « إنما أنا بشر أنسى كما تنسَون ، فإذا نسيت فذكُّروني »[1] .

٣ـ أن تركه مخافة أن يفرض على أمته ، كتركه صلاة التراويح حين اجتمع الصحابة ليصلوها معه .

٤ـ أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه أو حاجته إليه ، ولم يخطر على باله ، فقد كان ﷺ يخطب الجمعة إلى جذع نخلة ولم يفكر في عمل كرسي يقوم عليه ساعة الخطبة ، فلما اقترح عليه عمل منبر يخطب عليه وافق وأقره لأنه أبلغ في الإسماع ، وهكذا في كثير من الأعمال وافق الرسول ﷺ على اقتراحات الصحابة للحاجة والمصلحة .

٥ـ أن تركه يكون لدخوله في عموم آيات وأحاديث كتركه صلاة الضحى ، وكثيراً من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة ، باب التوجّه نحو القبلة حيث كان برقم ٣٨٦ . ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له برقم ٨٨٩ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ .

المندوبات ، لأنها مشمولة بقوله تعالى : ﴿ . . . وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج :٧٧] ، وأمثال ذلك كثيرةٌ . . .

٦ـ قد يكون الترك خشية تغيُّر قلوب الصحابة أو بعضهم ، فقد قال ﷺ لعائشة : لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشاً استقصرت بناءه ، وهو في الصحيحين[١] .

٧ـ قد يكون الترك لعدم الحاجة لفعل ذلك الشيء في زمانه ، ثم تطور الزمان فاحتاج الناس لأشياء لم تكن في زمن رسول الله ﷺ ، كتطور المركوب ، وغير ذلك .

وقد تكون أصلاً لم تكن في زمن النبي ﷺ ، ولم تدخل في المحرمات والمنهيات . . . فالنبي لم يأكل من كل فواكه الدنيا وخضارها ، فإذا لم تصل للنبي ﷺ فهل نحرمها على أنفسنا بحجة أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ؟

ثالثاً : فترك الشيء لا يدلُّ على تحريمه ، ولا يكون محظوراً إلا بدليل يدل على حظره ، فالنفل في العبادات والأذكار وفي كل الأوقات والتي لم ترد في السنة فلا يعني أنها محرمة ، فقد ذكر ابن حزم احتجاج المالكية والحنفية على كراهية صلاة ركعتين قبل المغرب بقول إبراهيم النخعي[٢] أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يصلّونها ، وردَّ عليهم بقوله : لو صحَّ لما كانت فيه حجة ، لأنه ليس فيه أنهم رضي الله عنهم نهوا عنهما .

وقال أيضاً : وذكروا عن ابن عمر أنه قال : ما رأيت أحداً يصليهما ، وردَّ عليه بقوله : وأيضاً فليس في هذا الوضع نهي عنهما ، ونحن لا ننكر ترك التطوع ما لم ينهَ عنه[٣] .

وقال أيضاً في الكلام على ركعتين بعد العصر : « وأما حديث علي ، فلا حجة فيه أصلاً ، لأنه ليس فيه إلا إخباره بما علم من أنه لم يرَ رسول الله ﷺ صلاَّهما ، وليس في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها برقم ١٤٨٢ . ومسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبناءها برقم ٢٣٦٧ .

(٢) إبراهيم النخعي (٤٧ ـ ٩٦ هـ) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه التابعي روى عن علقمة ومسروق وغيرهما وعنه الأعمش وغيره ، كان مفتي أهل الكوفة فقيها صالحاً ، كثير الإرسال ، ينظر تهذيب التهذيب ١/ ٩٣ وتقريب التهذيب : لابن حجر ص ٩٥ .

(٣) المحلى : ابن حزم . ٢/ ٢٥٤ .

هذا نهي عنهما ولا كراهته لهما ، فما صام عليه السلام قط شهراً كاملاً غير رمضان وليس هذا بموجب كراهيته صوم شهر كامل تطوعاً »[١] .

رابعا : والذي يدل على التحريم ، دليل قطعي ، كالنهي نحو ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ . . . ﴾ [الإسراء :٣٢] ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ . . . ﴾ [البقرة :١٨٨] ، أو لفظ التحريم نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ . . . ﴾ [المائدة :٣] أو ذم الفعل أو التوعد عليه بالعقاب نحو « من غش فليس منا »[٢] .

وما سوى ذلك فلا يقتضي التحريم ، قال إبراهيم النخعي وهو تابعي : كانوا يكرهون أشياء لايحرِّمونها، وكذلك كان « مالك »[٣] و« الشافعي » و« أحمد » كانوا يتوَّقون إطلاق لفظ الحرام على مالم يتيقن تحريمه لنوع شبهة فيه ، أو اختلاف أو نحو ذلك ، بل كان أحدهم يقول أكره كذا، لا يزيد على ذلك. ويقول الشافعي تارة : أخشى أن يكون حراماً، ولا يجزم بالتحريم يخاف أحدهم إذا جزم بالتحريم أن يشمله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ . . . ﴾ [النحل :١١٦] .

خامساً : قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ . . . ﴾ [الحشر :٧] ولم يقل وما تركه فانتهوا عنه ، فالترك لايفيد التحريم ، وقال ﷺ (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم)[٤] ولم يقل : وما تركته فاجتنبوه ، وعلماء الأصول عرَّفوا السنة بأنها قول النبي ﷺ وفعله وتقريره ولم يقولوا : وتركه ، لأن ليس بدليل ، والحكم هو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف ، وذكر الأصوليون : أن الذي

---

(١) المحلى : ابن حزم . ٢/ ٢٧١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه بلفظ : (من غشنا فليس منا) في كتاب الإيمان ، باب قول النبي : من غشنا فليس منا برقم ١٤٦ . والترمذي في سننه كتاب البيوع عن رسول الله ، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع برقم ١٢٣٦ . وابن ماجه في سننه بلفظ مسلم ، كتاب التجارات ، باب النهي عن الغش برقم ٢٢١٦ ٢٣١٠ . والإمام أحمد في مسنده برقم ٤٨٦٧ ٩٠٢٧ .

(٣) وهو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك أبي عامر الأصبحي ، إمام دار الهجرة النبوية ، جده أبو عامر صحابي جليل ، شهد المغازي مع رسول الله ﷺ ، عالماً جليلاً لا يفتي في مسألة حتى يَسأل من هو أعلم منه . انظر : الطبقات الكبرى : ابن سعد . ٩/ ٢٥٠ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل ، باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا برقم ٤٣٤٨ . ورواه البخاري في صحيحه بلفظٍ مغاير في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله برقم ٦٧٤٤ . والإمام أحمد في مسنده برقم ٧١٨٨ـ ٧٧٩٧ـ ٩٤٠٤ـ ٩٦٤٦ .

يدل عليه قرآن أو سنة أو إجماع أو قياس ، والترك ليس واحداً منها ، والترك يحتمل أنواعاً غير التحريم ، والقاعدة الأصولية : ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال ، فالترك لا يقتضي التحريم .

سادساً : فالاحتفال بالمولد النبوي ، وبالليالي الفضيلة ، كليلة المعراج ونصف شعبان ، والأذكار خلف الصلوات أو قبل صلاة العيدين وخلف الجنازة وقراءة القرآن على الميت في الدار أو عند دفنه ، وصلاة التراويح أكثر من ثماني ركعات واستعمال المسبحة لحصر أعداد التسابيح والأذكار وغير ذلك ليست محرمة ، وإباحة هذه الأشياء ونحوها داخلة في عموم الآية ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس :٥٩] .

سابعاً : من المعروف عند علماء الأصول أن فعل النبي ﷺ يقسم إلى سنن حياتية اجتماعية وسنن عبادية ، والسنن العبادية ، هي المندوب ، يُثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، أما السنن الحياتية الاجتماعية ، فهي مباحة ، ويثاب الإنسان على نيته في تقليده للنبي ﷺ ، فمثلاً الثياب والحذاء لونها وشكلها وطولها ، والطعام غير المحرم ، ولذلك الأمور الحياتية التي تتطور مع تطور الزمان والحياة ، فالغاية منها تأمين ضروريات الحياة ، وهي التي عرفت بالضرورات الخمس فهو مصلحة ، وكل ما يفوِّت هذه الأصول فهو مفسدة ، ودفعُها مصلحة. . .)[1] فالنبي ﷺ كانت لـه ضفيرتان ، فهل عدم تربية ضفائر للرجال يكونون قد ارتكبوا محرماً ؟ وكذلك قصر النبي ﷺ ثوبه إلى نصف الساق ، فهل هذا يوجب على جميع الأمة الإسلامية فعل ذلك ؟ .

وأروي قصة ، استضفت مسلماً أميركياً زنجياً رئيساً لمركز إسلامي في الولايات المتحدة عندي لأسابيع ، فرفض أن ينام على السرير بحجة أن النبي ﷺ لم ينم على سرير ، وانتقد استعمال فرشاة الأسنان ومعجونه بحجة أن ذلك ليس من فعل النبي ﷺ ، واقتصر على المسواك ، فقلت له : والنبي ﷺ لم يركب طائرة ولا سيارة ولا قطار أنحرِّم ذلك ؟ ولم يستعمل تقنيات العصر من إذاعة وتلفاز وغيرها أنحرِّم ذلك ؟. . . هذا هو المفهوم المغلوط للدين بنية حسنة. . . .

إن الجمود على حرفية الأقوال والأعمال والتصرفات والعادات التي كان بعض المسلمين يلتزمونها ويمارسونها ، دون زيادة عليها ولا نقصان منها ولا تغيير لها ، ليس

(١) المستصفى : أبو حامد الغزالي . ١/ ١٤٠ ، ط التجارية ، القاهرة ، د .ت .

من قواعد الإسلام ، و(السلف أنفسهم لم يكونوا ينظرون إلى ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال أو تصرفات ، هذه النظرة القدسية الجامدة التي تقتضيهم أن يسمِّروها بمسامير البقاء والخلود ، وإنما أوْلَوْا هذه النظرة الثابتة إلى القرارات والأحكام التي تنزلت عليهم صريحة قاطعة في كتاب الله عز وجل أوخاطبهم بها رسول الله ﷺ ، ثم ساروا وراء ذلك مع ما تقضيه علل الأحكام وسنة التطور في الحياة ، وعوامل التقدم العلمي ، ومنطق التجاوز المستمر من الصالح إلى الأصلح ، كما سايروا الأعراف المتطورة من عصر إلى آخر ، أو المتبدلة ما بين بلدة وأخرى ، مادام ذلك كله منتشراً وراء أسوار النصوص الحاكمة والمهنية ، وربما اختلفوا هم فيما بينهم في تحديد كثير من الضوابط التي تحدد معنى الالتزام بالنصوص وتبيِّن كيفية ذلك ، لاسيما عندما تكون تلك الضوابط محل نظر واجتهاد ، لقد كان للنبي ﷺ وأصحابه في مكة أعرافهم وعاداتهم التي نشؤوا عليها وتعاملوا بها ، فلما هاجروا إلى المدينة المنورة استقبلتهم عادات غير التي مارسوها ، وأحوال غير التي عرفوها ، سواء ما يتعلق من ذلك باللباس والمسكن والظروف الناتجة عن الاحتكاك بالآخرين وضرورات مواجهتهم أو التعاون معهم ، فأقبلوا إلى ذلك كله متعرفين ومتبصرين ، ثم ركنوا إليه راضين ومتفاعلين . . .)[1] .

المطلب الخامس : ملاحظات ومقترحات

١ـ **لا يجوز تكفير المسلم** وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر ، ولا يجوز لأي إنسان الركض في التكفير والتفسيق والتبديع بالأوهام والمظانِّ دون تثبُّتٍ ويقين وعلم وإلا وقع المسلمون فيما بينهم ، ولتعذر من ينجو من الفتنة ، وكذلك لا يجوز تكفير الوهابيين والسلفيين فإنهم اجتهدوا فأخطؤوا .

٢ـ **جميع المسلمين يعرفون مقام الخالق ومقام المخلوق** وخاصة مقام الأنبياء والأولياء ، وليس في ذلك شرك قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . . ﴾ [الحج :٣٠] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج :٣٢] ، ومن ذلك تعظيم الكعبة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام مع أنها حجارة ، أمرنا الله بتعظيمها . . . فالشفاعة والتوسل وزيارة القبور لا تدل على إشراك بل تدل على تعظيم لله عز وجل .

---

(١) السلفية : د . البوطي . ص١٥ .

٣ـ إنَّ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة ، وهو أسلوب عربي بليغ مثل قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل :١٧] ، فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي والحقيقة هو الله تعالى . . والأمثلة في القرآن كثيرة .

٤ـ يجب ملاحظة النسبة المجازية في مقياس الكفر والإيمان . . فلا يجب الاقتصار على ظواهر الألفاظ دون النظر إلى القرائن والمقاصد ، كالقائلين بخلق القرآن عندما تمسَّكوا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف :٣] ، والقائلين بالجبر عندما تمسَّكوا بنحو قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات :٩٦] ، والقدرية الذين تمسَّكوا بنحو قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى :٣٠] .

أـ أما الأفعال للعباد من حيث الكسب والسببية والواسطة فإن فاعلها هم العباد ، ومن حيث الاختراع ، ففاعلها هو الله ، فالله هو المخترع والمقدِّر لها ، والمريد لها .

ب ـ ويكون للفعل فاعلان ، مثل بنى الأمير المدينة : ليس الأمير الذي بنى المدينة بل هم البناؤون . . . والفعل يستعمل على وجوه مختلفة ولا تناقض بينهما .

٥ـ والواسطة ليست شركاً فالكعبة وتقبيل الحجر الأسود . . . فليسوا معظَّمين لحجارتهما بل لمكانتهما عند الله .

٦ـ التصوف هو العلم الذي يبحث في تزكية النفس وتحقيق قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس :٩ـ١٠] ، وتحقيق مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإذا شابه شيء فكذلك الكثير من العلوم الإسلامية داخلها أشياء ليست من الدين ، وحتى التصوف الحق ، فقد مدحه « ابن تيمية » في الجزء العاشر والحادي عشر من « الفتاوى » وأثنى على « الجنيد »[١] و« عبد القادر الجيلاني »[٢] ، ويقول « ابن تيمية » : (والصوفيون قد يكونون من أَجَلِّ الصدِّيقين ، بحسب زمانهم)[٣] ، ويقول

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله : (إن الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى)ـ الفرقان ـ ابن تيمية . ص٩٨ .

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله : (والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم ، أمروا بالتزام الشرع والأمر والنهي ، وتقديمه على الذوق والقدر ، ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية) مجموعة الفتاوى . ١٠/٤٤٨ .

(٣) مجموع الفتاوى : ابن تيمية . ١١/١٧ .

عنهم أيضاً : (أيّدهم الله بخوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وبأنواع القدر والتأثيرات. . .)[1] ، حتى أن الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » أثنى على التصوف والصوفية فقد قال : (اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وآله بالهدى الذي هو العلم النافع ، ودين الحق الذي هو العمل الصالح ، فإذا كان من ينتسب إلى الدين : منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ، ومنهم من يتعانى أي يعتني بالعبادة وطلب الآخرة كالصوفية ، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين)[2] ، وهنا يثبت « ابن عبد الوهاب » أن سند الصوفية هو رسول الله ﷺ وآله وإليه ينتسبون ، ومما قال في (ملحق المصنفات) « هذه مسائل » قوله : (ولهذا كان مشايخ الصوفية يوصون كثيراً بمتابعة العلم ، قال بعضهم : ما ترك أحد شيئاً من السنّة إلا لكِبْر في نفسه)[3] ، ولعل حُسْن نيته وسلامة مقصده كانا يشفعان « لابن تيمية » في نقده للتصوف ، وهذا ما استدركه تلميذه « ابن قيم الجوزية » واتجه نحو التصوف وألَّف كتابه « مدارج السالكين » ، الذي هو شرح لكتاب « منازل السائرين » لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفي سنة ٤٨١ هـ .

٧ـ **والتوسل هو أحد طرق الدعاء والمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى** والمتوسَّل به إنما هو واسطة للتقرُّب ، ولا أحد من المسلمين يعتقد بأنَّ الواسطة كالإله ، والتوسل مظهر من مظاهر الحب ، ولو اعتقد المتوسِّل أنَّ من يتوسل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك. . . فقد جاء في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فتوسل كلٌّ بصالح عمله[4] ، وقد شرح « ابن تيمية » ذلك في رسالته (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) ، وعندما يتوسل إنسان بذات إنسان آخر فيقول مثلاً : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أو بفلان ، فهو في الحقيقة يتوسل بعمله الصالح لا بذاته لأنه يعتقد أن الله تعالى يحبه كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

---

(١) العقيدة الواسطية : ابن تيمية .

(٢) فتاوى ورسائل : المسألة الخامسة ، ص٣١ .

(٣) ملحق المصنفات : ابن عبد الوهاب ، ص ١٢٤ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في حديث طويل في كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيراً فترك الأجير أجره فعمل فيه برقم ٢١١١ . ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال .

﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة :٥٤] ، وإنَّ « ابن تيمية » في « الفتاوى » (٢/ ١٥٠) استشهد بحديثين : « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال : يا رب ، بحق محمد إلا غفرت لي ، فأوحى إليه وما محمد ؟ . . »[١] ، وقد ورد شواهد كثيرة من السنة ومن عمل الصحابة كانوا يتوسَّلون بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، وذكر « ابن تيمية » حديث الضرير الذي علَّمه النبيُّ ﷺ أن يصلي ركعتين ويصلي على النبي ﷺ ، وقال « ابن تيمية » : إن الحديث صحيح[٢] [٣] .

وقال « ابن تيمية » عندما سئل عن التوسل بالنبي ﷺ فأجاب : (الحمد لله أما التوسل بالإيمان به وبمحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وبشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع باتفاق المسلمين)[٤] ، حتى الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » أجاز التوسل والاستسقاء فقال : (لا بأس بالتوسل بالصالحين)[٥] ، ولقد رغب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يُدفَنا بقرب رسول الله ﷺ ، وكثير من الأحاديث أشارت إلى احتفاظ بعض الصحابة بأثر من آثار النبي ﷺ للتبرُّك . . . ولقد وردت نصوص كثيرة تثبت التوسل بالأنبياء والصالحين .

٨ـ الشفاعة : وهي طلب الشفاعة من النبي ﷺ ، **فطلب الشفاعة من الرسول ﷺ جائز** لأن الطالب يقصد بذلك التقرب من الله ، كما يطوف المسلم بالكعبة ويقبِّل الحجر الأسود ويصلي خلف مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ، والطالب للشفاعة يعتقد تمام الاعتقاد أنه

---

(١) كنز العمال : المتقي الهندي . المجلد الحادي عشر ، تتمة الإكمال من فضائل متفرقة تنبىء عن التحدث بالنعم ، رقم ٣٢١٣٨ .

(٢) التوسل والوسيلة : ص١٠١ . وانظر : الفتاوى : ٣/ ٢٧٦ . الفتاوى : ١/ ١٠٥ .

(٣) عن عثمان بن حنيف قال : ثم سمعت رسو ل الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائد وقد شقَّ عليّ ، فقال رسول الله ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري اللهم شفعه فيَّ وشفعني في نفسي ، قال عثمان : فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط . أخرجه الحاكم في مستدركه ، ١/ ٧٠٧ ، برقم (١٩٢٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرِّجاه .

(٤) الفتاوى الكبرى : ١/ ١٤٠ .

(٥) انظر : فتاوى ابن عبد الوهاب : القسم الثالث ، ص٨٦ ، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه سبحانه وتعالى ، ولا يقع شيء إلا برضاه وتأييده .

٩ـ وأجمع علماء الأمة أن البدعة تقسم قسمين : بدعة حسنة وبدعة سيئة ، قال الإمام « الشافعي » : (البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة ، فما وافق السنّة فهو محمود وما خالف السنّة فهو مذموم)(١) وحديث : « كل بدعة ضلالة »(٢) يقصد منه كل بدعة سيئة التي لا تدخل تحت أصل شرعي ، ومثل هذا التعبير وارد في كثير من الأحاديث مثل : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد »(٣) أي لا صلاة كاملة ، وحديث : « لا صلاة بحضرة طعام »(٤) أي لا صلاة كاملة ، وحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(٥) أي إيماناً كاملاً ، وهكذا في كثير من الأحاديث .

والبدعة الحسنة تندرج تحت حديث رسول الله ﷺ : « من سنَّ سنة حسنة كان له أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة »(٦) وحديث : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين . . . »(٧) ويقول سيدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح : (نعمت البدعة

---

(١) فتح الباري : ابن حجر . ١٧/ ١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم ١٤٣٥ . والنسائي في سننه كتاب صلاة العيدين ، باب كيفية الخطبة برقم ١٥٦٠ . وأبو داود في سننه كتاب السنة ، باب لزوم السنة برقم ٣٩٩١ . وابن ماجه في سننه افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، رقم ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) الجامع الصغير : السيوطي . م١ ، باب حرف لا ، رقم ٩٨٩٨ ، قال السيوطي : حديث ضعيف .

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال برقم ٨٦٩ . وأبو داود في سننه كتاب الطهارة ، باب أيصلي الرجل وهو حاقن برقم ٨٢ . والإمام أحمد في مسنده برقم ٢٣٠٣٧ـ ٢٣١٣٥ـ ٢٣٣١٠ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، رقم : ١٣ . ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم ٦٥٦٤ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه كتاب العلم ، باب من سن سنّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، رقم : ٤٨٣٠ .

(٧) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة ، باب في لزوم السنة برقم ٣٩٩١ . وابن ماجه في سننه كتاب المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم ٤٣٤٢ . والإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٥١٩ ، ١٦٥٢١ ، ١٦٥٢٢ . والترمذي في سننه كتاب العلم عن رسول الله ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم ٢٦٠٠ . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

هذه)[1] ، وعندما سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صلاة الضحى قال : (بدعة ونعمت البدعة هي)[2] ، ومن البدعة الحسنة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، والاحتفال بالمناسبات الدينية ، وذلك لتذكير المسلمين بها ودعوتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد سبق أن جمع سيدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه المصحف ، وأمر عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه العلماءَ بكتابة الحديث ، ثم نقط العلماء المصحف وشكلوه ، وأحدثوا المحاريب في المساجد ، ورفعوا المآذن ، وكل ذلك بدعة حسنة .

١٠ـ لقد أزالت وطمست السلطة السعودية آثار السلف الصالح ولكن منذ عام ١٣٩٩هـ **جعلت السعودية دائرة تعتني بالآثار تسمى (إدارة الآثار)** ، وجعلت مجلساً يسمى (المجلس الأعلى للآثار) ، وبدأت تهتمُّ بالآثار وتحافظ عليها ، مما أغضب الوهابيين الذين وقفوا موقفاً متشدداً من ذلك ، وهذا من مظاهر افتراق السلطة السعودية عن السلطة الوهابية الدينية .

١١ـ (بعد وفاة الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في ١٢٠٦هـ ، **فإن بعض العلماء الذين اعتنقوا الدعوة الوهابية كان الدين يعني عندهم الجمود والركود** ورفض كل ما هو جديد ومفيد وقد وصل أذى هؤلاء إلى الدولة السعودية نفسها ، فقد رفض هؤلاء مظاهر الحياة الحضارية الجديدة بآلاتها ومعدَّاتها وابتكاراتها بحجة أنها ليست من الدين ، وقد بذلت حكومة الملك عبد العزيز آل سعود جهوداً كبيرة لإقناعهم حتى أمكن استعمال الآلات والمخترعات الحديثة في المملكة)[3] لقد أخذت السعودية مكانة مرموقة في العالم العربي والإسلامي والعالمي ، وخاصةً بعد ظهور النفط ، وبدأت تلعب دوراً بارزاً في المنطقة ، أدى ذلك إلى التخلِّي عن تعصب الفكر الوهابي ، وبدأ الفصل بين السلطة السعودية والسلطة الوهابية في كثير من الأمور ، وحيث أصبح الحكم السعودي يجد السلطة الوهابية عبئاً عليه ، واعتبر السعوديون أنفسهم أنهم لكل المسلمين في العالم ،

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي : للمباركفوري ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدع ، رقم : ٢٧٤٨ . وموطأ مالك كتاب النداء ، باب ما جاء في قيام رمضان برقم ٢٣١ .

(٢) فتح الباري : ابن حجر . ٣/ ٧٩٥ .

(٣) الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله : تأليف أحمد القطعاني . ص٩ ، درنة ليبية ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، مكتبة جمهورية مصر ، الحسين القاهرة ، نقلاً عن كتاب تاريخ العرب الحديث : د . رأفت الشيخ . ص٢٥٩ .

وسمِّي الملك بخادم الحرمين الشريفين ، وأطلقوا على جميع الحجاج اسم (ضيوف الرحمن) ، بينما كان سابقاً يُتهم الكثير منهم بالشرك والفسق ، فتغيَّرت نظرتهم للمذاهب والأشخاص ، وفرضت الظروف الدولية التعاون بين السنة والشيعة ، وبين السعودية وإيران ، وبين السعودية ورجال من المتصوفة ، وبدأ الإعلام السعودي يبتعد عن التعصب والتكفير والتفسيق للآخرين ، ويحترم الآخرين ويستضيفهم ويتعاون معهم حتى مع أولئك الذين كفَّرهم الوهابيون ، فعندما توفي الداعية « أبو الحسن الندوي » الصوفي سنة ١٩٩٩م نعته السعودية في إعلامها حتى في الحرم المكي أثناء صلاة التراويح في رمضان من إمامها .

وهذا يدل على **بداية الافتراق بين السلطة السعودية والسلطة الوهابية** ، ولقد وقف كثير من الوهابيين معارضين ومنتقدين للدولة السعودية مما أدى إلى صراعات بين السلطتين وسُجن عدد من زعمائهم وتمَّ توقيفهم .

وبدأت الجامعات تدرس أبناءها المجاز واستعمالاته ، وبدأت تظهر انقسامات في الوهابية مثل حادثة الاستيلاء على الحرم ، فقد قام « محمد بن عبد الله القحطاني » و« جهيمان القيسي » في ١/ محرم/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م بالاستيلاء على الحرم معتبرين أن الحكم السعودي انحرف عن الوهابية ، وسميت جماعته « **بجماعة السلف الصالح** » ، ثم ظهرت حركة جديدة في الوهابية سمَّت نفسها « **الوهابية السلفية الجديدة** » وخاصة بعد حرب الخليج أو السلف الصالح ، الذين دعوا (لإحياء الوهابية الصحيحة فيما يعتبره انحرافاً بالمذهب الوهابي عن مقاصده ، واستخدامه من قبل السلطات الحاكمة وتدجين رجال الدين ، انطلق هذا التيار من معاقل الوهابية في حائل والقصيم ونجد في أوساط رجال الدين المطاوعة ، وطلبة العلوم الدينية الوهابيين . . .)[1] ، فبرز « مسفر الحولي » والشيخ « ناصر الغمر » ، والشيخ « عائض القرني » والشيخ « سلمان العودة ». . . ورفعت ٥٢ شخصية من رجال الدين وأساتذة الجامعة مذكرة للحكم ، ثم تطورت هذه المذكرة فبعث المنتقدون للحكم وثيقة من (٤٥) صفحة سمَّوها مذكرة النصيحة للحاكم والتي وقَّع عليها ما يقارب (١٠٨) من رجال الدين الوهابيين ومن القضاة وأئمة المساجد والخطباء . . . ولا ننسى أن « ابن سعود » تنبَّه إلى تشدُّد الوهابيين وحاربهم في معركة السبلة ٣١/ ٣/ ١٩٢٩م .

(١) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية : دراج وباروت . ٢/ ٥٧٧ .

ثـم أنشأ بعضهـم لجنة حقوق الإنسان في السعودية والدفاع عن الحقوق الشرعية في ٣/٥/١٩٩٣م وترأَّسها د . « محمد المسعري » ، و« عبد الله بن محمود التويجري » ، و« محمد الصليفح » ، و« عبد الله بن سلمان المسعري » . . . واتخذوا مقرّاً لهم لندن ، ومنذ ١٩٩٣ـ١٩٩٦م حاولت السلطة السيطرة على هذا الجناح الجديد المعارض ، وقد صدر ١٩٩١م مجلة (الجزيرة العربية) من لندن التي تمثل الجناح المعارض للحكم .

١٢ـ إن التشدد بالتكفير والتفسيق لا يمكن أن يستمرَّ حيث ترفضه الأذواق الصحيحة والفطرة السليمة ، فما دخل التشدد في شيء إلا شانه ، وإن الحركة الوهابية أو السلفية بدأت تظهر فيها الانقسامات والاختلافات ، وبدأت تنحسر حيث فقدت دعمها السابق ، وأصبحت عبئاً على الحكم السعودي الذي يبغي مكانة محترمة عند جميع دول العالم وخاصة عند العالم الإسلامي ، ولن يستمر عهد طويل حتى تتخلى السعودية عن الوهابية ، وحتى تنحسر الوهابية كما انحسرت فرق التعصب والتشدد .

١٣ـ إنَّ أعداء الإسلام وخاصة المستشرقون الذين بحثوا عن سر انتشار الإسلام ، فقد وجدوا **أن لرجال التصوف الفضل الكبير (في نشر الإسلام** في الأمصار البعيدة التي لم تغزُها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعَها للحكم الإسلامي ، وانتشر بهم الإسلام في إفريقية السوداء وفي إندونيسية وجزر المحيط الهندي وفي الصين وفي الهند وفي سيبيرية وإلى شواطىء البحر المتجمد الشمالي)[١] ، وللمتصوفين الفضل في إدخال التتار في الإسلام ، وقد (انتشر الإسلام على أيديهم وعلى أيدي أتباعهم في مشارق الأرض ومغاربها ولا يحاربهم ليلاً ونهاراً إلا دعاة التبشير وعملاء الاستعمار ، ولا يغمط حقهم أو يقصِّر في حقهم والثناء عليهم إلا من لم يَدْرس تاريخ الدعاة ولم يطَّلع على أعمالهم وآثارهم . . .)[٢] .

* * *

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام : أبو الحسن الندوي . ص٣٤٩ ، دار الفكر ، د . م ، د . ت .

(٢) كلمة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية ، ص٧٨ كتاب الصوفية والتصوف : يوسف هاشم الرفاعي ، د . ن ، الكويت ، ١٩٩١ .

المبحث السابع
أفغانستان والمجاهدون الأفغان والعرب (طالبان والقاعدة)

المطلب الأول : الروس وغزوهم لأفغانستان .

المطلب الثاني : أمريكة وغزوها لأفغانستان .

المطلب الثالث : المجاهدون الأفغان والعرب النشأة والتكوين .

المطلب الرابع : أهم أفكار الأفغان العرب .

المطلب الخامس : أهم عملياتهم في الوطن العربي .

المطلب السادس : حدثٌ هزَّ العالم (١١ أيلول/ ٢٠٠١) .

المطلب السابع : طالبان والقاعدة .

* * *

المطلب الأول : الروس وغزوهم لأفغانستان (١٩٧٩ـ١٩٨٩م)[١]

١ـ الموقع الجغرافي وطبيعة الشعب الأفغاني :

يحُدّ أفغانستان جمهوريات طاجيكستان وتركمانستان وقيرغيزية ، بطول يبلغ ألفي كيلو متر يمتدُّ من هضبة بامير إلى قرية ذي الفقار جنوباً ، وغرباً : الجمهورية الإسلامية الإيرانية من ذي الفقار إلى منطقة سيستان الصحراوية جنوباً ، وشرقاً : باكستان بطول يبلغ ٢٤٠٠ كلم ، وممرّ صغير بطول مئة متر مع الصين ، وتبلغ مساحة أفغانستان ٦٥٠ ألف كلم٢ ، نصف أراضيها هضابٌ وجبال ترتفع إلى ٦٠٥٤م أشهر مدنها : كابل ، قندهار ، هرات ، جلال أباد ، مزار شريف[٢] . . . ، ويبلغ عدد سكان أفغانستان حوالي عشرين

---

(١) انظر : كتابنا الدعوة والجهاد ، بالاشتراك ، دار بيروت المحروسة ، ط٣ ، ص : ٢٧٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) أفغانستان والغزو الشيوعي : ناصر الدين شاه ، ط١ ، ١٤٠١هـ١٩٨١م ، ص : ١١ بتصرف .

مليون نسمة ، تسع وتسعون بالمئة مسلمون ومعظمهم من أهل السنة[1] .

٢ـ الأسباب الحقيقية لدخول الروس البلاد الأفغانية :

إن السبب الأساسي لدخول القوات الروسية أفغانستان هو أن روسية تريد أن تصل إلى المياه الدافئة في بحر العرب ، وهناك تقف على مضيق هرمز الذي يمرّ عبره معظم البترول العربي الذي يمثّل أكبر مصدر للطاقة في العالم. . .

٣ـ عمليات التمهيد :

انتظر الشيوعيون مغادرة الملك أمين عبد الملك محمد ظاهر شاه البلاد سنة ١٩٧٣ إلى إيطالية للاستشفاء فأوعزوا إلى أحد أقربائه داود خان بالقيام بأول انقلاب قضى فيه على الملكيّة وأعلن الجمهورية ، ثم هيأت الجو لعميل آخر هو محمد نور الدين تراقي (أو طراقي) فقلب الوضع في ٢٨ نيسان ١٩٧٨ ، ثم أزاحته عن طريق انقلاب قام به عميل آخر هو حفيظ الله أمين في أيلول ١٩٧٩م ، ثم أجرى جيشُها الموجود في كابل انقلاباً في ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩م ، نسبته إلى عميلها بابراك كارمال (بيرك كارمل) بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٩٧٩م ، دخل الجيش الروسي إلى أفغانستان بحجة منع التدخل الباكستاني الإيراني ، وتلبية لدعوة الحكومة الأفغانية التي هي ظلّه بالتصدي للمد الرأسمالي الأمريكي وعمد الجيش الأحمر إلى تدمير المدن والقرى ودخول البيوت عنوة ، فهتكوا وقتلوا كلّ من رأوه أمامهم وليس له من ذنب سوى أنه أفغاني مسلم[2] .

٤ـ مسيرة الجهاد في أفغانستان :

كان المجاهدون الأفغان يقاومون السلطة الحاكمة والجيوش الرّوسية المعتدية ببنادقهم القديمة ، لكن كثيراً من أفراد الجيش الوطني كانوا يتركون وحداتهم ويلتحقون بالمجاهدين مع أسلحتهم ، كما أن أعداداً كبيرة من الجنود السوفيات المسلمين أصلاً كانوا ينضمُّون إلى صفوف المجاهدين ، بكامل قطعاتهم وأسلحتهم[3] ، كما أن بعض

---

(١) آيات الرحمن في جهاد الأفغان : عبد الله عزام ص ١٦ ، دار المجتمع ، جدة ، ط٥ ، ١٩٨٥ ، بتصرف .
(٢) أفغانستان والغزو الشيوعي : ناصر الدين شاه ، ص ٢٢ـ٧٩ بتصرف .
(٣) أفغانستان والاجتياح الروسي ، سلسلة الحركة الإسلامية : محمود المرداوي ص ٥٧ ، الشعاع للنشر ، الكويت ، ١٩٨٠م .

أبناء المناطق الإسلامية التي استعمرتها روسية المجاورة لأفغانستان قد قايضوا المصاحف بالأسلحة والذخيرة ، فكانت مثلُ هذه الحوادث قد أمّنت مصدراً هاماً لتسليح المجاهدين ، لقد بدّل الجهاد الأفغاني كثيراً من موازين القوى السائدة ، بأن يهزم أقوى دول العصر المتفجّر أسلحة ودماراً[1] .

٥ـ نتائج جهاد الأفغان ضد الروس :

كان جهاد الأفغان بالبندقية إلى جانب الكلمة الصادقة والحجة البيّنة ، فاستطاعوا الاستحصال على قرار من الهيئة العامة للأمم المتحدة بأكثرية ساحقة من الدول المجتمعة بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٨٠ ، تندّد بالتدخُّل الروسي المسلَّح ، وتطلب إليه الانسحاب الفوري غير المشروط واحترام سيادة البلاد الأفغانية[2] .

انتظمت الحركة الجهادية الأفغانية في أحزاب تكاد تخضع كلّها لرأي العلماء الذين أفتوا بوجوب الجهاد دفاعاً عن الدين والعرض والأرض ، وتجمّعت هذه الأحزاب تحت راية جهاد واحدة لتحرير أفغانستان لكنها ظلّت تعمل منفردة طيلة ثماني سنوات إلى أن نشأ تحالُف المجاهدين الأفغان بقيادة برهان الدين ربانيّ الذي استطاع أن يفرض شروط مفاوضاته مع أعدائه الروس في الطائف في تشرين أول ١٩٨٩ تضمَّن اعتراف الروس الرسمي بالمجاهدين وتأمين انسحاب القوات السوفياتية[3] .

المطلب الثاني : أمريكة وغزوها لأفغانستان

١ـ زوّدت الولايات المتحدة المقاتلين بما يحتاجونه ، ويسّرت الذهاب إلى أفغانستان بمساعدة دول عربية وباكستان وغيرهم ، ولكن عندما تطهّرت أفغانستان من الروس ، تدخَّلت الولايات المتحدة لتحقيق هدفها بالاستيلاء على أفغانستان ، واتخذت ما حدث في ١١/ أيلول ٢٠٠١ ذريعة للتدخل العسكري ، والمجاهدون الأفغان الذين **كانوا**

---

(١) مجلة المسلمون : السنة الخامسة ، العدد ٢١٣/ ٢٥ رجب ١٤٠٩هـ/ ١٣ آذار ١٩٨٩م ، ص ٢٠ بتصرف .

(٢) أفغانستان والغزو الشيوعي : ناصر الدين شاه ، ص ١١٣ .

(٣) مجلة المسلمون : السنة الخامسة ، العدد ٢١٣/ ١٣ آذار ١٩٨٩م ، ص ٢٠ بتصرف ، وكان خروج آخر جندي سوفياتي من أفغانستان بتاريخ ١٥ شباط ١٩٨٩م .

يعتبرون محررين أصبحوا إرهابيين ؟ والمجاهدون العرب الذين ذهبوا إلى أفغانستان طالتهم السجون عندما رجعوا إلى بلادهم بحجة أنهم إرهابيون ، ويمكن أن نجمل أهداف العدوان الأمريكي بما يلي :

أ ـ تحقيق الأهداف الصهيونية في مشروع الشرق الأوسط الجديد .

ب ـ رغبة الولايات المتحدة الدفينة منذ القدم في الوصول إلى أواسط آسية والذي يحقق لها عدة أهداف استراتيجية ، منها :

ج ـ الوصول إلى بقعة تستطيع فيها أن تضرب قلب روسية .

د ـ الوصول إلى بترول القوقاز حول بحر قزوين والبحر الأسود بعد السيطرة على بترول الخليج .

هـ ـ الاقتراب من حدود المارد الصيني . .

و ـ ضرب إيران في أمنها القومي بالوقوف على حدودها الشرقية المتاخمة لأفغانستان .

ز ـ ضرب باكستان في أمنها القومي أيضاً بالوقوف على حدودها الشمالية والغربية ، وتحجيم القوة النووية الباكستانية وهي القوة النووية الإسلامية الوحيدة .

٢ ـ مواقف بعض الدول من التحالف المزعوم :

لقد وقفت الدول المختلفة مواقف متباينة من هذا التحالف يمكن إجمالها في أربعة اتجاهات كما يلي :

أ ـ دول مؤيدة :

ـ **الولايات المتحدة الأمريكية** : أعلنت أنها قائدة التحالف ، والمسؤول الأول عن القضاء على الإرهاب في العالم وأعدَّت قواتها ، وجيَّشت جيوشها وحدّدت العدو ودعت العالم أجمع إلى الوقوف خلفها ، لكي تثأر لنفسها وله . . .

ـ **الدول الأوربية** : وقفت جميعها بلا استثناء خلف أمريكة داعمةً لها من خلال حلف شمال الأطلسي ، وإن كانت قد تراوحت فيما بينها في حجم الدعم المقدَّم منها ، ففي الوقت الذي أعلنت فيه بريطانية أنها تضع جيوشها وكافة إمكانياتها للمشاركة الكاملة في الحرب ، أعلنت بعض الدول مثل ألمانية وفرنسة أنها سوف تساعد على فتح الأجواء للطيران الأمريكي وتزويده بالوقود ووضع قواعدها العسكرية وموانيها لخدمة القوات

الأمريكية ثم عادت فرنسة بعد بدء الحرب فأعلنت أنها سوف تشارك بجيشها في القتال .

ـ **باكستان** : لم تشعر دولةٌ ما تجاه قضية الإرهاب المزعوم والعمل على إنشاء تحالف دولي ضدّه بأنها بين المطرقة والسندان كما شعرت باكستان ، فالهند (عدوتها اللدود) ولها تعاون وثيق مع إسرائيل تتربص على حدودها ، والهدف المشترك الذي يراود الدولتين هو ضرب القوة النووية الباكستانية الوليدة ، وذلك باستخدام الطيران الإسرائيلي المتطور المنطلق من القواعد الهندية المتاخمة لحدود باكستان في غارات مشابهة لتلك التي ضربت فيها المفاعل النووي العراقي ، وسوف يتمّ ذلك كله بمباركة أمريكة ودعم بأقمار التجسس ، وتزويد إسرائيل بأعتى نُظم التسلّح وأقوى الطائرات وأشدّها تطوراً ، والكل يعلم جيداً ما معنى أن تتحطم القوة النووية الباكستانية ، فالنتيجة هي انهيار ميزان القوى انهياراً ساحقاً لصالح الهند ضد باكستان ، وضياع دولة كشمير إلى الأبد . . .

ـ **الهند** : وجدت الهند التي اكتوت بنار الجهاد في كشمير فرصة العمر لاكتساب الغرب كلّه كحليف لها في معركتها ضد المجاهدين في كشمير وضد باكستان التي تخيلت الهند أنها سوف ترفض الانضمام للتحالف وبالتالي ظنت أنها سوف تأخذ الضوء الأخضر للانطلاق للسيطرة على كشمير وتُحكم قبضتها نهائياً عليها ، وتكسر شوكة باكستان العسكرية ، وتدمِّر قوتها النووية ، ولكن حيث أعلنت باكستان موافقتها على الانضمام للتحالف والتي رحَّب بها الغرب أيما ترحيب وذلك لعدة أسباب منها : أن باكستان تقع على الحدود المباشرة لأفغانستان ، فهي أطول دولة لها حدود مع أفغانستان من الشرق والجنوب وذلك سوف يوفر للتحالف حرية اختراق الحدود الأفغانية مباشرة في مساحات شاسعة ، وأن باكستان هي الدولة التي ظلت تقدم الدعم الأكبر للجهاد الأفغاني ولمنظمة طالبان على جميع المستويات .

ـ **روسية** : بالرغم من الكراهية الشديدة بين روسية والغرب إلا أن القيادة الروسية وجدت في ذلك التحالف فرصة ذهبية للمشاركة فيه مقابل أن يضاف الجهاد الشيشاني إلى قائمة الإرهاب .

ـ **الصين** : كان موقفها مشابهاً للموقف الروسي ، فقد وجدت الصين فرصتها الذهبية أيضاً في التعاون مع التحالف ولو بشكل متحفِّظ مقابل تخفيف أمريكة من دعمها لتايوان في توجهاتها الانفصالية عن الصين .

ب ـ دول معارضة :

ـ **إيران وسورية :** أعلنت إيران أنها لن تنضم إلى تحالف يهدف إلى ضرب أي دولة مسلمة ، وذلك بالرغم من زيارة كبار المسؤولين الأوربيين لها محاولين ضمّها للتحالف وبالرغم أيضاً من الخلاف الشديد بين الحكم في طهران وحكومة طالبان ، وكذلك كان الموقف السوري رافضاً لهذا العدوان وينطلق في موقفه من معرفته بأطماع الولايات المتحدة وإسرائيل وأهدافها الحقيقية من هذا التحالف .

ج ـ موقف الدول العربية :

إن موقف الدول العربية تجاه التحالف الغربي ضد الإرهاب كان مهزوزاً ، فقد تراوحت المواقف ما بين الرفض المطلق كالعراق أو الوقوف موقفاً مبدئياً ومشرفاً كما فعلت مصر وسورية ، أو التأييد المطلق كما فعلت دول الخليج المغلوبة على أمرها لوجود القواعد العسكرية والهيمنة الأمريكية الطاغية على أراضيها أو التأييد المبالغ والذي وجد الكثير من الاستغراب والاستنكار كما فعلت السلطة الفلسطينية .

د ـ الواقع العسكري وتطور الأمور في المستقبل :

لا يوجد بأي حال من الأحوال مجال للمقارنة بين القوة العسكرية للتحالف والقوة العسكرية للقوات الأفغانية ممثلة بقوات طالبان ، وقد بدأ العدوان في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ٧/ ١٠/ ٢٠٠١م ، حيث أعلنت قواتُ التحالف أن هدفها هو القضاء على أسامة بن لادن وجميع قيادات القاعدة وتنظيمهم ، وقد بدأ العدوان بموجات من القصف الجوي سواء بالطائرات القاذفة أم بالصواريخ عابرة القارات ، لقد وقعت أفغانستان تحت الاحتلال الأمريكي ولكن هذا الاحتلال لم يستطع أن يقضي بشكل تام على طالبان والقاعدة وهو مازال يتعرض يومياً لأعمال تتطور بشكل كبير وتوقع الخسائر الكبيرة في القوات المحتلة وتقف الإدارة الأمريكية عاجزة عن التصرف وتخسر يومياً من رصيدها السياسي والعسكري والاقتصادي[١] .

---

(١) ينظر : الجمعية الشرعية الرئيسية : لجنة الدعوة أفغانستان مقبرة الغزاة ، المطبعة العربية القاهرة ، د .ت ، بتصرف .

المطلب الثالث : المجاهدون الأفغان والعرب النشأة والتكوين

شجَّعت الحرب الباردة الولايات المتحدة على تشجيع الشباب الإسلامي على التوجُّه إلى أفغانستان وباكستان للاشتراك في الحرب على السوفيات أو في العمليات الإغاثية هناك. . . وسمحت الحكومات العربية الصديقة للولايات المتحدة والتي تخشى من المدّ الشيوعي لكثير من المتطوعين من مواطنيها بالسفر للاشتراك في تلك الحرب ، وكانت أهم الدول التي قدمت دعماً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً للمجاهدين الأفغان هي السعودية وباكستان ومصر والكويت. . . نشطت رابطة العالم الإسلامي السعودية ولجان وجمعيات العمل الخيري في الكويت والإمارات وقطر بافتتاح مراكز إغاثية وأخرى صحية ساعدت في مجملها الوجود العربي على الاستمرار في القتال إلى جانب الأفغان. . . [1] .

إن الدعم الذي حصل للأفغان ضد السوفيت لم يحصل لأية قضية إسلامية أخرى ، كالقضية الفلسطينية والكشميرية والبوسنية أو الشيشانية ولا حتى العراقية. . .

واستجاب كثير من الأغنياء السعوديين لدعم هذه الحملة وعلى رأسهم المليونير السعودي أسامة بن لادن ، فأقام عام ١٩٨٨م معسكرات المتطوعين والإنفاق عليهم وتدريبهم ، وسمّى تنظيمه بتنظيم القاعدة. . .

وتزعَّم من مصر الإخواني عبد الله عزام تجييش الشباب المصري ، وتعاظم تأثير جماعة الجهاد المصرية بالانضمام لأسامة بن لادن ، وأنشئت عدة معسكرات لتدريب المتطوعين العرب وكان أهمها (معسكر مأسدة الأنصار) الذي أنشأه ابن لادن ، و(معسكر صدى) الذي يشرف عليه عبد الله عزام ، وعندما انتصر المجاهدون على السوفيت والحكومة الموالية لهم ، وسقطت مدينة كابل بأيدي المجاهدين كان الأفغان العرب قد اكتسبوا خبرة قتالية عالية الجودة ، وحملوا فكراً جهادياً ضد الأنظمة الحاكمة ، فظلَّ بعضهم في أفغانستان ورجع بعضهم إلى بلدانهم كبلاد الخليج والأردن والسودان ، حيث لم تكن هناك مشكلة مع حكوماتهم .

وظلت الجماعات التابعة للاتجاهات الإسلامية المختلفة في معسكرات التدريب مثل جماعة الجهاد ، والجماعة الإسلامية المصريتين ، وتنظيم القاعدة التابع لأسامة بن

---

(١) الحركات الإسلامية : طحان ، ص ٣٩٨ـ٣٩٩ .

لادن ، والجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية ، والجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية . . .

وشارك هؤلاء في الحرب الأهلية التي دارت بين الفصائل الأفغانية بعد دخولها إلى العاصمة كابل ، وانتقل بعضهم للقتال في أماكن أخرى كالبوسنة وكشمير وجنوب السودان والصومال وطاجكستان والشيشان. . . أو إلى بلادهم لإسقاط الأنظمة الحاكمة وذهاب بعضهم إلى دول أوربة وأمريكة الشمالية بقصد الحصول على اللجوء السياسي ، وعدد الأفغان العرب الموجودين في أفغانستان إبان حكم طالبان هو من ألف إلى أربعة آلاف لا يعرف عددهم بالتحديد. . .

وتختلف انتماءاتهم الفكرية والتنظيمية والغالب عليهم الفكر المتطرف كتنظيم الجهاد وجماعة التكفير والهجرة من مصر والسلفيين الجهاديين الذين اعتمدوا على فكر محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية وابن رجب الحنبلي ، وانتشر فكر التكفير وفكر سيد قطب ، وهو الفكر التجهيلي والتكفيري والحاكمية والعصبية ، وظهرت كتيبات عديدة مثل : الفريضة الغائبة ، ومنهاج العمل الإسلامي للجماعة الإسلامية ، والمنهاج الحركي لجماعة الجهاد ، والحصاد المر ، وحكم قتال الطائفة الممتنعة ، وغيرها من الكتابات. . .

واشتد تطرف الأفغان العرب عندما تدخَّلت الولايات المتحدة الأمريكية بالشأن الأفغاني واكتسحت قواتها الأراضي الأفغانية ، فخرجت القوات السوفيتية وحلَّت محلها القوات الأمريكية ، ثم وقعت حرب الخليج الثانية ودخلت القوات الأمريكية في المنطقة ، فعندما تحقق للولايات المتحدة الأمريكية ما تريد بدأت حربها على المجاهدين بالأمس ضد القوات السوفيتية من أفغان ومن مجاهدين عرب .

المطلب الرابع : أهم أفكار الأفغان العرب

١ـ يعتبرون أن كل حكام المسلمين كفَّار يجب تغييرهم بالقوة والجهاد .

٢ـ يرفضون التعامل مع مؤسسات الدولة بحجة أنها تدعم دولة الكفر والطاغوت .

٣ـ نظرتهم إلى المجتمعات العربية والإسلامية مختلفة ، فبعضهم يعتبرها مغلوبة على أمرها ، وآخرون يعتبرونها مجتمعات جاهلية كنظرة سيد قطب ، وآخرون يعتبرونها كافرة .

٤ـ أجاز بعضهم قتل الأبرياء بحكم ما يسمونه التترّس ، فلو تخفَّت أو تترست الطائفة

الممتنعة عن تطبيق شرائع الإسلام بمجموعة من المسلمين الأبرياء فيجوز ـ حسب فهمهم المغلوط ـ قتال الجميع ، ومن يموت من الأبرياء يبعث على نيته يوم القيامة .

المطلب الخامس : أهم عملياتهم في الوطن العربي

في مصر : محاولة اغتيال وزير الداخلية المصري زكي بدر في كانون أول عام ١٩٨٩م ، واغتيال رئيس مجلس الشعب المصري د . رفعت المحجوب في تشرين أول عام ١٩٩٠م ، ومحاولة اغتيال وزيرَي الداخلية حسن الألفي والإعلام صفوت الشريف عام ١٩٩٣م ، ومحاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك بأثيوبية في حزيران ١٩٩٥م ، والتفجير الذي تعرضت له السفارة المصرية بإسلام أباد في تشرين ثاني عام ١٩٩٥م .

في الجزائر : خطف أعضاء في السفارة الفرنسية بالجزائر عام ١٩٩٣م ، ومحاولة اغتيال وزير الدفاع السابق الجنرال حلمد نزار ، ومحاولة تفجير مطار هواري بومدين ١٩٩٣م ، وقتل ١٢ كرواتياً في الجزائر ، وتدمير العديد من المدارس وقتل أعداد كبيرة من المدنيين .

في السودان : دخل أسامة بن لادن عام ١٩٩٢م بعد سقوط كابل ، والتقى عدداً كبيراً من الأفغان العرب المصريين من بينهم أيمن الظواهري ، وأبو حفص المصري ، ومصطفى حمزة. . . حيث حوَّل أسامة بن لادن بعض نشاطه التجاري إلى السودان ، وكان من أهم مشاريعه : إنشاء سد (الروصيرص) أحد أكبر السدود السودانية ، وشق ترعتي كنانة والرهد ، وبناء مطار بور سودان الجديد ، وإنشاء طريق التحدي لربط الخرطوم ـ شندي ـ عطبرة . . .

وظهر نشاط الأفغان العرب في الصومال واشتراكهم مع قوات التحالف الوطني ضد القوات الأمريكية عام ١٩٩٤م ، وكذلك تفجير سفارتَي الولايات المتحدة الأمريكية في تنزانية ودار السلام في توقيت واحد في آب ١٩٩٨م ، ولا تزال الاضطرابات والتفجيرات في الصومال إلى اليوم .

وفي اليمن : من أهم عملياتهم تدمير المدمرة الأمريكية كول في عدن عام ٢٠٠٠ والتي أعلنت السلطات اليمنية أنّ بعض منفِّذيها هم من الأفغان العرب .

وفي السعودية : من أهم عملياتها قتل ٥ أمريكيين وهنديين وجرح ٦٠ آخرين في

مكاتب البعثة العسكرية الأمريكية في الرياض في تشرين ثاني ١٩٩٥م .

وانفجار الخبر في الظهران في ٢٥ تموز عام ١٩٩٦م والذي تسبب في مقتل ١٩ أمريكياً وجرح ٣٨٦ شخصاً من بينهم ١٧ سعودياً و١١٨ بنغالياً و١٠٩ أمريكيين و٤ مصريين وأردنيين .

المطلب السادس : حدثٌ هزّ العالم

وأصدر أسامة بن لادن وجماعته فتوى بقتال اليهود والصليبيين والأمريكيين وضرب مصالحهم أينما وجدوا ، وكان من أهم الأعمال : التفجير الذي لحق بجزء من مركز التجارة العالمي في نيويورك وواشنطن في شباط ١٩٩٥م ، وأدى إلى مقتل ستة أمريكيين وجرح نحو ألف شخص وخسائر قدِّرت بأكثر من مليار دولار ، وكان المنفِّذان الرئيسيان رمزي يوسف وأحمد عجاج ، اللذين كانا قد تقابلا في أفغانستان أثناء الحرب مع السوفيت .

ثم تفجير برجَي مركز التجارة العالمي يوم ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ في نيويورك وجزء من مبنى وزارة الدفاع في واشنطن ، والذي أكدت الولايات المتحدة الأمريكية أن تنظيم القاعدة الذي يرأسه ابن لادن وتؤويه حركة طالبان هو المشتبَه به الرئيسي فيه ، وقام ابن لادن بتمويل الجهاد ضد أمريكة وحلفائها ، وتعززت القاعدة بانضمام د .أيمن الظواهري ، مسؤول منظمة الجهاد المصرية إليها ، ليصبح الرجل الثاني في تنظيم القاعدة .

المطلب السابع : طالبان والقاعدة

ساعدت السعودية حكومة وجمعيات خيرية الأفغان بافتتاح مدارس لهم للوقوف في وجه الشيوعية في زمن الاتحاد السوفيتي ، في ولاية قندهار الواقعة في جنوب غرب أفغانستان على الحدود مع باكستان ، ودعمتهم باكستان ، وأغلبهم ينتمون إلى القومية البشتونية الذين يمثلون ٣٨٪ من تعداد الأفغان البالغ قرابة ٢٧ مليوناً ، وهذه القومية منتشرة بين الأفغان وروسية وإيران وباكستان ، وهم سنة أحناف ماتريدية ، فالمرحلة الأولى من الدراسة يسمى طالبان ، ثم ملا ، ثم مولوي من أجيز بعد انتهاء دراسته وأجيز بالتدريس ، وتتصف مناطقهم بالقساوة والصلابة التي أثرت في نفسياتهم فاشتهروا

بالصلابة والعناد شأن الأفغان عموماً ، وتحمُّل الخشونة وشظف العيش ، واحترامهم لعلماء دينهم ، وإخلاصهم لفكرتهم ، والجدية في عملهم ، والبساطة في حياتهم .

بعد دحر قوات الاحتلال السوفيتي تنازعت فصائل المقاومة فيما بينها وذهب أكثر من ٤٠ ألف قتيل وعشرات الآلاف من الجرحى ومثلهم من النازحين ، إضافة إلى خسائر مادية أخرى ، ولم تستطع حكومة رباني الصمود ، وخاصة في وجه رشيد دوستم الشيوعي ، الذي سيطر على ست ولايات في الشمال ، وحكمتيار المدعومان من باكستان ولكن عندما فشلت باكستان اعتمدت على طالبان وسبب ذلك فقدان الأمن والأمان واضطربت البلاد وكثر قطَّاع الطرق وأعمال السلب والنهب وابتزاز الأموال وفرض الأتاوات ، مما مهد الطريق أمام طالبان .

ولما كانت حركة طالبان مدعومة في بدايتها من السعودية وباكستان ولم تمانع أمريكة من ظهورها في بداية الأمر ، ثم سرعان ما انقلب الوضع ، لقد أعلنت طالبان عن نفسها في ٣/ ١١/ ١٩٩٤م ، وسرعان ما لقيت قبولاً مبدئياً من قطاعات عريضة من الشعب الأفغاني الذي أنهكته الحرب الأهلية ، وأعلن المجاهد الملا محمد عمر أمام العلماء في قندهار يوم ٤/ ٤/ ١٩٩٦م عن إقامة حكومة إسلامية عندما اجتمع ١٥٠٠ من علماء أفغانستان من مناطق مختلفة وبايعوه أميراً على البلاد ، ولقَّبوه بأمير المؤمنين ، وعيَّن الملا محمد عمر مجلساً لإدارة الأمور في كابل لفترة مؤقتة بعد سقوطها بيد طالبان في ٢٧/ ٩/ ١٩٩٧م ، ويتكون هذا المجلس من ستة أشخاص ، كما جعل مجلس الشورى المركزي للحركة مكوناً من ٧٠ عضواً ، ثم مجلس الشورى العالمي ويجمع كل القيادات المعروفة داخل الحركة ، ثم مجلس الوزراء ومعظمهم من الشباب ، ودار الإفتاء المركزي .

لقد اتصفت هذه الحركة بصلابتها ومع نجاحها وسيطرتها على معظم البلاد الأفغانية ، إلا أنها قدمت صورة مشوَّهة للنظام الإسلامي في الحكم ، والتعصب للرأي ، وعدم وجود كوادر مؤهلة وقلة الاهتمام بالتعليم العصري ، ومنع المرأة من التعليم . . .

وكان ١١ أيلول ٢٠٠١م يوم الهجوم على نيويورك وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية وكانت حصيلة التفجيرات أكثر من ستة آلاف شخص ، واتُّهم فيه تنظيم القاعدة الذي تزعمه أسامة بن لادن ، وامتنعت أفغانستان عن تسليم أسامة بن لادن للولايات

المتحدة الأمريكية ، وكرست أمريكة كل قواها للسيطرة على أفغانستان واستعملت أحدث الأسلحة المتنوعة وإلى اليوم لم تستطع السيطرة على أفغانستان .

لقد ظهر العديد من الانتحاريين الذين جهَّزهم تنظيم القاعدة في أماكن مختلفة في العالم ويعتقد وجود بعضهم في أكثر من ٦٠ دولة ، وزادت حدَّته بعد غزو العراق من أمريكة وحلفائها كإسبانية وبريطانية والأردن والسعودية ، وأغلبهم من الطبقات الوسطى ، ودون ٢٦ سنة ، ووسيلة الاتصال في الغالب بين شباب القاعدة والمدعوِّين الجدد من العالم هو الإنترنت ولهذا انخفض مستوى العمر إلى حوالي ٢٢ سنة للذين تم توقيفهم من إرهابيي تنظيم القاعدة .

وذكرت بعض الدراسات التي أجريت على حوالي ٤٠٠ ممن يسمُّونهم بالإرهابيين أن نسبة ٨٧٪ من الإرهابيين بين الذين شملتهم الدراسة حصلوا على تعليم علماني ، وأن ٨٤٪ ينتسبون إلى عائلات تمثل معتقدات دينية معتدلة أو نظرة إجمالية علمانية بالكامل وتعلموا في الغرب وليس في بلاهم الأصلية ، وأن ٨٪ منهم من مسيحيين اعتنقوا الدين الإسلامي ، وثلثهم دراستهم جامعية ، والعديد منهم كانت دراستهم علمية كعلم الهندسة والتصنيع و٧٥٪ منهم متزوِّجون ولهم أولاد ، و٦٠٪ منهم لهم وظائف مهنية عالية أو شبه مهنية ، ولم يثبت على أحدهم سجل إجرامي سابق ، أو اضطرابات عقلية .

لقد تعددت الأعمال الانتحارية والتفجيرية في العديد من الدول وخاصة العربية كالسعودية والجزائر والمغرب ومصر والعراق .

وانضمَّ أبو مضعب الزرقاوي الأردني تولُّد عام ١٩٦٦م ، للجهاد في أفغانستان عام ١٩٨٩ للجهاد ضد السوفيت ، ثم عاد للأردن ليسجن بها من عام ١٩٩٣ إلى عام ١٩٩٩م ثم عاد إلى أفغانستان ، ثم تحوَّل للعراق بعد غزوه من القوات الأمريكية وحلفائها ، وقاد عملياتها مع جماعته هناك حتى أعلن عن مقتله عام ٨/ يوليو/ ٢٠٠٤ م .

واتخذت القاعدة ضمن باكستان لها مقراً على الحدود الأفغانية الجبلية الوعرة ، وكبدت القوات الأمريكية وحلفاءها خسائر فادحة ، مما استدعى أوباما أن يرسل المزيد من القوات الأمريكية إلى أفغانستان وأن ينزح أكثر من مليوني باكستاني عن الحدود الباكستانية الأفغانية في مطلع ٢٠٠٩م بعدما كرست باكستان كل قواها لمداهمة قواعد طالبان والقاعدة في الحدود الباكستانية الأفغانية .

المطلب الثامن : قوة القاعدة

يعزو الكثير قوة القاعدة للأسباب التالية :

١ـ التدريبات التي قامت بها الولايات المتحدة لمنتسبي القاعدة ودعمها لهم أولاً في زمن السوفيت .

٢ـ دعم باكستان للمجاهدين الأفغان عتاداً ورجالاً .

٣ـ دعم السعودية بشكل مباشر وغير مباشر للمجاهدين الأفغان .

٤ـ سياسة أمريكة بدعم إسرائيل المطلق والتغاضي عن مجازرها واحتلال الأراضي في فلسطين ولبنان وسورية وغيرها ، وخاصة في زمن بوش الابن والتغاضي عن المقررات الدولية .

٥ـ مواقف أمريكة والغرب من القضايا العربية والإسلامية الجائرة .

٦ـ غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها .

٧ـ الأمركة التي تفرضها أمريكة على العالم باسم العولمة أي الهيمنة .

٨ـ تردِّي الأحوال الاقتصادية والاضطرابات السياسية والاجتماعية في كثير من دول العالم وخاصة الإسلامية والعربية مما جعل حالة من اليأس عند بعض الشباب المسلم القانط اليائس .

* * *

المبحث الثامن

منظمة فتح الإسلام وجند الشام[1]

أولاً : البداية والنشأة :

ربما يكون ترجمة عملية وتنفيذاً لتهديدات إقليمية بفوضى عارمة وخراب ودمار يعمُّون لبنان خصوصاً والمنطقة عموماً ، إذا ما أقرَّت المحكمة ذات الطابع الدولي النظر في جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري .

ثانياً : مخيما نهر البارد والبداوي :

مخيم نهر البارد : يقع على مساحة لا تتجاوز الكيلومترين مربعاً وتقطنه كثافة سكانية تعدادها يصل إلى الأربعين ألفاً من اللاجئين الفلسطينيين ، لكن هذه الكثافة ومع الوقت تمددت خارجه حيث اشترى أهله أراضي مجاورة له أقاموا عليها عمارات تحتوي شققاً سكنية ومحلات .

وبسبب وقوع المخيم على خمسة عشر كيلومتراً من مدينة طرابلس وعلى مسافة تقريباً مماثلة من مدينة عكار ، وكثير من البلدات المجاورة والقريبة ، لعب المخيم وأهله دوراً تجارياً للمواد الاستهلاكية فكان كسوبر ماركت لمحيطه .

مخيم البداوي : والذي يقع على مسافة خمسة كيلومترات من مدينة طرابلس ويسكنه ما يصل إلى الخمسة عشر ألفاً من الفلسطينيين ، ويقع على مساحة كيلومتر واحد .

ثالثاً : متى انكشف وجودهم بشكل علني :

كان يوم (١٣/ ١١/ ٢٠٠٦) حينما اشتبك ١٩ فرداً من هذه العناصر الغريبة الوافدة مع عناصر من اللجنة الأمنية في مخيم البداوي ، مما اضطر هذه العناصر إلى مغادرة مخيم البداوي والتجمُّع في مخيم نهر البارد ، حيث احتلُّوا في ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٦ مراكز فتح

---

(١) محاضرة لموفق الرواس ، بتاريخ ٥/ ٦/ ٢٠٠٧ ، بيروت ، مأخوذة من الإنترنت .

الانتفاضة وأعلنوا الانشقاق عنها تحت اسم (فتح الإسلام) بقيادة العقيد شاكر العبسي ، وبطريقة تشبه التسلُّم والتسليم! وتدعو إلى الريبة والتساؤل! .

بعد ذلك بدأت مجموعاتٌ من التوجُّهِ نفسه من لبنان أقلية ومن خارجه أغلبية التجمُّع والانضواء في التنظيم الذي أعلن عن نفسه باسم تنظيم فتح الإسلام ، حتى بلغ عددهم ما يزيد عن مائتي عنصر ، وربما وصل إلى أكثر من ذلك .

ورغم محاولات فتح الإسلام التقرُّبِ من أهل المخيمين بتقديم بعض الإعانات الاجتماعية لهم ، إلا أنها لم تستطع أن تحظى بقبول وترحيب أيٍّ من المخيمين لأنهم غريبون عنها ، فبقي أهل المخيمين على موقفهم المتوجِّس والمرتاب منهم ، وبقيت فتحُ الإسلام موضوعَ تهامُسٍ بين أهل المخيمين ، لاسيما أن معظم العناصر بقي متشبثاً بلثامه الذي يخفي وجهه ، وغالبيتهم غير فلسطينيين من جنسيات مختلفة .

رابعاً : شاكر العبسي رئيس تنظيم فتح الإسلام :

هو فلسطيني أردني ، من مواليد أريحة ١٩٥٥ ، كان عضواً في فتح برتبة (عقيد طيار) أُرسل إلى ليبية للتدرُّب على الطيران ، وعندما حصل انشقاق فتح الانتفاضة كان هناك فانضم إليها ، ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق ، وأصبح مقرباً من (أبو خالد العملة) الرجل الثاني في حركة فتح الانتفاضة بعد أبي موسى .

كان في تلك المرحلة يسارياً معجباً بتشي غيفارا الذي قال : « إنه يحمل في جعبته أمرين أحدهما الطبّ ، والثاني الذخيرة ، فرمى جعبة الطب ، وقال : هذه تنقذ بضعة أناس ، لكن الرصاص ينقذ أمة » ، ويقول : إن هذا هو سبب تخلِّيه عن دراسة الطب بعد نجاحه في السنة الأولى ، وحصوله على المرتبة الأولى بين زملائه .

اتُّهم شاكر العبسي باغتيال الدبلوماسي الأمريكي (لورانس فالي) في عمَّان ، وصدر عليه الحكم بالإعدام غيابياً عام ٢٠٠٣م .

كانت الأجهزة الأمنية السورية قد اعتقلته عام ٢٠٠٠م ، بتهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة وتهريب أسلحة إلى الأردن ، وصدر الحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، خرج بعدها وانتقل إلى العراق بعد سقوط بغداد ، وشارك في القتال مع مجموعات قريبة من تنظيم القاعدة .

التحق العبسي ومن معه بمواقع فتح الانتفاضة في بلدة (حلوة) بالقرب من طرابلس

شمال لبنان عام ٢٠٠٥م ، حيث وقع اشتباك بين هذه المجموعة والجيش اللبناني ، أدى إلى انتقالها إلى مخيم البداوي ، ومنه إلى مخيم نهر البارد ، حيث تم إعلان (فتح الإسلام) كحركة منشقَّة عن فتح الانتفاضة في أواخر عام ٢٠٠٦ .

خامساً : المنطلقات الفكرية لحركة فتح الإسلام :

يقول شاكر العبسي في مقابلة مع وكالة رويترز للأنباء : إن لجماعته هدفين اثنين هما :

ـ الأول : هو الإصلاح الإسلامي لمجتمع المخيمات الفلسطينية في لبنان حتى تتوافق مع الشريعة الإسلامية .

ـ الثاني : هو التوجُّه لمواجهة إسرائيل .

وهو يعتبر (كلَّ من يقاتل دفاعاً عن راية الإسلام ، فيقاتل أعداء الله الذين نهبوا خيرات هذه الأمة فاحتلوا أرضها واستباحوا عرضها ، وكلُّ من يقاتلهم على وجه الأرض هو أخ لنا) .

وهو يأمل (بطرد الأمريكيين خارج الوطن العربي وإنهاء مصالحهم فيه) ، رغم أنه يؤكد أنه (لا توجد صلات تنظيمية بين حركته وبين تنظيم القاعدة) لكن بيانات (فتح الإسلام) تنشر على شبكة الإنترنت من المواقع نفسها التي تنشر بيانات تنظيم القاعدة .

أما العلاقة مع سورية فإن (فتح الإسلام) تنفيها بقوة ، لا بل هي تتهم النظام السوري بأنه قتل اثنين من مجاهديها هما أبو الليث الشامي ، وأبو عبد الرحمن الشامي على الحدود السورية العراقية عندما كانا يحاولان العبور لنصرة إخوانهم في العراق .

وبالمقابل فإن سورية تنفي أية علاقة لها بهذا التنظيم ، وهي أعلنت أنه تنظيم ملاحَق عندها ، وقد أصدرت مذكرة توقيف بحق شاكر العبسي بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٧ لمعاودته نشاطاته الإرهابية بعد خروجه من السجن ، وتكثر الأقوال عن الأهداف المعلنة لتنظيم فتح الإسلام ، والتي منها :

ـ نصرة أهل السنة والعمل على رفع شأنها ، وهنا مكمن العمل على إشعال فتنة مذهبية مسلَّحة .

ـ إمارة إسلامية في مخيم لا تتعدى مساحته الكيلومترين مربعين ، وهنا يتضح المشروع التخريبي والتفتيتي لكيان لبنان .

ـ مقاتلة إسرائيل ، لكنهم أقاموا في أبعد نقطة عن الحدود مع فلسطين .

سادساً : الأحداث الأخيرة :

في يوم ١٣ شباط فبراير/ ٢٠٠٧م وقع تفجير حافلتي ركاب في منطقة عين علق ، بجوار بلدة بكفيا في جبل لبنان المسيحي ، واتهمت وزارة الداخلية اللبنانية حركة (فتح الإسلام) بذلك .

لكن شاكر العبسي نفى لصحيفة نيويورك تايمز يوم ١٦ آذار مارس أن تكون لحركته أية صلة بعملية (عين علق) أو بأي هجوم داخل لبنان ، وأشار إلى احتمال أن تكون بعض عناصر فتح الانتفاضة التي لم تلتحق بفتح الإسلام هي من نفَّذ العملية .

وبدأت الأحداث مع عملية سرقة وسطو على مصرف البحر المتوسط في أميون ، يوم ١٢/ ٥/ ٢٠٠٧م ، وبمتابعة الأجهزة الأمنية لبعض الخيوط توصلت إلى تحديد بناء لجأ إليه السارقون وهي في شارع يدعى شارع المئتين في مدينة طرابلس ، وهو من أرقى شوارع المدينة ، وعندما حاصرتها قوة أمنية فوجئت القوة بوجود مجموعة كبيرة مسلَّحة ومستعدة للقتال ومتواصلة مع (فتح الإسلام) في نهر البارد ، فطلبت القوة الأمنية المساعدة من الجيش اللبناني الذي هرع بعتاده وآلياته إلى المكان .

وعندما اشتد الحصار حول الشقة التي يختبىء فيها السارقون ومعهم بقية العناصر ، طلبت (فتح الإسلام) من الجيش فكَّ الحصار عن المجموعة المحاصَرة في شارع المئتين ، لكن الجيش لم يستجب لطلب المنظمة ، عندها أقدمت عناصر من فتح الإسلام في مخيم نهر البارد على اقتحام نقطة تفتيش للجيش على المدخل الشمالي لمخيم نهر البارد ، وقتلت سبعة عشر من العسكريين وهم نيام ، بعضهم وُجدت جثته مبتورة عن رأسه ، كما أقدمت على قتل خمسة عسكريين في بلدات القلمون والكورة (القريبتين من طرابلس) لا يحملون سلاحاً ، لكنهم كانوا متوجهين لقضاء إجازاتهم .

وهذا ما دفع الجيش إلى محاصرة مخيم نهر البارد وقصف مواقع (فتح الإسلام) ومطالبتهم بالاستسلام وتسليم أنفسهم للعدالة .

في هذه الأثناء توالت عن تنظيم فتح الإسلام تهديدات بنقل المعركة إلى كل لبنان إذا لم يفكَّ الجيش اللبناني حصاره عليهم في مخيم نهر البارد .

وفي الأيام التالية وقعت انفجارات ثلاثة ، أولها في منطقة الأشرفية (المسيحية) والثاني في منطقة فردان (السنية) في بيروت الغربية ، والثالث في عالية (الدرزية) في

جبل لبنان ، في محاولة فسَّرها البعض بالعمل على توسيع رقعة المواجهة ، ثم تفجير في منطقة سد البوشرية المدخل الشرقي لمدينة بيروت حيث الأغلبية المسيحية .

رفضت حركة (فتح الإسلام) تسليم عناصرها المطلوبين للدولة وأصرت على الموت وعدم الاستسلام ، وفجَّر أحد المحاصرين نفسه في شقة في طرابلس حتى لا يقبض عليه الجيش ، وذلك عائد إلى أن أكثر عناصر (فتح الإسلام) إن لم نقل جميعهم مطلوبون في لبنان وفي بلادهم بتهمة ارتكاب أعمال مُخلّة بالأمن .

سابعاً : جند الشام :

وهي عناصر تقيم وتتجمع عند تخوم ومداخل مخيم عين الحلوة لجهة الشمال أي للجهة المحاذية المتماسة لمدينة صيدا عاصمة الجنوب ، وهي حركة متعاطفة مع فتح الإسلام وربما يربط بينهما أنهما من مشرب واحد .

مخيم عين الحلوة : هو أكبر المخيمات الفلسطينية في لبنان /١٢٠,٠٠٠/ نسمة ، وهو محاذٍ لمدينة صيدا بشكل متماسٍّ معها لا يفصل بينهما فاصل على حد أنه يشكِّل ضاحيتها الجنوبية حتى أضحى جزءاً لا يتجزأ منها ، لاسيما أن مدينة صيدا مدينة سنية بغالبيتها الساحقة .

منذ مدة وعناصر جند الشام يشكِّلون مصدر إقلاق وإخلال باستقرار مخيم عين الحلوة ، وتعمل فعاليات المخيم جاهدة للَجْمهم والحد من إخلالاتهم .

رغم التأييد الذي يلقاه الجيش اللبناني من كافة الفعاليات اللبنانية والفلسطينية ومنها فتح وحماس ، وتعاطف تلك الفعاليات معه ، لاسيما وأنه كان المعتدى عليه والمغدور به ، فإن المجتمع والوسط الفلسطينيين يغليان لما يَريان من أن إخوانهم وأهليهم وأقاربهم في مخيم نهر البارد يدفعون ثمن أعمال عصابة انسلَّت إلى المخيم وارتكبت من خلال جرائمها وتسببت بحرب تُشَنُّ عليه بسبب تحصن عناصر فتح الإسلام فيه .

لكن تحرُّك الفعاليات يبقى في حدود المعالجة التي تقي المدنيين دفع ثمن الحرب في نهر البارد .

ولأن الجيش اللبناني اتخذ قراره بالحسم وبدأه من صباح الجمعة في (٣١/٦/٢٠٠٧م) وأعلن أنه لن يتوقف حتى إلقاء القبض على عناصر فتح الإسلام وتسليمهم للقضاء .

ولأن الحصار على تلك المنظمة يشتدُّ ساعة بعد ساعة ولم تعد مسألة الإجهاز عليهم إلا مسألة وقت ليس إلا ، قامت عناصر من جند الشام قبل ظهر الأحد ٣/٦/٢٠٠٧م ، بفتح النار من داخل مخيم عين الحلوة ، دون سبب على عناصر الجيش اللبناني في مواقعهم عند مداخل المخيم ، فتسببت بقتل عدد منهم وجرح آخرين ، ومن قتلى الجيش عنصر انشطرت جثته قسمين لأنه استهدف بقذيفة مدفعية أصابته فشطرته .

عملت الفعاليات الفلسطينية كافة داخل المخيم على لملمة الوضع ووقف إطلاق النار تجنباً لانخراط مخيم عين الحلوة في قتال كارثي إذا ما اشتعل فإنه يتهدد مدينة صيدا ومخيماتها أي ما يزيد على الثلث مليون نسمة ، توقف إطلاق النار بعد ساعتين من اشتعاله ثم لم يلبث أن تجدد قبيل منتصف الليل ليستمر حوالي الساعتين أي حتى ما قبل بزوغ فجر الاثنين ٤/٦/٢٠٠٧م ، وتبرَّأت جميع الفصائل الفلسطينية من فتح الإسلام لاسيما فتح وحماس .

ثامناً : قراءة شرعية لحركة فتح الإسلام :

إن الأهداف المعلنة لحركة فتح الإسلام على لسان شاكر العبسي هي أهداف إسلامية وطنية بلا جدال ، فالإصلاح الإسلامي لمجتمع المخيمات الفلسطينية ، والتوجه لقتال إسرائيل ، واعتبار كل من يقاتل دفاعاً عن الإسلام وعن الأمة أخاً لهم ، والعمل على إخراج الأمريكيين ومصالحهم من الوطن العربي في ظل الحرب الأمريكية المعلنة على المسلمين وبلادهم ، كل ذلك يعتبر أهدافاً مشروعة .

لكن هل المنهج والوسائل المتبعة لتحقيق هذه الأهداف مشروعة أيضاً ؟ ، فلو لم نتهم حركة فتح الإسلام بما تبرأت منه ، ولا حتى بما لم تعلن رسمياً أنها فعلته ، كتفجير حافلتي الركاب في عين علق وإن كانت مصادر الأجهزة الرسمية اللبنانية تؤكد تورطهم به والتفجيرات الأخيرة في الأشرفية وفردان وعالية وسرقة المصارف ، لكننا نقول : إن هذه الجرائم لا يجوز أن تمرَّ بدون تحقيق يكشف الفاعلين ويعاقبهم .

وإذا كان التحقيق يصل في بعض خيوطه إلى أفراد من (فتح الإسلام) فيجب تسليمهم إلى القضاء مع ضمان محاكمة قضائية عادلة لهم .

فأمن المجتمع واطمئنان الناس وإنزال العقاب المناسب بالمجرمين ، يعتبر من أهم المقاصد الشرعية ، ولذلك كان التشديد في عقوبة الذين يسعَون في الأرض فساداً

ويهددون أمن الناس : ﴿ . . . أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ . . . ﴾ [المائدة : ٣٣] .

أما الحكم الشرعي في قتل العسكريين وهم نيام ، أو قتل العسكريين على الطرقات وهم متوجهون لقضاء إجازاتهم مع أهليهم فلا يجوز ، إذ لم يكن القتل في معركة ، وهذا ما لم تنفه فتح الإسلام نفسها .

ففضلاً عن أن المسلم لا يقتل بريئاً ، فقتل عناصر الجيش اللبناني بالشكل الذي تمَّ جريمة بشعة فاحشة ، وليس له أي مبرر على الإطلاق ، وهو يخلّ بمقتضيات الشرف والمروءة حتى عند أهل الجاهلية من غير المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ . . . ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، وقال : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يحلّ دم امرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيِّب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »[١] .

والثيب هو المتزوج ، وقال في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، في شهركم هذا. . فلا ترجعُنَّ بعدي ضلاَّلاً يضرب بعضكم رقاب بعض. . . »[٢] .

إن (فتح الإسلام) أعلنت أنها تريد قتال إسرائيل ، لكنها قاتلت اللبنانيين ، وقتلت العسكريين وأكثرهم مسلمون سنة ، ومن واجبنا أيضاً الإشارة إلى ما نُشر في الصحف عن أحد المحاصرين من فتح الإسلام في طرابلس ، عندما اشتدَّ عليه الحصار قام بتفجير نفسه ، حتى لا يقع في أيدي قوات الأمن ، ومعنى ذلك أنه قتل نفسه ، ويقال إن جميع عناصر فتح الإسلام مدرَّبون على تفجير أنفسهم حتى لا يقعوا في الأسر ، وقتل النفس كما هو معروف محرم بشكل قاطع ، وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال عن الذي قتل نفسه بالسكين : « عبدي بادرني بنفسه ، حرمت عليه الجنة »[٣] ، وإذا كان

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى. . ، رقم : ٦٤٨٤ ، ٦/ ٢٥٢١ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ، رقم ١٢١ ، ١/ ٥٦ .
(٣) صحيح ابن حبان ، كتاب الرهن ، باب الجنايات ، رقم ٥٩٨٨ ، ١٣/ ٢٢٨ ، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

كثير من العلماء المعاصرين أباحوا العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون عندما يفجِّرون أنفسهم بالعدو ، فقد اشترطوا لذلك أن تكون نية المجاهد قتل الأعداء وإن كان بوسيلة يوقن من خلالها أنه سوف يقتل نفسه ، وأن يكون ذلك تجاه عدو محارب ، وليس في قتال فتنة بين أبناء البلد الواحد .

إذاً فالوسائل تتعارض وتعاكس الأهداف ، والأقوال تخالف الأفعال ، فمن العجب أن تعلن فتح الإسلام أهدافاً سامية ، ثم يتبين أن منهجها في العمل ووسائلها المستعملة لا تحقق أهدافها ، لا بل تحقق أهدافاً معاكسة تماماً .

فقتال إسرائيل هو الهدف المعلَن ، لكن المنهج هو قتال اللبنانيين حكومة وشعباً ، والإصلاح الإسلامي لمجتمع المخيمات هو الهدف المعلن ، لكن المنهج هو إدخال المخيمات وأهلها في صراع مع الجيش اللبناني ، ومع البلدات المجاورة لها .

وفي هذا السياق نذكر الحديث من أن رجلاً اعترض على توزيع بعض الغنائم ، وقال لرسول الله ﷺ : « اتق الله يا محمد » وأراد بعض الصحابة قتلَه ، لكن رسول الله منعهم ، وقال عن الرجل بعد أن ولَّى : « إنّ من ضئضىء هذا أو في عقب هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم . . . يقتلون أهل الإسلام ويدَعُون عبدة الأوثان »[1] .

وفي حديث أبي خويصرة الذي لم يعجبه قَسْم رسول الله الغنائم فقال له : يا رسول الله اعدل ، قال رسول الله ﷺ : « ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟ » ، واستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية »[2] .

وجاء أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون من أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القول ويسيؤون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية »[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث علي وخالد رضي الله عنهما . . ، رقم ٤٠٩٤ ، ٤/ ١٥٨١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، رقم ٣٤١٤ ، ٣/ ١٣٢١ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، كتاب فضائل القرآن ، كتاب قتال أهل البغي ، رقم ٢٦٥٩ ، ٢/ ١٦٧ .

وسئل سيدنا علي رضي الله عنه عن خصومه في موقعة الجمل الذين قاتلوه : أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فرّوا ، قيل : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، قيل : فما هم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا[1] .

وأخيراً ومن هنا يجب أن نكون منتبهين حذرين ، وأن نحاكم الناس ، الأفراد والجماعات والحركات إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وألا نكتفي بالأهداف المعلنة ، وأن ننظر إلى كل عمل من الأعمال من خلال الموازين الشرعية المحكمة .

* * *

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، كتاب الجمل ، في مسيرة عائشة وعلي وطلحة والزبير ، رقم ٣٧٧٦٣ ، ٧/ ٥٣٥ .

الخاتمة

بفضل الله وعونه ، تمت هذه الوريقات التي تناولت موضوعاً من أخطر موضوعات هذا العصر الحديث ، وهو موضوع التكفير ، ومن له السلطة والصلاحية أن يكفِّر غيره من المسلمين ، وقد توصل البحث إلى ما يلي :

تعددت الحركات الدعوية في العالم الإسلامي وتعددت منطلقاتها ، وبعض هذه الحركات اتخذ التكفير سلاحاً يسلِّطه على الآخرين ، وكثير من الدعوات لا تزال تؤمن بالتفكير لا بالتكفير ، وبالحوار في تغيير المنكر وبالحكمة والموعظة الحسنة .

والكفر ، تعريفه لغة : التغطية ، والكافر يجحد النعمة ويسترها ، والكفر عدم تصديق الرسول ﷺ بشيء مما علم بالضرورة من الدين مجيؤه ، والتكفير هو رمي الآخرين بالكفر ، وسلخهم عن الإسلام .

لقد بدأت الخوارج تكفِّر مرتكب الكبيرة ، فكان ردُّ فعل من المرجئة الذين يقولون : (لا تضرُّ مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة) ، ورد فعل من المعتزلة القائلين : (بأن الإنسان يخلُق أفعالَه) ، ومنح الشيعة العصمة لغير المعصوم للأئمة الاثني عشر من بعده ولذرّيته من بعده .

من المعلوم عند علماء الأصول أن المسائل الشرعية مقسَّمة إلى ما هو قطعي معلوم من الدين بالضرورة ، كوجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان. . . فهذه المسائل ليست مناطاً للاجتهاد ، لأنها ثوابت في الشريعة ومن أنكر واجباً منها أو أحلَّ محرماً فقد كفر ؛ وقسم ثانٍ فيه أدلة قاطعة ، لكنه ليس من الضرورات الشرعية التي يستوي في معرفتها الخاص والعام ، فإذا نَظَرَ في شيء منها مَنْ مَلَكَ أهلية الاجتهاد ، وبذل وسعه في الوصول إلى الحكم فإنه غير آثم ، وإن وقع في الخطأ ، وقسم ثالث : مسائل شرعية لا قواطع فيها ، وإنما أدلتها ظنية ، والمجتهد في هذا القسم إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر ، وهذه تسمى المتغيرات .

وأجمع فقهاء الإسلام على أن من شهد الشهادتين فقد عصم دمه وماله ، فلا يجوز تكفيره وإباحة دمه ، ولو ارتكب معاصي وذنوباً .

يجب التفريق بين الكافر والمنافق ، فالمنافق لا يُقتل على معصية ، ولم يقتل النبيُّ ﷺ المنافقين ، مع علمه بأسمائهم ، وفضح القرآن لأعمالهم .

والكافر له أقسام ، فلا يُقاتَل من الكفَّار إلا المحارِب ، أما الذميّ فله ما لنا وعليه ما علينا ، والكافر المعاهَد لا يجوز قتاله أو الغدر به وحتى قتال الكفَّار تعلنه الدُّول حسب ظروفها وإمكانياتها .

وللمرتد أحكام وقد اختلِفَ في قتله إلا إذا انحاز لصفوف الأعداء وقاتل المسلمين معهم . . . .

وجعل الإسلام نصيباً مفروضاً من مال الزكاة للمؤلفَّة قلوبُهم لدفع شرِّهم أو ترغيبهم بالدخول بالإسلام .

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر ولأسباب عديدة : منها الفقر والمرض ، والجهل والفرقة ، والاستعمار والتخلُّف ، والجمود الفكري ، ظهرت دعوات إصلاحية في الوطن العربي ، تطالب بتحرير الشعوب والوقوف بوجه الحكَّام المستبدِّين وبوجه الاستعمار ، يظهر في بعضها رياح التكفير ، وكان لها الأثر الواضح على الحركات الإسلامية في العصر الحديث ، كدعوة « محمد بن عبد الوهاب » [١٧٠٣ـ ١٧٩١م] ، ودعوة كان لها تأثير في الوطن العربي دعوة « أبي الأعلى المودودي » [١٩٠٣ـ ١٩٧٩م] ، ودعوة « جمال الدين الأفغاني » [١٨٣٩ـ ١٨٩٧م] ، وتلميذه « محمد عبده » [١٨٤٩ـ ١٩٠٥م] ، ثم الشيخ « محمد رشيد رضا » [١٨٧١ـ ١٩١٨م] ، ودعوة « عبد الرحمن الكواكبي » [١٨٤٨ـ ١٩٠٢] .

شهدت حركة الإخوان المسلمين انعطافاً خطيراً بعد وفاة الإمام « حسن البنا » وعمل الجهاز السرِّي للإخوان ، ودخول « سيد قطب » في حركة الإخوان سنة ١٩٥٢م . لقد ظهرت كتب « سيد قطب » التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره ، والتي تنضح بتكفير المجتمع . . . وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع ، وقطع العلاقة مع الآخرين ، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة ، والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة .

تأثَّرت مجموعاتٌ بفكر « سيد قطب » المتطرف ، مثل « صالح سرِّية » في مصر الذي أُعدم سنة ١٩٧٥م ، وجماعة التكفير والهجرة ، ومجموعة الجهاد .

بدأت مشكلة التكفير عندما اعتبرت هذه الجماعات أنها جماعة المسلمين لا جماعة من المسلمين .

إن « حسن البنَّا » الذي كان منهجه هو الإصرار على تطبيق الإسلام من جهة والموازنة بين عناصر الروح والفكر والجسد من خلال التطبيق من جهة ثانية ، وكان منهج دعوته هو الترفُّق بالمدعوِّين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ظهر الخلل في جماعة الإخوان في أواخر حياة « حسن البنَّا » ، فكان النظام الخاص الذي كان من المفروض من إعداده مقاتلة المحتلِّين والغزاة من إنكليز ويهود. . . فقد صار هذا الجهاز شراً وبيلاً على الجماعة فيما بعد فقد قَتَل بعضُهم بعضاً ، كما ظهر الدُّخَلاء على الجماعة ، وظهر الضعف في الكوادر القيادية. . .

كانت الفترة بعد استشهاد « البنَّا » من أصعب الفترات على الإخوان ، فحُلَّت الجماعة ، وزُجَّ بالآلاف في السجون ، ولعب النظام الخاص دوراً هاماً في هذه الفترة وما بعدها ، إلى جانب خوف العالم الغربي من هذه الجماعة ، فوضعت أوربة وأمريكة والصهيونية والشيوعية كلَّ ثقلها ، وسخَّرت كل إعلامها لسَحْقِ هذه الجماعة والانحراف بها ، واختلف الإخوان فيما بينهم حول التعامل مع الحكم ، ولعبت الأجهزة السرِّية دوراً في داخل تنظيم الإخوان وخارجه. . .

من مظاهر الانحراف في فكر الإخوان بعد مقتل « حسن البنَّا » ، تكفير مَن خالفهم واعتبار أنفسهم جماعة المسلمين والفئة الناجية ، واستعمال أسلوب العنف والمصادمة .

لعب سيد قطب دوراً هاماً في انحراف فكر الإخوان عن منهج الشهيد « حسن البنَّا » وقد تبنى الشهيد « قطب » فكرة الجاهلية والحاكمية التي طرحها « أبو الأعلى المودودي » ، وتبلورت أفكاره في كتابه معالم في الطريق .

من أشهر جماعات التكفير والقتل جماعة التكفير والهجرة التي أسسها « علي عبده إسماعيل » وهو شقيق « عبد الفتاح إسماعيل » الذي أعدم مع « سيد قطب » عام ١٩٦٦م ، وتتلخص أفكاره بأن المجتمع كافر وجاهل فيجب العزلة عنه ومقاطعته ، ويجب الهجرة بعيداً عن المجتمع ، وعند استكمال قوتهم يجب إعلان الجهاد والسيطرة على المجتمع وتطهيره من الجاهلية وإعادة حاكمية الله إليه .

ومن جماعات التكفير والقتل جماعة الجهاد ، التي اغتالت « السادات » سنة ١٩٨١م ، والتي أسسها « عبد السلام محمد فرج » ، و« عبود عبد اللطيف حسن الزمر » ، ومن أهم مبادئهم : إعلان الجهاد ضد كل حكَّام المسلمين لأنهم مرتدُّون ، ولا يجوز التعامل معهم لأنهم كفار ، وإن الإسلام لم ينتصر إلا بقوة السلاح والجهاد ، ويجب أن يختار القائد جماعياً ويجب طاعته .

ومن جماعات التكفير والقتل « حزب التحرير الإسلامي » الذي أسسه « تقي الدين النبهاني » [١٩٠٩ـ ١٩٧٩م] ، ومن أهم مبادئه ، وجوب إعادة الخلافة الإسلامية ، وقلب أنظمة الحكم لأنها كافرة ، ويجب التغيير الفكري ثم الانقلاب الفكري ، ثم الانقلاب العسكري وتسلُّم زمام الأمور ، والوصول إلى السلطة بأية وسيلة ، ومن هذا الحزب نشأ حزب صالح سرِّية الذي حاول الهجوم على الكلية الفنية العسكرية بهدف الاستيلاء على السلاح ثم محاولة الوصول إلى الحكم ، ولكن فَشِل هجومه وأُعدم سنة ١٩٧٥م .

ومن سلبيات الحركة الإسلامية السياسية في الجزائر ، تأثُّر جبهة الإنقاذ « بسيد قطب » و« المودودي » ونادوا في أفكارهم بالإنقاذ من جاهلية القرن العشرين ، واعتبروا أن مناصرتهم وتأييد برامجهم ركنٌ سادسٌ من أركان الإسلام . وأنَّ أغلب الإسلاميين الجزائريين لم يفقهوا ولم يدركوا حجم أعدائهم ، وانتقلوا من المعارضة السياسية إلى المعارضة التصادمية ، مع اختلاف أساليبهم وآرائهم ، مما أدى إلى تقتيل بعضهم والمصادمة والمجابهة المسلحة فيما بينهم ، وإن جبهة الإنقاذ الإسلامي كانت خليطاً من جماعات متعددة متباينة ، اختلفت فيما بينها فيما بعد .

وممن يكفِّر ويفسِّق ويبدِّع المغالون من الحنابلة وممن تَسمَّى منهم بالسلفية ثم الوهابية ، وفي العديد من الكتب المعتمدة على الحنابلة نجدها قد ملئت بالتكفير والتبديع والتضليل والتفسيق والشتم واللعن ، حتى أبو حنيفة لم يَسْلَم من ذمهم (فهو مات جهمياً . . .) إلى جانب الشيعة والمعتزلة والصوفية والأشاعرة والقدَرية والمرجئة والجهمية وغيرهم . . . ولا تزال هذه الاتهامات إلى اليوم لكل مخالف لهم .

من أخطر شيء لدى الحنابلة أنهم جعلوا اختلافات الآراء الاجتهادية بين المذاهب جعلوها صراعات عَقَدية ، فقد خالفوا سائر المسلمين بقضية صفات الله ، فاليد والرجل والعين لله تعالى كلها على حقيقتها ولكن ليس كيدنا ورجلنا وعيننا ، بينما سائر طوائف

المسلمين يؤوِّلونها بالقوة والرحمة وما أشبه ذلك ، وكفَّروا وبدَّعوا كلَّ مخالفيهم من سائر المسلمين ، وكذلك كفَّروا كل من لم يعتقد برأيهم في قضية خلق القرآن ، وفضَّلوا معاوية على سيدنا عليٍّ . . . واستُعملت كلمة السلف الصالح في غير موضعها ، حتى أن بعضهم كان يستبعد الصحابة من المهاجرين والأنصار من السلف الصالح ولا يعتبرونهم من السلف الصالح إلا إذا وجدوا في كلام أحدهم ما يؤيد سلفهم من القرون اللاحقة . . . وفي كتب غلاة الحنابلة فيها أكثر من الحق لاحتوائها على البدع والأحاديث الموضوعة والتكفير والظلم والجهل . . .

والسلفية أصبحت سلفيات ، وكل فرقة ترجع أصولها إلى سلف صالح فهناك سلفية معتدلة وهي سلفية النصوص الشرعية ، وسلفية الصحابة من المهاجرين والأنصار والعكس صحيح . . . فهناك سلفية الادعاء والكذب والتزييف والظلم .

إنَّ الحاجة الماسَّة اليوم أن تقوم الجماعات الإسلامية بنقد كتب العقائد نقداً نزيهاً مدللاً بالأدلة الشرعية .

والوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ـ ١٧٩١) ، انتشرت بفضل التحالف الذي قام بين أسرة آل سعود وعائلة الشيخ ابن عبد الوهاب ، على أن يكون لآل سعود السلطة الزمنية ، وللوهابية السلطة الدينية ، وطالبت الوهابية بتوحيد الأسماء والصفات ، ونفي التأويل والمجاز من صفات الله ، واعتبرت أخطاء المسلمين أو تقصيرهم واجتهاداتهم التي تخالف اجتهادات الوهابية كل ذلك بدعة وفسق وشرك ، كزيارة القبور وبنائها والتوسل ومولد النبي ﷺ ، وخصُّوا بالتكفير الأشاعرة لا سيما المتصوفة ، وكل من خالف اجتهاداتهم فكلهم يرتكبون البدع في نظرهم ، واعتبروا أنفسهم أنهم الفئة الناجية من النار وما سواهم هلكى معتمدين على حديث رسول الله « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » .

حتى أنهم صاروا يخالفون مذهبهم ، فكثير من أئمة الحنابلة مدح التصوف ورجاله .

وفي المبحث السابع والأخير كان الحديث عن أفغانستان والمجاهدين الأفغان وغيرهم والقاعدة وطالبان ، وفيه ذكر نشأة هذه الجماعات وتكوينها ، وأن الحرب الباردة بين روسية وأمريكة شجعت الولايات المتحدة وبعض الدول العربية وعلى رأسها السعودية ومصر والكويت للذهاب إلى أفغانستان وباكستان للاشتراك في الحرب على السوفيت الملاحدة ، وهذا الدعم لم يحصل لأية قضية إسلامية حتى فلسطين ، وترأس الدعم الكثير

من أغنياء السعودية وعلى رأسهم المليونير السعودي أسامة بن لادن منذ عام ١٩٨٨ ، وعندما انتصر المجاهدون على روسية حلّت أمريكة بدلاً عنها ، ورجع بعض المجاهدين إلى بلادهم ليحدثوا مشكلة مع حكوماتهم ، في مصر وليبية والجزائر والسعودية واليمن وغيرها .

وتبنَّى الأفغان العرب عدة أفكار تكفيرية منها ، أنهم اعتبروا أنّ كل حكَّام المسلمين كفار ، ويجب تغييرهم بالقوة والجهاد ، ورفضوا التعامل مع مؤسسات دولهم ، واختلفت نظرتهم إلى المجتمعات الإسلامية بين مجتمعات جاهلة أو كافرة ، وأجازوا قتل الأبرياء بحكم ما يسمونه التترُّس .

وظهرت العديد من الاغتيالات والتفجيرات في عدة أماكن في الوطن العربي ، كمصر والجزائر والسعودية والسودان واليمن .

وأصدر أسامة بن لادن وجماعته فتوى بقتال اليهود والصليبيين والأمريكيين وضرب مصالحهم أينما وجدوا ، فكان من أهم ما ألصق بهم ضرب مركز التجارة العالمي في نيويورك وواشنطن في شباط عام ١٩٩٥ ، ثم تفجير مركز التجارة العالمي وجزء من مبنى وزارة الدفاع في ١١ أيلول ٢٠٠١ ، وانضم د . أيمن الظواهري مسؤول منظمة الجهاد المصرية إلى ابن لادن ، عام ١٩٩٨ ليصبح الرجل الثاني في تنظيم القاعدة .

واستطاع الطلبة الذين ساعدتهم السعودية في دراستهم لحرب الروس أن يستولوا على الحكم في أفغانستان بعد تنازع فصائل المقاومة إثر خروج الروس ، وسميت حركتهم بحركة طالبان منذ ١٩٩٤ .

واستعملت أمريكة في حربها مع طالبان أحدث الأسلحة وكرَّست كل قواها للسيطرة على أفغانستان ، ولكنها فشلت إلى اليوم ، ثم انتشر الانتحاريون في تنظيم القاعدة في الكثير من دول العالم ، وقاموا بأعمال تفجيرية كبيرة في العراق ، وخاصة بعد أن انضمَّ أبو مصعب الزرقاوي الأردني الجنسية إليهم عام ١٩٨٩ .

واتخذت القاعدة الحدود الأفغانية الباكستانية في الأراضي الباكستانية مقراً للتدريبات ومعسكراتها ، فأصبحت النار مشتعلة في الأراضي الباكستانية وهجر بداية ٢٠٠٩ أكثر من مليوني باكستاني من أراضيهم جرَّاء الحملة التي قام بها الجيش الباكستاني بالتعاون مع أمريكة لضرب مواقع التدريب والمعسكرات للمجاهدين ، ولا تزال المعارك قائمة .

وإن الكثير يفرد قوة القاعدة واستمرارها إلى اليوم إلى الدعم الذي لاقته أولاً في زمن السوفيت من أمريكة وحلفائها ومن دول عربية ، وسياسة بوش الداعمة لإسرائيل والتغاضي عن جرائمها واحتلال العراق ، والأمركة الأمريكية التي تفرض على العالم ، وحالة اليأس والقنوط عند بعض الشباب اليائس ، وخاصة عندما انتقلت المعركة من المسلمين إلى الإسلام وقرآنه ونبيه .

وفي المبحث الأخير تعريف موجز بفتح الإسلام وجند الشام .

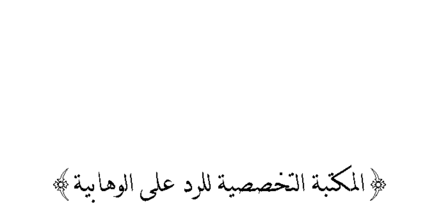
وأخيراً :

يجب أن ندرك أن الإسلام دين محبة ومسامحة وخير وسلام ، وأتى لينقذ البشرية لا ليفنيها ، والدعوة إليه تحتاج إلى الأسلوب القرآني ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، وإن الذين يكفِّرون ويُفسِّقون ويقتلون هم بعيدون عن فهم الإسلام ، فيجب أن نرصدهم ونحدَّ من هذه الظاهرة ، ونقيم الدراسات التي تفنّدها في كل مكان ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والحمد لله رب العالمين .

أ . د . بسام الصباغ

الفهارس العامة


﴿ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية ﴾

فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	عن الصحابي	المخرّج	درجة الحديث	الصفحة
من غش فليس منا . . .	أبي هريرة	الترمذي وابن ماجه	حسن صحيح	١٨٦
وإن بني إسرائيل تفرقت . . .	عبد الله بن عمرو	الترمذي وأحمد	حسن	١٦٦
ويلك من يعدل إذا لم أعدل . . .	أبي سعيد الخدري	البخاري	صحيح	٢١٦
يبعث الله على رأس كل . . .	أبي هريرة	أبو داود	صححه الألباني	١٠٨

* * *

فهرس الأعلام

(* مترجم له)

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن باديس، عمار الطالبي، نشر دار اليقظة العربية، دمشق، والشركة الجزائرية، الجزائر، ط١، ١٩٦٨م.
- احذرو الإيدز الحركي وظاهرة تمزق البنى التنظيمية وكيف نصون بنيتنا، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٩٣م.
- الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، دراج وباروت، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، د.ت.
- الإخوان المسلمون، إسحاق موسى الحسيني، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٥٦م.
- الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل، محمود عبد الحليم، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، فريد عبد الخالق، د.ن، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الإخوان المسلمون والتنظيم السري، د. عبد العظيم رمضان، مكتبة روز اليوسف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- أزمة الفكر الديني، هويدي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٨٨م.
- الإسلام السياسي، فرانسوا بورجا، ترجمة د. لورين فوزي زكريا، ومراجعة د. نصر حامد أبو زيد، نشر دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الإسلام لا يعرف العنف، نبيل فارس، الدار الشرقية، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- الإسلام وحركات التحرر العربية، د. شوقي أبوخليل، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥م.
- الإصابة، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
- الأصوليات الإسلامية في عصرنا الراهن، سلسلة كتاب قضايا فكرية، إشراف محمود أمين العالم، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الأصولية في العالم العربي، ريتشارد هريرد كمجيان، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء، مصر، ١٤٠٩هـ.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.
- إعلام الموقعين، الكحالة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٥م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- الأعمال الكاملة، الإمام محمد عبده، تحقيق د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- أفغانستان مقبرة الغزاة، الجمعية الشرعية الرئيسية، لجنة الدعوة، المطبعة العربية، القاهرة، د.ت.
- أفغانستان والاجتياح الروسي، سلسلة الحركة الإسلامية، محمود المرداوي، الشعاع للنشر، الكويت، ١٩٨٠م.
- أفغانستان والغزو الشيوعي، ناصر الدين شاه، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- أولويات الحركة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، د.ن، الدوحة، ط١٢، ١٩٩٠م.
- آيات الرحمن في جهاد الأفغان، عبد الله عزام، دار المجتمع، جدة، ط٥، ١٩٨٥م.
- بحر الحقائق ولب الرقائق، د. عبد الحميد الكندح الصيادي الرفاعي، دار الألباب، دمشق، ٢٠٠٦م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد إبراهيم، د.ن، مصر، ١٩٦٤م.
- تاريخ التشريع الإسلامي، محمد الخضري بك، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، د. أحمد طربين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، مكتبة القدسي، دمشق، ١٣٤٧هـ.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- تذكرة الحفاظ، الذهبي، الهند، دار المعارف الهندية، حيدر آباد، ط٣، د.ت.
- تساؤلات على الطريق والإرشاد، مصطفى مشهور، بليدة، الجزائر، ١٩٨٩م.
- التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتاب الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٩٨١م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، دار الرشيد، حلب، ١٤١٦هـ.
- تقويم الفكر الحربي للتيارات الإسلامية، عبد الله فهد النفيسي، دراسة موجزة في مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.

ـ التقييد، محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
ـ تنظيم الجهاد، كتاب الحرية، نعمة الله جنينة، نشر دار الحرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف، تحقيق بشار عواد معروف، دار الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، أبي زكريا محي الدين بن شرف، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، د.ت .
ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤.
ـ التوسل والوسيلة، ابن تيمية، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.
ـ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
ـ الجامع في طلب العلم الحديث، عبد القادر بن عبد العزيز/ د.ن، د.م، ط٢، ١٩٩٩م.
ـ الجرح والتعديل، الرازي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
ـ جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.
ـ جنرالات الإسلام، أنور محمد، دار إي أم، القاهرة، د.ت.
ـ الجهاد في سبيل الله ، أبو الأعلى المودودي، حسن البنا، سيد قطب، جمع الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، نشر دار القرآن الكريم، بيروت، ط٥، ١٩٨٣م.
ـ الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله ، أحمد القطعاني، درنة، ليبية، ط٢، ١٩٩٢م، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة.
ـ الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد، د. أحمد طحان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
ـ الحركات الإسلامية في الوطن العربي، محاضرة بعنوان الصحوة الإسلامية في مصر، د. محمد أحمد خلف الله ، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الأمم المتحدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م.
ـ الحركات الإسلامية في مصر وإيران، رفعت سيد أحمد، سنيا للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.
ـ الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية «الإخوان المسلمون في مصر التجربة والخطأ»، د. عبد الله فهد النفيسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩م.
ـ الحركة الإسلامية في الأردن، موسى زيد الكيلاني، دار البشير، عمان، ١٩٩٠م.
ـ حسن التفهم والدرك لمسألة الترك، أبو الفضل عبد الله محمد الصديقي الغماري، توزيع مديرية أوقاف دبي، د.ت.

- حقائق حول حركة الاتجاه الإسلامي، راشد غنوشي، د.ت، د.م، ١٩٨٣م.
- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، ط٤، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الدعوة السلفية وما بعدها، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، ١٩٧٧م.
- الدعوة والجهاد، د. بسام الصباغ، د. إبراهيم العسل، دار بيروت المحروسة، ط٣، ٢٠٠٧م.
- الدين والحياة، د. عبد العزيز كامل، الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي، أمانة الدعوة والفكر، ط٢، ١٩٦٧م.
- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، عبد الرحمن أبو الخير، د.ن،د.م، ١٩٨٠م.
- الذيل على طبقات الحنابلة، الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي، صححه محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، دار الفكر، د.م،د.ت.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم القشيري، تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- زعماء الإصلاح، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- السلفية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
- السنة، ابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.
- السنة، الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد هارون، تحقيق عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ١٤١٠ هـ.
- السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ.
- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- سنن أبي داود، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢، حلب، ١٩٨٦م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن قايماز، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- شرح السنة، البربهاري، محمد الحسن بن خلف، تحقيق محمد سعيد القحطاني، الدمام، دار ابن القيم، ١٤٠٨ هـ.

- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٩٩٢م.
- شرح القصيدة النونية (المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) لابن القيم، شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، د. يوسف القرضاوي، د. ن، د. م، ١٩٨٢م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- الصوفية والتصوف، يوسف هاشم الرفاعي، د. ن، الكويت، ١٩٩١م.
- طبقات الحفاظ، السيوطي، جلال الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، مكتبة عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية، الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، د. ن، بغداد، ١٣٩١هـ.
- طبقات الشافعية، السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، د. ت.
- طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- عبقري الإسلام سيد قطب، بشر أحمد كشميري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- العقود الدرية ومناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، طبعة المدني، القاهرة، د. ت.
- العقيدة الواسطية، ابن تيمية، تحقيق محمد حلاق، مؤسسة الريان للطباعة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- عون المعبود، الآبادي، محمد شمس الحق العظيم أبو الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، محمد، تحقيق براجستراسر وبريستل، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٢م.
- فتاوى ومسائل محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وجمع صالح بن عبد الرحمن الأخرم ومحمد بن عبد الرزاق الدباس، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د. ت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، د. ت.

فتنة الوهابية، دحلان أحمد بن زيتي دحلان، اسطنبول، ط١، ١٩٦٨م.
الفرقان، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
الفكر الإسلامي المعاصر، غازي التوبة، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٩٧٧م.
فلسفة الكفاح العربي، عبد القادر البذاري، المكتبة العربية، القاهرة، د.ت.
في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
فيض القدير، المناوي، محمد عبد الرؤوف، ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
قراءة في كتب العقائد، حسن المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الأردن، ٢٠٠٠م.
قنابل ومصاحف: قصة تنظيم الجهاد، عادل حمودة، دار سينا للنشر، ط٣، ١٩٨٥م.
كشف الظنون، كاشف جبلي، المكتبة الفيصلية، دار الفكر، مكة المكرمة، د.ت.
كنز العمال، المتقي الهندي، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ١٩٨٤م.
الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، عبد المجيد محمد بن محمد الخاني الشافعي، تحقيق محمد خالد الخرسة، دار البيروتي، د.ت.
الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي، د.ن، مصر، ١٩٣٨م.
اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٢، ١٩٧٠م.
لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.
- لعبة الأمم، مايلز كوبلاند، تعريب: مروان خير، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- لماذا اغتيل حسن البنا، عبد المتعال جبري، د.ن، د.ت.
- المؤتلف والمختلف، محمد بن طاهر بن القيسراني، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- المتطرفون، د. عمرو عبد السميع، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، مطبعة النصر الحديثة، الرياض، ١٩٦٣م.
- المحلى، ابن حزم، تحقيق أحمد محمد شكر، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- مختصر زاد المعاد، محمد بن عبد الوهاب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- مختصر طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى الفراء، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتاب العربي، لبنان، د.ت.

- المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٤ هـ.
- المذاهب الفقهية الإسلامية والتعصب المذهبي، محمد تاجا، دار ابن قتيبة، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- مذهب ابن آدم الأول، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٥، ١٩٩٣م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤١١هـ.
- المستصفى، أبو حامد الغزالي، المطبعة التجارية، القاهرة، د.ت.
- المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي، الدار الكويتية، الكويت، ط٤، د.ت.
- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ.
- مع الحركة الإسلامية في الدول العربية، عبد الله أبو عزة، دار القلم، الكويت، د.ت.
- معالم في الطريق، سيد قطب، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط٣، ١٩٨٣م.
- معجم المؤلفين، كحالة، عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- المغني، ابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.
- ملحق المصنفات، ابن عبد الوهاب، السعودية، توزيع إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤١٥هـ.
- من معالم الحق، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.
- مناقب أحمد، ابن الجوزي، عبد الرحمن، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٩ هـ.
- مناقب أحمد، ابن الجوزي، عبد الرحمن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- المنهاج القويم، شهاب الدين الهيثمي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٣، ١٩٨٧م.
- الموسوعة الحركية، د. فتحي يكن، دار البشير، عمان، ط٢، ١٩٨٣م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٩٨٩م.
- موطأ مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.
- موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- نداء حار من حزب التحرير، تقي الدين النبهاني، د.ن، د.م، ١٩٦٢م.
- النظام الاقتصادي في الإسلام، تقي الدين النبهاني، د.ن، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
- نظام الحكم في الإسلام، تقي الدين النبهاني، دار الأمة، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.
- النظرية العامة للنظم السياسية، ثروت بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- النظم السياسية، د. عبد الغني بسيوني، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٤م.
- نهج الثورة الجزائرية، بسام العسلي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- الهدية السنية، محمد بن عبد الوهاب نشر رشيد رضا، طبعة المنار، مصر، ط٢، ١٣٤٤هـ.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

* * *

فهرس الموضوعات

كتب المؤلف د . بسام الصباغ

١ـ المنهج العلمي في كتابة حلقة بحث جامعية

البحث محاولة لتدريب الطالب الجامعي وتعليمه على كتابة حلقة بحث بقواعد علمية ومنهجية تكشف مواهبه وتنمي إيداعه وابتكاره ، وترتقي بأسلوبه ، دار العصماء بدمشق/ ١٩٩٩م .

٢ـ الدعوة الإسلامية في بلدان غالبيتها من غير المسلمين

البحث محاولة لدراسة واقع المسلمين في هذه البلدان وهمومهم وتوضيح أسلوب الدعوة في هذه البلدان وتفعيل دور المسلمين بما يتناسب مع ظروف عصرنا الحاضر ، دار الحكمة بدمشق/ ٢٠٠٠م .

٣ـ الدعوة والدعاة ومجتمعات عربية معاصرة

يتحدث الكتاب عن الدعوة والدعاة في العصر الحديث وأهم المشكلات والعقبات التي تعترض الدعوة ، والأسلوب الناجح للدعوة ، دار الإيمان بدمشق/ ١٩٩٩م .

٤ـ مشكلة الخمر في العالم

يبحث عن مشكلة الخمر في العالم ، ومعجزة الإسلام في تحريم الخمر ، والأحكام التي تتعلق بالخمر ، والإثباتات القاطعة على تحريمه في جميع الأديان السماوية ، دار الفكر بدمشق/ ١٩٩٤م .

٥ـ دعوة الأنبياء الرسل في القرآن الكريم

يتحدث عن دعوة كل رسول ، ويستعرض أهم الأحداث التي تتعلق بالرسل التي ذكرها القرآن ويتوصل لأهم النتائج التي تفيد الدعاة اليوم ، دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٢م .

٦ـ الأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية مشكلات ومقترحات

البحث هو محاولة لدراسة الأقليات المسلمة في المجتمعات الغربية ، ودراسة مشكلاتهم وهمومهم ، وتبيان مسؤوليتهم وتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله ، دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٢م .

٧ـ الدعوة بين المغالين والمفرطين

يتحدث عن التيارات الدعوية المتطرفة تشدداً أو تساهلاً ويرصد معالمهم ويبرز صفاتهم وينبه لمخاطرهم ويرسم منهج الوسط للدعاة ، دار الإيمان بدمشق ٢٠٠٥م .

٨ـ الدعوة والجهاد (بالاشتراك)

يتحدث عن صلة الدعوة بالجهاد وأحكامها وأنَّ الإسلام انتشر في أغلب البلاد بالدعوة والحكمة والموعظة الحسنة ، دار بيروت المحروسة ، بيروت ٢٠٠٧م .

٩ـ قبسات من الدعوة والدعاة

يتحدث عن صلة الدعوة ووجوبها ومشكلاتها ، دار الإيمان دمشق ط٢ ٢٠٠٧م .

١٠ـ بلاء التكفير

يعالج أخطر بلاء ومرض أصيبت به بعض الجماعات الإسلامية ، دار البشائر دمشق ٢٠٠٨م .

١١ـ المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة

يتحدث عن مكانة المرأة في الإسلام ومسؤوليتها في الدعوة ، دار البشائر ، دمشق ، ٢٠٠٩ .

١٢ـ فتن التكفريين ، العرب المعاصرين ، وهو الجزء الثاني المتمم لكتاب بلاء التكفير ، تحت الطبع ، دار البشائر دمشق .

١٣ـ شارك في موسوعة الأديان الميسرة ، دار النفائس ، بيروت .

١٤ـ شارك في موسوعة السيرة النبوية ، دار النفائس ، بيروت .

* * *

المنهج الدعوي للمسلمة المعاصرة

للمؤلف أ . د . بسام الصباغ

يأتي هذا الكتاب في القرن الواحد والعشرين الذي جنحَ الغربُ فيه عن الحقِّ ، واعتمد على مبدأ (اللذةِ والمنفعةِ) دون اعتبار لأية قيمةٍ دينيةٍ أو خلقيةٍ ، فقامت الحروبُ المدمرةُ ، واستغلَّ الأقوياءُ قوتَهم فتحكَّموا بالضعفاء وبقوتهم الشيطانية فقتلوا ودمَّروا واستعمروا واستحلُّوا ، وأصبحت المرأةُ سلَعةً عند من يتبع هذا المنهجَ الشيطاني لتحقيق الشهوةِ ، فكثر الزنى والبغاء وما يتبعهما من مفاسد ، وأمراض ، وضياع الأَسرة والأنساب ، وهَجر الزواجِ والإنجابِ ، وتأثر كثيرٌ من المسلمين بالغرب ، وتسربت إليهم نظرةُ الغرب للمرأة، هذَه النظرة الاستعلائية والذكورية التسلطية . فهذا الكتاب الغاية منه :

أولاً : التأكيد والترسيخ أن المرأةَ مفتاحُ الخير ، وهي كلُّ الخيرِ ، وليست مفتاحَ الشر أو هي كلُّ الشر .

ثانياً : التأكيد أن الإسلام هو الذي أَعلى من شأن المرأة ورفع من قيمتها وأعطاها حقوقها ، ولم يفرِّق بينها وبين الرجل إلا من حيث الوظيفة في إعمار الأرض وديمومة النسل البشري ، فلها وظيفةُ الأمومة والسكينة للبشرية .

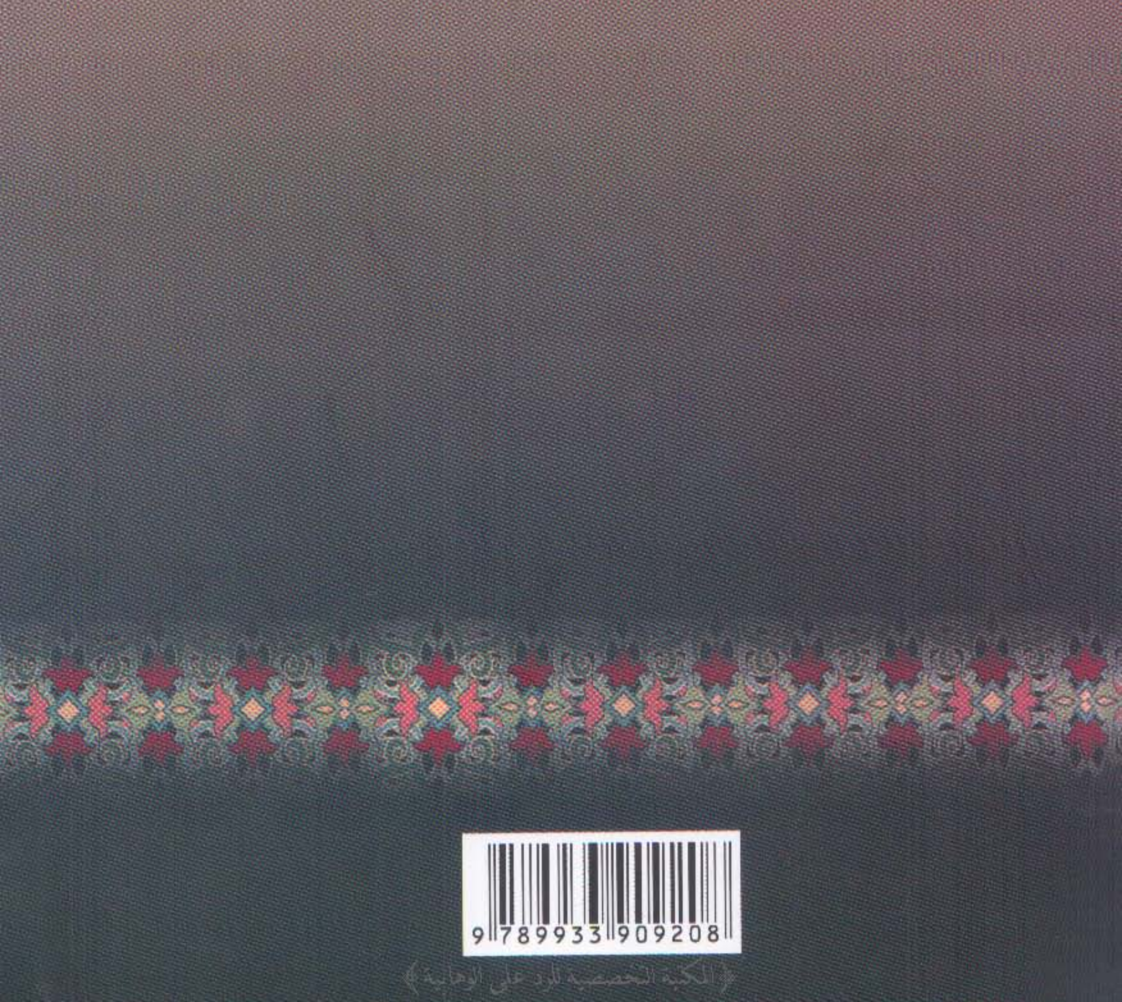
ثالثاً : التأكيد أن نهضةَ المسلمين اليوم متوقفةٌ على المرأة قبل الرجل إذا أخذت مكانتَها وحقوقها .

رابعاً : إعادة ثقةِ المرأةِ المسلمة بنفسها لتقوم بالدَّور القيادي الدَّعوي والتَّربويِّ لتربي أجيال اليوم والغد .

خامساً : رسمُ خطوطٍ عريضة لقيام المسلمة من كبوتها ، واستيقاظها من غفلتها ورسم منهجٍ للدعوة النسائية للمستقبل .

سادساً : وضع كتاب خاص يؤسسُ لعلم الدعوة للمسلمة المعاصرة ، ملخِّصاً فيه علمي وتجاربي في هذا الشأن ، حيث كانت كتبُ الدعوة وفقه الدعوة دائماً تتجه في أغلبها للرجل ، وتضرب قدوةً صالحة لهم بالرجال الذكورِ ، وقد أكرمني الله فألفتُ العديدَ من الكتب في الدعوة وفقهها ، ويُدَرَّسُ عددٌ منها في الجامعاتِ .

سابعاً : ترسيخُ التفاؤل كلَّ التفاؤلِ بالحركةِ الدعوية النسائية المسلمة ، وبأنها ستتبوَّأ مكان الصدارة ، وستكونَ مفتاحاً لتحسين صورة الإسلام والمسلمين تجاه الغرب الحاقد وتجاه المسلمين الجاهليين ، فالمسلمة هي التي تؤمِّن السكينة والاستقرار في العالم في زمنٍ اضطربَتْ فيها الحياةُ واختلَّت الموازين .


9 789933 909208